الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

(دراسة تأصيلية)

إعداد

عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

المشرف

الدكتور محمد خازر المجالي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير

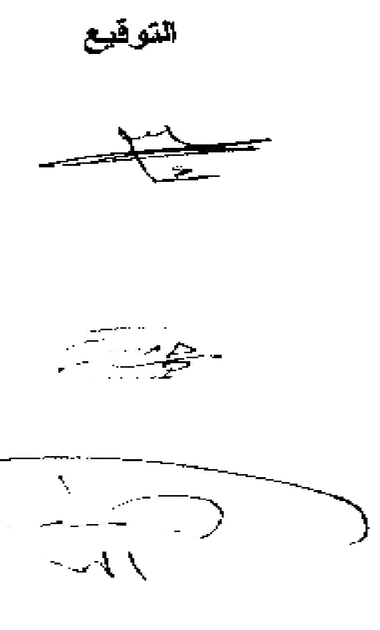
كلية الدراسات العليا

الجامعة الاردنية

أيلول ٢٠٠٥م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة **(الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، دارسة تأصيلية)** وأجيزت بتاريخ: ٢٠٠٥/٨/٢٢م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد خازر المجالي (مشرفاً) أستاذ مشارك في التفسير	
الأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري (عضواً) أستاذ في التفسير والقراءات القرآنية	
الدكتور مصطفى إبراهيم المشني (عضواً) أستاذ مشارك في التفسير	
الدكتور نائل ممدوح أبو زيد (عضواً) أستاذ مشارك في التفسير (جامعة مؤتة)	

الإهداء

إلى روح والدتي التي لم أرها في الدنيا، وأسأل المولى أن يجمعني بها في الجنان ...

إلى والدي رمز الحب والحنان ...

إلى جدتي وجدي اللذين ربياني على الإسلام ...

إلى أشقائي وشقيقاتي ...

إلى كل من له فضل علي وقدم لي المساعدة من الأهل والأقرباء والأصدقاء ...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع، راجياً الله –تعالى- أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب ...

الشكر والتقدير

الحمد لله القائل: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر:٦٦).

والصلاة والسلام على قائدنا وقدوتنا ومعلمنا محمد ﷺ وبعد ..

فبعد شكر الله -تعالى- الذي منّ عليّ بإتمام هذه الرسالة، وعرفاناً بالجميل، واعترافاً بالفضل، فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاتذتي الكرام الأفاضل في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الدكتور محمد خازر المجالي –حفظه الله- الذي غمرني برعايته، وتفضل مشكوراً –جزاه الله خيراً- بالإشراف على هذه الرسالة، فبذل لي من جهد ووقته، وفتح لي عقله وقلبه ومكتبه، أزوره مستمعاً إلى توجيهاته الكريمة ونصائحه الغالية المفيدة، منتفعاً بعلمه الغزير وخبرته الواسعة حتى خرجت هذه الرسالة بهذه الصورة، وأسأل المولى تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلنا وإياه من الفائزين بالجنة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة الكرام على تفضلهم بقبول مناقشتهم لهذه الرسالة، أدامهم الله –تعالى- ذخراً لهذا الدين.

الفهرس

قرار لجنة المناقشة ....ب

الإهداء .... ج

الشكر والتقدير .... د

الفهرس.. هـ

الملخص.. ط

المقدّمة ....أ

فأولاً : أهمية الموضوع وسبب اختياره: ١

ثانياً: الدراسات السابقة: ٢

ثالثاً: منهجية البحث: ٣

رابعاً: خطة الرسالة: ٤

التمهيد ٦

مقدمات في الإعجاز والنفس ٦

المبحث الأول: مقدمات في الإعجاز: ٧

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح:.. ٨

المطلب الثاني: شروط المعجزة:.. ١١

المطلب الثالث: هل يشترط في المعجزة التحدي: ١٣

المبحث الثاني: مقدمات في النفس: ١٦

المطلب الأول: مفهوم النفس في اللغة و الاصطلاح:.. ١٧

أولاً: مفهوم النفس في اللغة:.. ١٧

ثانياً: مفهوم النفس وعلم النفس في الاصطلاح:.. ١٩

المطلب الثاني: الفرق بين النفس والروح:.. ٢١

المطلب الثالث: مفهوم النفس في القرآن الكريم:.. ٢٧

الفصل الأول..٢٩

مقدمات في الإعجاز النفسي..٢٩

المبحث الأول: متعلقات الإعجاز النفسي: ٣٠

المطلب الأول: معنى الإعجاز النفسي وأول من أشار إليه:.. ٣١

أولاً: معنى الإعجاز النفسي: ٣١

ثانياً: أول من أشار للإعجاز النفسي: ٣٢

المطلب الثاني: تاريخ الإعجاز النفسي والكتب التي أشارت إليه: ٣٤

أولاً: من أشار للإعجاز النفسي من الأقدمين: ٣٤

ثانياً: من أشار للإعجاز النفسي من المحدثين:.. ٣٦

المبحث الثاني: آراء العلماء في الإعجاز النفسي: ٤٨

المطلب الأول: المثبتون للإعجاز النفسي وأدلتهم:.. ٤٩

أولاً- أدلة الأعجاز النفسي من القرآن الكريم: ٤٩

ثانياً- من السنة النبوية الشريفة:.. ٥٢

ثالثاً- شواهد من تأثر الصحابة رضوان الله عليهم:... ٥٣
رابعاً- شواهد من تأثر المشركين لسماع القرآن الكريم: ٥٦
خامساً- شواهد من الحوادث الواقعة بعد عصر النبوة:... ٥٨
سادساً- إخبار القرآن عن مكنونات النفس الإنسانية:.. ٦٧
المطلب الثاني: المنكرون للإعجاز النفسي وأدلتهم: ٦٨
المطلب الثالث: موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز القرآني:... ٧١
المطلب الرابع: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني: ٧٥
أولاً: أصول وضوابط الإعجاز النفسي:... ٧٥
ثانياً: مسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني.. ٧٧
المطلب الخامس: علاقة الإعجاز البياني في الإعجاز النفسي:... ٧٩
أولاً: أسلوب الإيجاز:.. ٨٢
ثانياً: أسلوب التشبيه: ٨٣
ثالثاً: أسلوب الاستعارة:... ٨٤
رابعاً: أسلوب المبالغة:... ٨٥
خامساً: أسلوب البيان:... ٨٦
الفصل الثاني: الإعجاز النفسي وخفايا النفس الإنسانية ٨٨
المبحث الأول: القرآن الكريم يبين صفات النفس الإنسانية ومراتبها: ٨٩
المطلب الأول: صفات النفس الإنسانية في القرآن الكريم:... ٩٠
أولاً: النفس تكلف وتعمل وتكسب. ٩٠
ثانياً: النفس تكون مطمئنة وراضية ومرضية. ٩١
ثالثاً: النفس تشتهي:.. ٩٢
رابعاً- النفس تهوى: ٩٣
خامساً- النفس تسول وتزين:... ٩٤
سادساً- النفس توسوس: ٩٥
سابعاً-النفس تظلم: ٩٦
ثامناً- النفس تفرط:... ٩٦
تاسعاً- النفس تلوم:... ٩٧
عاشراً- النفس تأمر بالسوء:.. ٩٧
الحادية عشر- النفس تلهم وتجاهد: ٩٨
الثانية عشر - النفس مستقر الخاطر:... ٩٩
الثالثة عشر - النفس مستودع العلم واليقين والفكر:... ١٠١
الرابعة عشر- النفس تموت:.. ١٠٢
المطلب الثاني: مراتب النفس في القران الكريم: ١٠٤
المبحث الثاني: العيوب النفسية وعلاجها في القرآن الكريم. ١٠٦
المطلب الأول: الحقد والحسد:.. ١٠٧
المطلب الثاني: الشح والبخل: ١١٢
المطلب الثالث: الطمع والحرص وحب الدنيا:.. ١١٤
المطلب الرابع: العجب والكبر والرياء والغرور:... ١١٦

المطلب الخامس: الغضب والغيظ:.. ١١٩
المطلب السادس: اليأس والقنوط:.. ١٢٢
المطلب السابع: الغفلة والنسيان: ١٢٥
المبحث الثالث: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية: ١٢٧
المطلب الأول: إرشادات القرآن للإيمان من أجل الوقاية من الأمراض النفسية:........................... ١٢٨
أولاً: أثر الإيمان بالله في النفس الإنسانية: ١٢٨
ثانياً: أثر الإيمان بالقدر في النفس الإنسانية:.. ١٣٣
١. الإيمان بالرزق: ١٣٤
٢. الإيمان بالأجل والغيب: ١٣٦
ثالثاً: ثمرات العبادات:.. ١٣٧
المطلب الثاني: تقرير القرآن الكريم مسائل عقدية في النفس الإنسانية:.................................... ١٤٤
أولاً: القرآن يبين أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة : ١٤٤
ثانياً: القرآن يوضح فطرة النفس، وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد واللجوء إلى الله –تعالى-:... ١٤٥
ثالثاً: القرآن يبين أن الله مطلع على أسرار النفس الإنسانية: ١٤٦
رابعاً: القرآن يبين أن الله يدعو الإنسان للتأمل في النفس ومكنوناتها:...................................... ١٤٧
خامساً: القرآن يبين طبيعة خلق النفس الإنسانية وأنها من طين وروح 0: ١٤٧
سادساً: القرآن يبين ازدواجية الاستعداد في النفس الإنسانية: ١٤٨
سابعاً: القرآن يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول:.. ١٤٨
ثامناً: القرآن الكريم يصحح المعتقدات:.. ١٥٠
تاسعاً: القرآن يخبر عما قال المنافقون:.. ١٥٠
عاشراً: القرآن يكشف أحقاد أهل الكتاب ضد المسلمين:... ١٥٣
الفصل الثالث ١٥٥
الإعجاز النفسي في أحكام الشريعة ١٥٥
المبحث الأول: الإعجاز النفسي في العبادات: ١٥٦
المطلب الأول: الصلاة: ١٥٧
المطلب الثاني: الدعاء:... ١٦٢
المطلب الثالث: الصوم: ١٦٥
المطلب الرابع: الزكاة:... ١٦٨
المطلب الخامس: الحج: ١٧٣
المطلب السادس: الصبر: ١٧٦
المطلب السابع: الذكر:.. ١٧٨
المبحث الثاني: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب والعقوبات: ١٨٠
المطلب الأول: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب ١٨١
أولاً: المسلم يراعي نفسية أخيه المسلم:... ١٨١
ثانياً: مراعاة نفسية الضيف وكيفية التعامل معها و مراعاة الضيوف لنفسية صاحب البيت:............. ١٨٤
١. مراعاة نفسية الضيف وكيفية التعامل معها: ١٨٤
٢. مراعاة الضيوف لنفسية صاحب البيت: ١٨٥
ثالثاً: مراعاة نفسية المدعو و مراعاة نفسية المخطئ:... ١٨٧

١. مراعاة نفسية المدعو. ١٨٧
٢. مراعاة نفسية المخطئ: ١٨٨
رابعاً: مراعاة نفسية المجاهد: ١٩١
خامساً: مراعاة النفسية بين الأبوة والبنوة: ١٩٤
١. مراعاة نفسية الأب: ١٩٤
٢. مراعاة نفسية الأبناء: ١٩٦
سادساً: مراعاة نفسية كلا الزوجين لبعضهما: ١٩٩
المطلب الثاني: الإعجاز النفسي في العقوبات: ٢٠٢
أولاً: أثر الحدود في النفس الإنسانية: ٢٠٤
ثانياً: أثر القصاص في النفس الإنسانية: ٢١٣
الخاتمة ٢١٧
المصادر والمراجع ٢١٩
الأبحاث والرسائل الجامعية ٢٣٢
المجلات والدوريات ٢٣٢
ABSTRACT ٢٣٣

الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

(دراسة تأصيلية)

إعداد

عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود

إشراف

الدكتور محمد خازر المجالي

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم بدراسة تأصيلية نظراً لأهمية الموضوع في إثبات وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الوجه التأثيري النفسي، لما لهذا الموضوع من أثر في نفس وقلب كل سامع وتالٍ للقرآن الكريم، حتى ممن لا يعقل اللغة العربية، ولهذا نرى القرآن الكريم يولي هذا الجانب من الإعجاز العناية الفائقة خلال آياته الكثيرة الداعية للتدبر في عظيم أثر القرآن الكريم في النفس الإنسانية، وقد حرصت في رسالتي هذه على بيان جوانب هذا اللون من الإعجاز.

واشتملت هذه الرسالة على فصل تمهيدي، وثلاثة فصول:

أما الفصل التمهيدي فتحدثت فيه عما يتعلق بالمعجزة والنفس من متعلقات.

وفيه مبحثان:

الأول: مقدمات في الإعجاز.

الثاني: مقدمات في النفس.

وفي الفصل الأول عن معنى ونشأة الإعجاز النفسي وتاريخه والكتب التي تحدثت عنه.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإعجاز النفسي، وأول من قال به، وتاريخ الإعجاز النفسي عبر العصور، والكتب التي تحدثت عنه.

المبحث الثاني: آراء العلماء في الإعجاز النفسي وأدلتهم، وموقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز القرآني، ومسوغات دخول الإعجاز النفسي ضمن وجوه الإعجاز، وعلاقته بالبلاغة والبيان.

وفي الفصل الثاني عن خفايا النفس التي ترتبط بهذا اللون من الإعجاز.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن يبين صفات النفس الإنسانية ومراتبها.

المبحث الثاني: القرآن يكشف لنا عن عيوب النفس الإنسانية وكيفية علاجها.

المبحث الثالث: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية.

وفي الفصل الثالث عن الجوانب التشريعية في القرآن الكريم وكيفية تأثيرها وإعجازها للنفس الإنسانية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإعجاز النفسي وقضايا العبادات .

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي وقضايا الأخلاق والآداب والعقوبات .

وحوت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على سيّدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد:

فأولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

فإنّ القرآن الكريم كلام الله وحبله المتين، والذكر الحكيم والنور المبين، لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه ولا يملّ مع كثرة التكرار، وقد بذلت الجهود في خدمته، وسخّرت الأوقات في تدبّره، وهيّئت له الهمم، وخير ما خدم به كتاب الله تعالى بيان علومه، وإثبات إعجازه، فقد أسهم العلماء في بيان إعجازه، وكتبت الكتب، وصنّفت المصنّفات لإثبات مصدره ، ففي القرآن الكريم الدليل الأكبر على إعجازه، يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، و قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء:٨٨)، فبدءاً من هذه الآيات انطلقت جهود العلماء في إبراز وجوه إعجاز القرآن وضوابطه فمن العصر الأول عصر الصحابة وهم يتأملون في إعجازه وعظمته ويسطرون العبارات الدالة على ذلك خلال تفسيرهم لآياته دون إفراد كتاب في إعجاز القرآن وفي القرن الثاني الهجري ظهرت بعض المؤلفات التي تتحدث عن معاني القرآن وتضم في داخلها شيئاً من دلائل إعجازه، دون إطلاق كلمة إعجاز، فظهر كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة(ت٢٢٣هـ)و(معاني القرآن) للفراء (ت٢٠٧هـ)، كما ألف بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) كتابه (في تأويل مشكل القرآن) وأخذت المؤلفات تتتابع دون إطلاق كلمة إعجاز حتى القرن الثالث حيث ألف محمد بن يزيد الواسطي (ت٣٠٦ هـ) أول كتاب بعنوان (إعجاز القرآن) وبعد ذلك أخذت كتب إعجاز القرآن تتتابع كاشفةً عن وجوه إعجاز هذا الكتاب الكريم، وكان العلماء في قضية إثبات وجه إعجازه بين مضيق وموسع حسب النظرة التي انطلق منها كلُ منهما وقواعد استدلاله فبعضهم حصر وجه الإعجاز باللفظ وبعضهم ربط بين اللفظ والمعنى وبعضهم جعل وجه الإعجاز في الصرفة وبعضهم توسع ليجعل الإعجاز في البيان ليشمل اللفظ والمعنى والنظم.

ولم تقف جهود العلماء عند هذا الحد بل تعدت ذلك لتبرز وجوهاً من الإعجاز أظهرت في القرون المعاصرة فقد تعدت الإعجاز البياني لوجوه أخرى مثل الإعجاز العلمي والإعجاز التاريخي والإعجاز الموسيقي.

فقد جاءت رسالتي هذه محاولة لإبراز وجه آخر من وجوه الإعجاز القرآني وهو الإعجاز النفسي حيث إن القرآن قد تغلغل في النفوس وأثر فيها أيما تأثير، وكشف ما في داخلها وصوب معتقداتها وحرص على تقويم اعوجاجها بأسلوب سلس سهل يسير.

ثانياً: الدراسات السابقة:

لم أجد من أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة المستقلة الشمولية مع تأصيلاته وإبراز جوانبه، ولكن هنالك كتباً وأبحاثاً تناولت موضوع الإعجاز بصورة عامة، وتطرقت للإعجاز النفسي بصورة عارضة، ومن أهمها:

- إعجاز القرآن، د.فضل حسن عباس، وقد قسم كتابه إلى بابين:

  فتحدث في الباب الأول عن تاريخ الإعجاز وذكر شيئاً من الكتب المعاصرة.

  وتحدث في الباب الثاني عن وجوه الإعجاز، ففصل القول بالإعجاز البياني، ثم تعرض للإعجاز العلمي والتشريعي والغيبي ثم تحدث عن الإعجاز النفسي والروحي بالشيء اليسير، ص٣٣٠.

- إعجاز القرآن، د.صلاح الخالدي، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة فصول:

  الفصل الأول: مقدمات وتعريفات في الإعجاز القرآني.

  الفصل الثاني: تحدث عن الإعجاز البياني وقسمه إلى عشرين قسماً وهو معظم الكتاب.

  الفصل الثالث: تحدث عن دلائل مصدر القرآن الكريم، وذكر في مبحث منها: التحليلات

  النفسية، وبعض التأثيرات الوجدانية التي أحدثها القرآن في نفوس البشر، ص٤٧٤.

- الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم، وهو رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير مقدمة في جامعة آل البيت عام ١٩٩٩م، من الطالب خالد علي حسين العمري حيث قام الباحث بدراسة تاريخية لمن قال بالإعجاز النفسي وذكر شيئاً من أدلته فحسب دون التعرض لجوانب هذا الوجه من الإعجاز، ص١٣٠-١٧٠.

كما أن هنالك أبحاثا تناولت هذا الموضوع وأفردته، منها:

- الإعجاز النفسي، معناه وأدلته، أ.د.أحمد شكري، وهو موجود ضمن كتابه الإعجاز والتفسير بحوث في رسائل النور، لكن هذا البحث اقتصر على تعريف الإعجاز النفسي وذكر أدلته ومكانه بين وجوه الإعجاز، ولم يوضح الباحث مدى إمكانية إطلاق لفظ إعجاز على هذا النوع ومسوغ دخوله في وجوه الإعجاز، ولم يبرز جوانب الإعجاز النفسي والتأثيرات التي أحدثها في النفس القرآنية، ص١١٢وما بعدها.
- مظاهر التأثير القرآني على المؤمنين، د.عبد السميع خميس العرابيد، وهو بحث محكم في جامعة الأقصى، غزة – فلسطين. وجاء هذا البحث جامعاً لبعض أدلة الإعجاز النفسي فحسب، مع الإشارة لبعض من ذكر هذا الوجه من الإعجاز، ص١٠ وما بعدها.
- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، د. عصام العبد زهد، وهو بحث محكم في كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين. وجاء هذا البحث متحدثاً عن آراء كل من الخطابي والباقلاني والجرجاني والسيوطي وسيد قطب والشعراوي ومحمد فريد وجدي في الإعجاز النفسي، مع ذكر بعض من أدلة هذا اللون من الإعجازص٢١وما بعدها.

وتميزت دراسة الباحث في هذه الرسالة بما يأتي:

- تأصيل مسألة الإعجاز النفسي وهل يدخل ضمن وجوه الإعجاز القرآني.
- الإشارة إلى معنى الإعجاز النفسي، وتتبع الكتب التي تحدثت عنه.
- إبراز مذاهب العلماء في الإعجاز النفسي، وذكر أدلتهم، ومن ثم ذكر مسوغات دخوله ضمن مسمى الإعجاز.
- بيان جوانب هذا الإعجاز، وإبراز التأثيرات الإعجازية التي أحدثها القرآن في نفوس سامعيه.

ثالثاً: منهجية البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستنباطي التحليلي، حيث قام الباحث بتتبع بعضاً من الآيات القرآنية وتفسيرها من كتب التفسير التي تخدم بحثه، وتحليل عبارات الآية المتعلقة بالموضوع وبيان دلالاتها، ثم الخروج بقواعد تضم وتشمل الفروع الجزئية من البحث.

وكانت المنهجية كالآتي:

١. جمع بعضاً من الآيات القرآنية وبعض الأحاديث ذات الصلة بالموضوع، وتحليلها والاستنباط منها، أو التعليق عليها.
٢. الرجوع إلى المصادر الأصلية وأمهات الكتب ما أمكن في التفسير والإعجاز، بالإضافة إلى بعض الكتب المعاصرة.
٣. استعراض ومناقشة آراء العلماء فيما تحدثوا به في هذا الموضوع.
٤. ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث النبوية حسب الأصول.
٥. توثيق المعلومات حسب الأصول العلمية المتبعة.

رابعاً: خطة الرسالة:

اشتملت رسالتي على فصل تمهيدي وثلاثة فصول.

فتحدثت في الفصل التمهيدي عن ما يتعلق بالمعجزة والنفس من متعلقات.

وفيه مبحثان:

الأول: مقدمات في الإعجاز.

الثاني: مقدمات في النفس.

وفي الفصل الأول عن معنى ونشأة الإعجاز النفسي وتاريخه والكتب التي تحدثت عنه.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإعجاز النفسي، وأول من قال به، وتاريخ الإعجاز النفسي عبر العصور، والكتب التي تحدثت عنه.

المبحث الثاني: آراء العلماء في الإعجاز النفسي وأدلتهم، وموقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز القرآني، ومسوغات دخول الإعجاز النفسي ضمن وجوه الإعجاز، وعلاقته بالبلاغة والبيان.

وفي الفصل الثاني عن الخفايا النفسية التي ترتبط بهذا اللون من الإعجاز.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن يبين صفات النفس الإنسانية ومراتبها.

المبحث الثاني: القرآن يكشف لنا عن عيوب النفس الإنسانية وكيفية علاجها.

المبحث الثالث: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية.

وفي الفصل الثالث عن الجوانب التشريعية في القرآن الكريم وكيفية تأثيرها وإعجازها للنفس الإنسانية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإعجاز النفسي في العبادات .

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب والعقوبات .

وإني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا راجيا منه القبول، فهذا جهد المُقل إلا أن عزائي أني بذلت ما أستطيع، فما كان فيه من توفيق فبفضل من الله وتوفيقه وتأييده، ثم بفضل ونصح وإرشاد أستاذي الدكتور محمد خازر المجالي –حفظه الله تعالى- فله عظيم الشكر والامتنان، والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشد والصواب، وأن يأخذ بيدي للخير والصلاح، والحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

مقدمات في الإعجاز والنفس

وفيه مبحثان:

الأول: مقدمات في الإعجاز.

الثاني: مقدمات في النفس.

المبحث الأول: مقدمات في الإعجاز:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح ٠

المطلب الثاني: شروط المعجزة٠

المطلب الثالث: هل يشترط في المعجزة التحدي٠

المطلب الأول: الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الإعجاز في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والجيم والزاي أصلان، يدل أحدهما على الضعف، ويدل الآخر على مؤخرة الشيء" [١].وقال الراغب في كتاب المفردات: "عجز: عجُزُ الإنسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره. وقال تعالى ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر: ٢٠)، وأصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجُزِ الأمر أي تأخره" [٢].

وقال ابن منظور في لسان العرب:

"العَجْزُ نقيض الجزم، عجز عن الأمر يَعْجَزُ عجزاً.

والعِجزُ الضعف. تقول: عجزتُ عن كذا. وفي حديث ابن عمر: (لا تلبثوا بدار معجزة) [٣].

أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش. والمُعْجَزةُ بفتح الجيم وكسرها مُفْعَلَة من العجز: عدم المقدرة. وفي الحديث: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس [٤]) [٥]".

وجاء في المعجم الوسيط: " إعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي (أعجز) يعجز إعجازاً، والجذر الثلاثي عَجزه عَجّزَ يُعْجِزُ إعجازاً".

ومن لطائف الإشارة أن عين الكلمة (الجيم) في الفعل الماضي تُقرأ مثلثة بالفتح والضم والكسر.

فهي بالفتح عَجَزَ يعجزُ عَجزاً: من باب ضرب يضرب والمعنى ضعف عن الشيء ولم يقدر عليه.

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، ط ١٩٩٤، ص٧٣٨.

(2)الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، المفردات، المكتبة التوفيقية، ص٣٢٥.

(3) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، حديث رقم ٩٢٥٠ ١٦٢/٥ .

(4) مسلم بن الحجاج، صحيح الإمام مسلم، دار الحدث، القاهرة، ط١٤١٨/١هـ١٩٩٧م، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم ٢٦٥٥

(5) انظر ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، مادة عجز، ٣٦٩/٥.

وبالكسر: عَجِز: يَعجز من باب شَرِبَ يشرب والمعنى عظمت عجيزته كبرت مؤخرته.

وبالضم: عجُز: يَعجُزُ عجوزاً: بمعنى صار عجوزاً عاجزاً [(١)].

ومن ذلك يتضح لنا أن الإعجاز في أصل اللغة مأخوذ من العجز الذي يدل على الضعف والتـــأخر وعدم المقدرة.

ثانياً: الإعجاز والمعجزة في الاصطلاح:

قال الجرجاني في التعريفات: "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق [(٢)]".

والمعجزة: هي أمر خارق للعادة سالم من المعارضة يجريه الله على يد رسوله تصديقاً له في دعوى النبوة وتكون حسية ومعنوية [(٣)].و سميت معجزة لأن العرب يعجزون عن الإتيان بمثلها [(٤)]. وتقييد العجز بالعرب أمر مرجوح، وإنما العجز عام لجميع الإنس والجن بصريح نصوص القرآن الكريم.

وعرفها الزرقاني بأنها "أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يظهره الله على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه" [(٥)].

وذهب الدكتور الخالدي في حديثه عن المعجزة في القرآن: أنها عدم مقدرة الخلق على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله رغم توفر ملكتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك،

---

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة ١٩٨٩، ص٥٨٥.

(2) الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (٨٢٦ هـ)، التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٥، مصطلح رقم ١٦٩.

(3) انظر تعريف المعجزة: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى (ت ٧٥٦ هـ)، المواقف في علم الكلام، شرح السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١هـ ١٩٩٧م، ٣٣٨/٣، والبيجوري، ابرهيم بن محمد ، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ١٩٨٣م، ص١٣٨، العقيدة الإسلامية، محمود سالم عبيدات، المطابع العسكرية، عمان – الأردن، ص٤٢٢.

(4) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن العمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم محمد البدري، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، ٥١/١.

(5) انظر الزرقاني، محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٧٣/١.وحبنكة، عبد الرحمن حسين، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم دمشق، ط٥، ١٤٠٨هـ١٩٨٨ م، ص٢٣٨.

وهو استمرار تحديهم [١] وتقرير عجزهم [٢].

وإذا قمنا بالنظر إلى هذه التعريفات فستدلّنا إلى معنى إجمالي وهو ما يمنحه الله لنبيّه ليدلّل على صدق نبوّته، ومعجزة القرآن الكريم قد تميّزت عن غيرها بأنّها عامّة وشاملة لكلّ زمان ومكان وعصر؛ فلا يجوز حصرها بالعرب أو بالكافرين فقط، والعجز يظهر بدلالة الحال والأقوال أمّا دلالة الحال فالقرآن الكريم والسنّة النبويّة فيها من الشواهد الكثيرة التي تدلّ على ذلك وكذلك دلالة الأقوال، وسنعرض لبعضها عند حديثنا عن أدلّة الإعجاز النفسيّ – إن شاء الله -.

---

(1) سنشير إلى مسألة اشتراط التحدي في المعجزة في المطلب الرابع، و عند حديثنا عن مسوغات دخول الإعجاز النفسي ضمن وجوه الإعجاز وأقوال العلماء في اشتراط التحدي في المعجزة.

(2) الخالدي، د.صلاح، إعجاز القرآن البياني، دار عمار، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧.

المطلب الثاني: شروط المعجزة:

لقد وضع العلماء مجموعة من الشروط للمعجزة و لمن جاء بها وهي:

١. أن تكون أمراً من الله –تعالى- ليصدق مدعي النبوة والأمر يشمل:
   - القول كالقرآن الكريم.
   - الفعل كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وناقة صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام.
   - الترك كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام.

٢. أن تكون خارقة للعادة التي اعتاد عليها الناس واستمروا عليها مرة بعد أخرى. وهذا الشرط يقيد أن غير الخارق لا يكون معجزة كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب.

٣. أن تكون على يد مدعي النبوة والرسالة.

أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة وعندئذٍ لا تدخل المعجزة في الأمور التالية:

- الإهانة التي تظهر على يد فاسق أو كافر كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث بصق في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة [1].
- الاستدراج: وهي ما ظهر على يد فاسق أو كافر خديعة أو مكراً به أي استدراجاً له وزيادة في غيهم حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون. كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: ٤٤).
- المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة أو ضيق.
- الكرامة: وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والاستقامة.

٤. أن لا تكون متقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزمن يسير يعتاد مثله. فتخرج بذلك الإرهاصات وهي ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كما في ظلال الغمام له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره، وككلام عيسى –عليه السلام- في المهد.

٥. أن تكون موافقة لدعوى النبوة. فتخرج بذلك المخالف لها كما إذا قال آية صدقي انغلاق البحر فانفلق الجبل.

٦. أن لا تكون مكذبة له. فيخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له كما إذا قال آية صدقي نطق الجماد، فنطق الجماد أنه كذاب.

---

(1) عبيدات، العقيدة الإسلاميّة، ص ٤٢٢ .

٧. أن تتعذر معارضتها.
ويخرج بذلك:

- السحر: وهو قواعد تكتسب بالتعليم يقتدر بها على أفعال غريبة.
- الشعبذة: وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة، ولا حقيقة لها كي يقع للحياة [١].

---

(1) البيجوري، تحفة المريد٣/٣٣٨، وابن تيمية، أحمد بن تيمية، النبواتل، أصول السلف، ط١/٢٠٠٠م، ص٢٥٩،. فضل عبّاس، إعجاز القرآن، ص ١٨، د. الخالدي، الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ص ١٨، الميداني، العقيدة الإسلاميّة، ص ٢٣٨، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١/٥١ ، .

المطلب الثالث: هل يشترط في المعجزة التحدي:

إن هذه النقطة هي إحدى نقاط الخلاف بين من قال إن الإعجاز البياني هو الوجه الوحيد من وجوه الإعجاز وبين من قال بتعدد وجوهه (النفسي، والغيبي، والتشريعي، والعددي، ..).

وإذا نظرنا إلى أقوال العلماء في هذه المسألة نراها منقسمة إلى مذهبين:

فالمذهب الأول هم الذين قالوا بأن التحدي ليس شرطاً في المعجزة [١].

ومن أنصار هذا المذهب الإمام ابن حزم حيث يقول: "الادعاء بأن إحالة الطبيعة لا تكون آية حتى يتحدى فيها النبي الناس غير صحيح، وهي دعوى لا دليل عليها أصلا، لا من عقل ولا من كتاب ولا من سنة ويترتب على هذا القول أن حنين الجذع وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع الشعير ونبع الماء من بين أصابع الرسول وإروائه ألفاً وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر ليس بشي من ذلك" [٢].

المذهب الثاني:

وهم الذين اشترطوا التحدي [٣] في المعجزة واستدلوا بالطلب الموجود في آيات التحدي: يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، و يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).

والذي يتضح بعد التدقيق في أدلة كل من الفريقين أن التحدي موجود في بعض

---

(1) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص ١٣٨، والسائح، عبد الحميد، عقيدة المسلم، ص٢٢١، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلاميّة، عمّان - الأردن، ط١ ١٣٨٩ هـ ، ١٩٧٨ م.

(2) ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت ٣٦/١.

(3) انظر محمد عبده، رسالة التوحيد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١٠، ١٣٦١هـ، مصر، ص٩٩. وللعلم فقد وجدت خطأ في نسبة الكتاب إلى مؤلفه حيث ذكر كل من الشيخ السائح في كتابه (عقيدة المسلم) ص٢٢١، والدكتور محمود عبيدات في كتابة (العقيدة الإسلامية) ص٤٢٢ نسبة "رسالة التوحيد" إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والصواب نسبته إلى الشيخ محمد عبده، حيث قمت باستقراء مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم أجد له كتاباً بعنوان(رسالة التوحيد) إلا أنني وجدت كتاباً آخر بعنوان(مجموعة رسائل التوحيد) ولم يذكر فيه هذه المسألة، ثم قمت بالرجوع إلى الكتاب المشار إليه فتحققت من مؤلفه فإذا هو محمد عبده، وأظن أن الشيخ محمود عبيدات قد استقى هذه المعلومة من كتاب السائح دون أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب.

المعجزات وليس موجوداً في البعض الآخر.

وعلى هذا فإن الوجه البياني (الإعجاز البياني) هو الذي تحدى به الرسول ﷺ في قوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤).

أما المعجزات الأخرى مثل المعجزات المادية والوجوه الأخرى من الإعجاز القرآني مثل (الغيبي والتشريعي والنفسي وغيرها) ليست من الوجوه التي فيها تحدي، وإن كانت أمراً خارقاً للعادة ودالة على صدق النبي وأن القرآن ليس من كلامه [1].

فلا يلزم من كون التحدي مقروناً بالإعجاز البياني أن يكون شرط التحدي مقروناً بكل وجه من وجوه الإعجاز.

وبعد النظر في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وآراء العلماء وفي شروط المعجزة واختلافهم حول مسألة التحدي يتضح لنا أن المعجزة تنقسم إلى قسمين.

القسم الأول: فهو كل أمر خارق للعادة يجريه الله على يد نبيه تصديقاً له في دعوى النبوة، وإن لم يكن مقروناً بالتحدي.

وأما القسم الثاني: فهو الأمر الخارق للعادة الذي يجريه الله على يد نبيه تصديقاً له في دعوى النبوة ويكون مقروناً بالتحدي.

وإذا طبقنا هذه القاعدة على الإعجاز القرآني سنجد أن المعجزة بالقسم الثاني هي التي تنطبق على الإعجاز البياني للقرآن الكريم، حيث إن الله -تعالى- تحدى العرب بأن يأتوا بمثل بيان القرآن الكريم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣). ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾(الطور: ٣٤).

وإن القسم الأول للمعجزة ينطبق على باقي وجوه الإعجاز؛ مثل الإعجاز التشريعي والإعجاز العلمي والإعجاز النفسي الذي هو محط البحث..).

فهذه الوجوه من الإعجاز لم يتحد بها رسول الله ﷺ البشر ولا المشركين، فهي خارقة للعادة، فليس من الممكن أن يأتي رجل في جوف الصحراء بمسائل علمية لم يتوصل إليها إلا بعد قدومه بألف وأربعمائة سنة تقريباً، وليس في الممكن من رجل أمي أن يعرف ما في نفوس الكفار وأن يأتي بكلام يذهل عقولهم كما جاء القرآن الكريم، وهكذا في كل وجوه التشريعي، فهي

---

(1)الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٢٠.

أمور خارقة للعادة سليمة من المعارضة تدل على صدق النبي ﷺ وإن لم تكن مقترنة بالتحدي مثل المعجزات المادية له ﷺ.

المبحث الثاني: مقدمات في النفس:

وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: مفهوم النفس في اللغة و الإصطلاح.

الثاني: الفرق بين النفس والروح.

الثالث: مفهوم النفس في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم النفس في اللغة و الاصطلاح:

أولاً: مفهوم النفس في اللغة:

يمكننا القول بأن المعجمات اللغوية قد حددت معاني النفس فيما يلي:

جاء في القاموس المحيط أن النفس:

١.عين الشيء: جاء نفسه.

٢. السعة والري: ومنه شراب ذو نفس أي ذو سعة وري .

٣.النفيس: المال الكثير.

٤.النفس: الروح" [١].

وجاء في تاج العروس: "قال أبو إسحاق: النفس في كلام العرب تجري على ضربين:

الضرب الأول الروح قولك: خرجت نفسه أي روحه.

والضرب الثاني: جملة الشيء وحقيقته.

وعلى الأول: قال أبو خراش:

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزراً

وقال النفس: (العند). قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة،: ١١٦).. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٤٢). وروي عن ابن عباس أنه قال: "لكل إنسان نفسان: أحدهما نفس العقل الذي يكون به التمييز والآخر نفس الروح الذي يكون به الحياة"، وقال ابن الأنباري: "من اللغويين من سوى بين النفس والروح [٢] وقال هما شيء واحد إلا أن النفس مؤنثة والروح مذكرة" [٣].

وقال صاحب الصحاح: "ومن المجاز النفس بمعنى الدم، يقال: سال نفسه؛ أي دمه [٤]".

---

(1) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الرسالة، ط٣، ص٧٤٦.

(2) سنشير إلى الفرق بين النفس والروح في مطلب قادم.

(3) الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، مادة (نفس)، ٢٥٩/٤-٢٦٠.

(4) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (نفس)، ٩٨٤/٣.

وجاء في أساس البلاغة: "دفق نفسه أي دمه، ومنه النفاس والنفساء" [1].

والذي تطمئنّ النفس له أنّ النفس تشمل جميع ما ذكر من تعريفات بل تزيد عليه لتشمل الروح والجسد كما في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣)، والجسد وحده كما في قوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥). وتشمل السرائر قال تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (الإسراء: ٢٥).

---

(1) الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، ، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م، ص٦٤٧.

ثانياً: مفهوم النفس وعلم النفس في الاصطلاح:

لقد اختلفت عبارات الباحثين في تعريف النفس وعلم النفس، إلا أن التعريفات في مجملها تدل على الخفايا الإنسانية وما يجول في خواطر الإنسان وما يترتب على ذلك من الانعكاسات السلوكية.

فالنفس (في علم الإجتماع)هي ذلك الكل المركب من الجسد والروح والذي تطلق عليه أحياناً الذات أو الأنا، وهي تحمل سمات الجسم والروح (1).

وعرفها التهانوي فقال: يطلق عند الحكماء بالإشتراك اللفظي على المفارق عن المادة في ذاته دون فعله، وهو على قسمين: نفس فلكية ونفس إنسانية (٢).

وعلم النفس (في الطب النفسي) هو فرع من العلوم يبحث في السلوك والخبرة والأفعال والعمليات العقلية للإنسان، ويبحث في الخبرة التي يمر بها الكائن الحي خلال تفاعله مع بيئته، وفي الحياة الشعورية واللاشعورية بمظاهرها الداخلية والخارجية (٣).

فنلاحظ أن النفس مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء والتعقيد في جوانبها المحيرة والمدهشة.

وعرفه الدكتور محمد مصطفى زيدان بأنه: "علم يدرس الحياة العقلية الشعورية واللاشعورية بمظاهرها الداخلية والخارجية" أو: "علم وصفي يبحث في الأعمال العقلية من حيث وصفها وتطورها وعلاقة بعضها ببعض وتأثيرها في السلوك" (٤).

وعلق على طبيعة هذا العلم الدكتور أبو هندي فقال: "و هو العلم الذي يختص بدراسة

---

(1) انظر الطويل، د. عزت، النفس في القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٢م، ١٤٠٣هـ، ص٥٥، وعبد العزيز،مفتاح، القرآن الكريم وعلم النفس، منشورات جامعة قابوس، بنغازي، ط١٩٩٧/١م، ص٢٠، قاروط، محمد محمد، الإنسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٨٢ .

(2) التهانوي، محمد علي بن محمد، كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٩٩٩/١م، ٢١٥/٤ .

(3) د.حسان العمد قمحية، ود.عمار سمير، ود.معتز قعصراني، الطب النفسي، دار الألباب، دمشق، ط١، ص٢.

(4) انظر زيدان، الدكتور محمد مصطفى، القرآن وعلم النفس، دار مكتبة الأندلس، بنغازي-ليبيا، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ط١، ص٢٣.

السلوك الإنساني وعلاقته بالبيئة المحيطة من خلال الطريقة العلمية في البحث" [١].

والناظر في هذه التعريفات سواءً في تعريفات علم النفس والطب النفسي والتعريفات الفلسفية عند الحكماء والمتكلمين يجد أنها تدل في مجملها أن علم النفس: هو علم يحاول اكتشاف مكنونات النفس البشرية واستخراج مخزونها ومحاولة خطابها والقرآن الكريم قد أثبت إعجازه في هذا الجانب.

(1) أبو هندي، وائل، نحو طب نفسي إسلامي، ص١٢١.

المطلب الثاني: الفرق بين النفس والروح:

انقسم العلماء إلى ثلاثة مذاهب عند تعريفهم للنفس والروح، وسبب هذا الخلاف ما وقع من نصوص تعطي مدلولاً أن النفس والروح شيء واحد وأن بينهما ارتباطاً، أو مختلفتان اختلافاً تاماً.

المذهب الأول: من قال إن النفس والروح شيء واحد. وقد ذهب إليه الجمهور واستدلوا بالآتي:

أولاً: شهرة هذا الإطلاق جداً –أعني إطلاق النفس بمعنى الروح في الكتاب والسنة، مستدلين بالآيات التي تعطي مدلولاً أن النفس والروح شيء واحد مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣) [(١)].

أما السنة: فقد استدلوا بالحديث الذي أخرجه البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: (أن رسول الله ﷺ قال لبلال: اكلأ لنا الليل، فغلبت بلال عيناه فلم يستيقظ النبي ﷺ، ولا بلال، ولا أحد من الصحابة، حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، فقال يا بلال؟ فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك بأبي أنت وأمي يا رسول الله!، وذلك الحديث [(٢)]، وقال: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾ (الزمر: ٤٢). وفي رواية أخرى لأبي قتادة الأنصاري في حديث ذكر فيه نوم رسول الله ﷺ، حتى طلعت الشمس، أن رسول الله ﷺ قال: (ألا إنا نحمد الله أنا لم نكن في شيء في أمر الدنيا يشغلنا عن صلاتنا ولكن أرواحنا كانت بيد الله عز وجل فأرسلها أنى شاء) [(٣)].

كما استدلوا بالحديث الذي رواه البزار عن أبي هريرة –رضي الله عنه-: (أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى للنفس: أخرجي قالت لا أخرج إلا كارهة قال: اخرجي وإن

---

(1) الفتوحات الربانية لتزكية النفس البشرية وتهذيب دوافعها الفطرية، د.صادق المنا، ص٦٠.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار إبن كثير، دمشق، كتاب المواقيت باب الأذان بعد ذهاب الوقت، رقم، ٥٧٠، وفي التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾رقم٧٠٣٣، وأخرجه مسلم رقم (٦٨٠) في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها.

(3) أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب من نام عن صلات أو نسيها، رقم ٤٣٨.

كرهتي) [١].

قال الإمام ابن حزم: "فعبر رسول الله ﷺ بالأنفس وبالأرواح عن شيء واحد ولا يثبت عنه عليه الصلاة والسلام في هذا الباب خلاف لهذا أصلاً" [٢]، وقال أيضاً: "إن النفس مخلوقة، برهان هذا أننا نجد الجسم في بعض أحواله لا يحس شيئاً، وأن المرء إذا فكر في شيء ما، فإنه كلما تخلى عن الجسد، كان أصح لفهمه، وأقوى لإرادته، فعلمنا أن الحساس العالم، الذاكر، هو شيء غير الجسد، ونجد أن الجسد إذا تخلى منه ذلك الشيء، موجود بكل أعضائه ولا حس له ولا فهم، إما بموت وإما بإغماء وإما بنوم، فصح أن الحساس الذاكر هو غير الجسد، وهو المسمى في اللغة نفساً وروحاً، قال تعالى:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢) وهي الروح نفسه، برهان ذلك أن قد قام البرهان –كما ذكرنا هاهنا- شيئاً مدبراً للجسد هو الحس، الحساس المخاطب، ولم يقم برهان قط بأنهما شيئان فكان من زعم بأن الروح غير النفس، قد زعم بأنهما شيئان، وقال ما لا برهان له بصحته، وهذا باطل. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١) فمن لا برهان له فليس صادقاً، فصح أن النفس والروح أسماء لمسمى واحد" [٣].

أما المذهب الثاني: التوحد في الحقيقة والتعدد بالاعتبار، ويمثله كلام السهيلي –رحمه الله- إذ يقول: "فصل: ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف هل هي النفس؟ أو غيرها؟ وقد كثرت في ذلك الأقوال، واضطربت المذاهب، فتعلق قوم بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع، لأنها نقل آحاد، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل، ومجازات العرف، واتساعاتها في الكلام كثيرة، فمما تعلقوا به في أن الروح: النفس، قول بلال: "أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك"، مع قول النبي ﷺ: (قبض أرواحنا ..) [٤] وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول[٥].

---

(1) انظر كشف الأستار عن زوائد البزار، للحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق حبيب الله الأعظمي، ٣٧١/١، مؤسسة الرسالة. قال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات.

(2)ابن حزم، المحلى، ٦/١ .

(3)ابن حزم، المحلى، ٥/١ .

(4)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة،رقم،٣١٥٨وأخرجه مسلم رقم ٢٦٣٨ كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، رقم٢٦٣٨.

(5)السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت ٥٨١ هـ)، الروض الآنف في تفسير السيرة لابن هشام، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ٦٢/٢، "بتصرف".

والمتتبع لسياق القرآن الكريم في استخدامه للفظة (النفس) و (الروح) يجد أن كل واحدة منهما قد أعطت معنىً مغايراً للآخر، فقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩) ولم يقل: من نفسي. وكذلك قال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (السجدة: ٩) ولم يقل من نفسه. ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام، وذلك يدل على أن بينهما فرقاً في المعنى، وبعكس هذا قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦). ولم يقل: تعلم ما في روحي، ولا أعلم ما في روحك، ولا يحسن هذا القول أن يقوله غير عيسى عليه السلام، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد، كالليث والأسد، لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (المجادلة: ٨) ولا يحسن في الكلام يقولون في أرواحهم، وقال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ (الزمر: ٥٦) ولم يقل: أن تقول روح، ولا يقوله أعرابي.

فبعد إطناب طويل في ذكر الردود نرى السهيلي يقعد مذهبه فيقول: "الروح مشتق من الروح –وهو جسم هوائي لطيف- به تكون حياة الجسد عادة، وأجراها الله تعالى لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة حتى ينفخ فيه ذلك الروح، الذي هو في تجاويف الجسد، كما قال ابن فورك، وأبو المعالي وأبو بكر المرادي، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري، وبعض كلامهم واحد ومتقارب، فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى، فهو كالماء الجاري في عروق الشجر صعدا، حتى تحيا به عادة، فنسميه ماء باعتبار أوليته، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته، واعتبار النفخة التي هو (روح ...) فما دام الجنين في بطن أمه حياً فهو ذو روح، فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقاً، وأوصافاً لم تكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كلفا به، وعشق مصالح الجسد ولذاته، ودفع المضار عنه، سمى (نفساً)" [(١)].

وقد عبر بالنفس عن جملة الإنسان، روحه، وجسده، فتقول عندي ثلاث أنفس، ولا تقول: عندي ثلاثة أرواح، وإنما اتسع في النفس، وعبر بها عن الجملة، لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفساً.

فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس هي الروح على الإطلاق حتى تقيد بما تقدم، ولا يقال في الروح: هو النفس إلا كما يقال في الماء هو الخمر أو الخل، على معنى أنه ستضاف إليه أوصاف يسمى بها خمراً، أو خلاً، فتقييد الألفاظ هو معنى الكلام، وتنزيل كل لفظ

---

(1)السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت ٨٥١ هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ٦٢/٢، "بتصرف".

في موضعه هو معنى البلاغة فافهمه.

وأضاف الزبيدي معنى آخر حيث قال: الروح الذي به الحياة والنفس التي بها العقل فإذا أقام القائم قبض الله نفسه ولم يقبض روحه إلا عند الموت...، ثم يقول والحق أن بينهما فرقاً ولو كانا اسمين بمعنى واحد كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان الآخر فقوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩) ولم يقل من نفسي وقوله ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ (المائدة: ١١٦) ولم يقل ما في روحي...، فأين الفرق إن كانت النفس والروح بمعنى واحد، [(١)].

وذهب أبو العز الحنفي إلى أن النفس تطلق على الروح ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن أما إذا أخذت مجردة فيه فتسمى روحاً على الأغلب وتطلق النفس على البدن أما الروح فلا تطلق على البدن [(٢)].

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن الفرق بين النفس والروح فأجاب: الروح ماكان فيه الحياة سواء كان ذلك حياً أم ميتاً.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، لأن فيه حياة القلوب والإيمان. والروح التي حياة البدن فيها ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٨٥)، أما النفس فهي تطلق على ما يطلق عليه الروح وتطلق على الإنسان نفسه للتوكيد مثل حضر فلان نفسه من حيث اللغة [(٣)].

والمذهب الثالث: وهم الذين قالوا إن النفس والروح تختلف عن بعضها اختلافاً تاماً بل كل واحدة منهما متعلق بأمر وشيء.

وقد نقل ابن القيم في كتابه الروح أقوالاً في ماهية الاختلاف بين النفس والروح: "وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف: الروح غير النفس، قال مقاتل بن سليمان [(٤)]: "للإنسان حياة وروح ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء، ولم تفارق الجسد، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع، فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة

---

(1) انظر الزبيدي، تاج العروس، ٢٦٠/٤.

(2) ابن أبي العز الحنفي شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٩٨٨م، ص٩٤.

(3) انظر ابن عثيمين، محمد بن صالح، نور على الدرب، جمعه أم عبد الرحمن، ج١، ط١، بدون ناشر ولا دار نشر، ص٧٥.

(4) هو مقاتل بن سليمان، أبو الحسن البلخي توفي بعد سنة ١٥٠ هـ بقليل.

والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله عز وجل أن يريه في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت"، وقال أيضاً: إذا نام خرجت نفسه فصعدت إلى فوق فإذا رأت الرؤيا رجعت أخبرت الروح، ويخبر الروح القلب. فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت، قال أبو عبد الله بن منده [١]: ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح نورية روحانية، وقال بعضهم: الروح لاهوتية [٢] والنفس ناسوتية [٣]، وأن الخلق بها ابتلي[٤].

وهذا أمر صحيح فان نفس الميت تفارق بدنه بالموت وهذا مبني على أن النفس قائمة بنفسها تبقى بعد فراق البدن بالموت منعمة أو معذبة "وهذا مذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم وهو قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين وان كان كثير من أهل الكلام يزعمون أن النفس هي الحياة القائمة بالبدن" [٥].

وبعد هذا السرد لأقوال العلماء في قضية النفس والروح لعل أرجح الأقوال وأوسطها في نظر المنصف، هو ثانيها، والذي محصله: التوحد بالحقيقة مع التعدد بالاعتبار وهو القول الذي قاله السهيلي، فإنه الذي ينسجم مع كافة موارد النصوص ، وهو أيضاً لو أمعن النظر فيه لا يختلف عن قول الجمهور: فإنه لا يغفل بحال من الأحوال ملاحظة الروح فيما يراد من النفس، إذ النفس لا تزيد على أن تكون الروح، ملاحظاً فيها خصيصة الاتصال بالجسد، كما رأيت. فمن ثم استحسن هذا القول ابن كثير بعد كلام السهيلي ملخصاً. ثم قال: وهذا معنى حسن. والله أعلم [٦].

ومما يلحق بهذا الجانب الكلام عن طبيعة النفس البشرية، فقد اختلف بهذه الناحية العلماء ومذاهبهم بإيجاز: الباقلاني: هي نسيم الداخل والخارج بالنفس، والأشعري: يميل إلى مادية

---

(1) هو محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن منده، إمام حافظ ، أبو عبد الله، له مصنفات منها: كتاب الإيمان، معرفة الصحابة، كتاب التاريخ وهو كبير جداً، وقد توفي عام ٢٧٥هـ.

(2) الآهوتية: نسبة إلى اللاهوت عند النصارى ويعني الألوهية.

(3) ناسوتية: نسبة إلى الإنسان.

(4) ابن قيم الجوزية، كتاب الروح، تحقيق محمد قطب ووليد الذكري، المكتبة العصرية، ط ٢٠٠٣/١م، ص٢٧٩ .

(5) انظر ابن تيمية ؛أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، دار عالم الكتب ١٤١٢هـ ١٩٩١م(٩ /٢٧٢)٠

(6) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٦٥/٣، و المنا، صادق، الفتوحات الربانية في تزكية النفس البشرية، ص١٢.

النفس [١]،أما الفلاسفة والصوفية:فقالوا هي جوهر روحاني بسيط قائم بذاته مستقل عن الجسم والنفس هي ذات الإنسان وحقيقته [٢].

و ساق ابن قيم الجوزية في كتابه الروح الأقوال ولم يرجح بينها، ولكنه كان مطنباً في ذكر حجة من قال بأنها روحانية وليست جسمية وساق على ذلك اثنين وعشرين دليلاً [٣].

فالذي يميل إليه القلب أن النفس الإنسانية تضم في داخلها الجانب الروحي وذلك لطبيعتها الخفية والجانب الجسمي وذلك لما يشاهد عنها من انعكاسات ومشاهدات.

---

(1) ابن حزم، المحلى، ٥/٦٥-٦٦، ٧/٧٤، ابن قيم الجوزية، الروح، ص٢٥٣-٢٥٧، قاروط، الإنسان والنفس، ص٧٨.

(2) ابن قيم الجوزية، الروح، ص٢٥٣-٢٥٧، قاروط، الإنسان والنفس، ص٧٨.

(3) ابن قيم الجوزية، الروح، ص٢٥٤-٢٥٧.

المطلب الثالث: مفهوم النفس في القرآن الكريم:

لقد وردة لفظة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا دليل واضح على أهمية البحث في جوانب هذه الكلمة ومعانيها٠

وممن اعني بإبراز معنى الكلمة القرآنية الإمام الراغب حيث يقول: "النفس: الروح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦)" [١].

والصواب أن النفس في القرآن الكريم، تحوي أكثر من معنى الروح، فلقد جمع معاني النفس في القرآن الكريم الدكتور الصادق المنّا محمد وحصرها في ثلاثة إطلاقات [٢]:

الإطلاق الأول: بمعنى الذات. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة، الآية: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(آل عمران: ٣٠).

والإطلاق الثاني: بمعنى الروح. قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر: ٢٧).

الإطلاق الثالث: ما به التمييز وهو العقل أو القلب، وهو المعبر عنه (بالعند).

قال تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (الإسراء: ٢٥).

ويمكن جمع ما قيل في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي: على أن النون والفاء والسين لها أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح وغيره [٣].ثم تفرع هذا

---

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص٥٠٢، مادة نفس.

(2) محمد، د.الصادق المنّا، الفتوحات الربانية لتزكية النفس البشرية وتهذيب دوافعها الفطرية، ، بدون ناشر ولا دار نشر، ص٥، ولعله استفاد هذا الحصر من الآلوسي انظر الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧ /٦٦.

(3) ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص١٠٤٠ ٠

المعنى ليشمل المعاني اللغوية والاصطلاحية.

والذي تطمئنّ النفس له أنّ النفس في القرآن الكريم تشملِ جميع ما ذكر من تعريفات بل تزيد عليه لتشمل الروح والجسد كما في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣)، والجسد وحده كما في قوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥). وتشمل السرائر قال تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (الإسراء: ٢٥)، وعلم النفس في القرآن الكريمِ: هو علم يحاول اكتشاف مكبوتات النفس البشريّة واستخراج مخزونها ومحاولة خطابها، والقرآن أثبت إعجازه في هذا الجانب.

الفصل الأول

مقدمات في الإعجاز النفسي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: متعلقات الإعجاز النفسي:

المبحث الثاني: آراء العلماء في الإعجاز النفسي:

المبحث الأول: متعلقات الإعجاز النفسي:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الإعجاز النفسي وأول من أشار إليه٠

المطلب الثاني: تاريخ الإعجاز النفسي والكتب التي أشارت إليه٠

المطلب الأول: معنى الإعجاز النفسي وأول من أشار إليه:

أولاً: معنى الإعجاز النفسي:

أول ما ينبغي الإشارة إليه أن التعريفات المقعدة لمعنى الإعجاز النفسي هي تعريفات معاصرة. ولم أجد تعريفاً للعلماء السابقين لتعريف الإعجاز النفسي، ويرجع ذلك إلى أن العلماء السابقين كانوا يربطون الإعجاز النفسي بالإعجاز البياني، ويعتبرونه ثمرة من ثمرات البيان، لا يمكن فصله عنها [١] .

وإذا نظرنا إلى التعريفات التي ذكرها العلماء للإعجاز النفسي نجد أنها تبحث في مجالين [٢]، أما المجال الأول فهو حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها وكشفه لخباياها وخفاياها.

أما المجال الثاني فهو تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء أكانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات.

ومن العلماء الذين وضعوا تعريفاً خاصاً للإعجاز النفسي الدكتور فضل حسن عباس حيث يقول: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم وما يفرحهم وما يحزنهم، وعن بيان لمكنونات النفس وخفاياها ودوافعها في آي القرآن" [٣].

ويعرفه الدكتور أحمد شكري بأنه: "عدم مقدرة الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه"" [٤].

فهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يرتقي ويفوق ويتميز عن تأثير غيره من كلام الأدباء والحكماء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأي كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره إلى درجة تأثير القرآن الكريم ومعظم تلك التأثيرات سلبية تؤدي إلى سقوط والانحدار بخلاف تأثير القرآن إيجابياً ورقياً كما أن تأثير تلك الأعمال لحظي سرعان ما ينمحي وتزول آثاره بخلاف تأثر القرآن الكريم الممتد أثره.

وإذا قمنا بربط المصطلحات السابقة يتبين لنا أن الإعجاز النفسي في القرآن الكريم هو

---

(1) سنفصل القول في أقوال العلماء عند حديثنا عن موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، ط١٤١٣/٣هـ-١٩٩٢م ص٣٣٤ .

(3)عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ط٥، ص٣٣٠.

(4) شكري، بحوث في الإعجاز، ص١١١.

مقدرة القرآن الكريم على اكتشاف مكنونات النفس البشرية واستخراج مخزون حفاياها ومخاطبتها بما تفعل بأسلوب يستحيل على غيره من صدق الكلام وفنونه [١].

وبعد سوق أقوال العلماء والباحثين نجد أن الإعجاز النفسي له جانبان: أولهما المتعلق بأسلوب القرآن من ناحية، والثاني المتعلق بكشف الخفايا والأسرار الإنسانية التي لا يمكن لأحد من البشر الاطلاع عليها، وهذا من أوضح وجوه الإعجاز التي تدل دلالة واضحة أن القرآن الكريم ليس من كلام محمد ﷺ.

ثانياً: أول من أشار للإعجاز النفسي:

ويعد أول من أبرز هذا النوع من الإعجاز الإمام الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) [٢] وأشار إلى هذا الوجه بعبارة صريحة لا تحتمل التوجيه والإبهام، حيث يقول في رسالته "بيان إعجاز القرآن":

"في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب [٣] والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق [٤] ما تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً" [٥].

---

(1) وهذا تعريف خلص إليه الباحث بعد دراسة جوانب الإعجاز النفسي.

(2) هو أبو سليمان، محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ويعد من علماء أهل السنة والجماعة البارزين، وعرف بمؤلفاته الجليلة مثل غريب الحديث، ومعالم السنن، وأعلام السنن، ورسالة بيان إعجاز القرآن، ينظر العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٤، ص٣٤.

(3) وجب القلب وجيباً ووجباناً: خفق واضطرب ورجف. انظر المعجم الوسيط، مادة وجب، ١٠٢٣/٢.

(4) الفرَق: الجزع وشدة الخوف. للمزيد انظر، المعجم الوسيط، ٦٩٢/٢.

(5) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص٩٢ و ٩٣، تحقيق: عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف بمصر، ينظر

ثم ذكر الخطابي عدداً من حوادث السيرة ومن الآيات التي تبين تأثير القرآن في النفوس، ويلحظ أن الخطابي لم يسم هذا الوجه من الإعجاز، إلا أن عبارته الجميلة في تصويره وتقريب معناه واضحة تماماً ومعبرة عن المقصود.

مما ينبغي الإشارة إليه أن رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن الكريم" هو من أول الكتب التي وصلت إلينا في الإعجاز، ومع هذا تراه مثبتاً لوجه الإعجاز النفسي. وهناك العديد من العلماء بحثوا في الإعجاز ولم تصل إلينا كتبهم فربما أشاروا إلى هذا الوجه في كتبهم المفقودة، ولهذا تم اعتماد أن أول من نادى بهذا الوجه الإمام الخطابي [١].

ثلاث رسائل في الإعجاز من تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط الثالثة ص٧٠،.

(1) ينظرإعجاز القرآن، للدكتور صلاح الخالدي، ، ص٨٢، كتاب إعجاز القرآن للدكتور فضل عباس، ص.٨، وبحوث في الإعجاز، الدكتور أحمد شكري، ص١٠٣.

المطلب الثاني: تاريخ الإعجاز النفسي والكتب التي أشارت إليه:

أولاً: من أشار للإعجاز النفسي من الأقدمين:

أشار لهذا الوجه من الإعجاز الباقلاني (٣٧٢هـ) في سياق حديثه عن اللغة وأثرها في النفس فيقول: "فإذا علا الكلام في نفسه، كان له الوقع في القلوب، والتمكن في النفوس، ما يذهل ويبهج ويقلق ويؤنس، ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسسكن ويزعج ويشجي ويطرب، ويهز الأعطاف ويستميل نحوه الأسماع..." [١].

كما أشار لهذا الوجه الرماني (٣٨٦هـ) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن الكريم) [٢]، أما الجرجاني (٤٧٣هـ) فأثبت هذا الوجه من الإعجاز في غير موضع، فأشار إليه في رسالته (الشافية) بعد أن أثبت تسليم العرب تحت عنوان (دلالة الأقوال) فذكر قصة ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة وبين كيف أثر القرآن في نفوسهما، وقامت الدواعي على المعارضة ومع ذلك لم يعارضوه، وبذلك يثبت عجزهم[٣].

وعنون القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) لهذا اللون من الإعجاز في الفصل التاسع بعنوان "روعة القرآن الكريم في السمع وهيبته في القلوب"، فيقول: "ومنها روعته التي تلحق قلوب السامعين وأسماعهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، لقوة حاله وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ويريدون انقطاعه لكراهيتهم له، ولهذا قال ﷺ: (إن هذا القرآن صعب مستصعب على من ذكره وهو الحكم) [٤]، وأما المؤمن فلا تزال روعة القرآن وهيبته تولي المؤمن انجذاباً إليه وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣)، ويدل على هذا الشيء أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعرف من تفسيره الشيء الكثير كما في قصة ذاك

---

(1) الباقلاني، اعجاز القرآن، ص٢٧٧.

(2) ضربت أمثلة من كلام الرماني عند حديثنا عن علاقة الإعجاز البياني بالإعجاز النفسي، فلا داعي للتكرار، ينظر ثلاث رسائل في الإعجاز، ص٧٥ .

(3) ثلاث رسائل في الإعجاز، ص١٢٢.

(4) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي، تحقيقمحمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، برقم ١٥٧٣، ١٩٨/٢ .

النصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي، فقال له: ما يبكيك، قال: الشجى والنظم" [(١)].

كما أشار إلى هذا العلم ابن قيم الجوزية (ت٧٥١) في كتابه (الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان) فقال في فصل في ذكر إعجاز القرآن الكريم: "ومنهم من قال إعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما يلحقها من الخشية، سواء كانت فاهمة أو عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة، لذلك قال ﷺ: (القرآن صعب مستصعب) [(٢)].

وقد أشار الإمام الزركشي (ت٧٩٤) في كتابه (البرهان) فعقد فصلاً في إعجازه النفسي، وبعد أن ذكر أقوال العلماء في الإعجاز قال: "ومنها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، المقرين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به يداخله روعة في أول سماعه وخشية، ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة إليه ومحبة له، وإن كان جاحداً وجد فيه مع تلك الروعة نفوراً وعياً لمسه بحس سمعه، ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضاً طرياً في أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين ومنها ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال الله إياه في صورة كلام هو مخاطبة من الله لرسوله تارة، ومخاطبة أخرى لخلقه لا في صورة كلام يستمليه من نفسه من قد قذف في قلبه وأوحى إليه ما شاء أن يلقيه إلى عبادة على لسانه فهو يأتي بالمعاني التي ألهمها بألفاظه التي يكسوها إياه كما يشاهد من الكتب المتقدمة [(٣)].

أما السيوطي (ت٩١١) فقد جعل الإعجاز النفسي ضمن الوجه العشرين من وجوه الإعجاز وعنده وجوه الإعجاز تقع في خمسة وثلاثين وجهاً [(٤)].

---

(1) القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، الشفا تعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت-لبنان، ٢٤٢/١.

(2) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الحنبلي (ت ٧٥١ هـ)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ، ص٢٥٠.

(3) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، ص١٠٦/٢.

(4) السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، معترك الأقران، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م، ٢٤٢/٢.

ثانياً: من أشار للإعجاز النفسي من المحدثين:

أشار محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م) في كتابه (الوحي المحمدي) لهذا اللون من ألوان الإعجاز عندما ذكر ما يتعلق بترجمة القرآن الكريم وذكر قصة المستشرق الفرنسي الدكتور مارد ريس" [١].

أما الإمام الرافعي (ت١٣٥٦هـ-١٩٣٧) [٢]. فقد أشار لهذا النوع من الإعجاز عندما تحدث عن الكلمات وحروفها ثم عرج للحديث عن الأصوات وأنواعها [٣].

وقد أشار الإمام الزرقاني (ت١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) في كتابه(مناهل العرفان في علوم القرآن) وجعله الوجه الرابع عشر في إعجاز القرآن بعنوان "تأثير القرآن ونجاحه" يقول: "ومعنى هذا أن القرآن بلغ في تأثيره ونجاحه مبلغاً خرق به العادة في كل ما عرف من كتب الله والناس وخرج عن المعهود في سنن الله من التأثير النافع بالكلام وغير الكلام ... "[٤] ثم أشار بعد ذلك إلى أنواع التأثير في القرآن الكريم وقسمها إلى:

أولاً: تأثير القرآن الكريم في نفوس أعدائه. أما أعداؤه المشركون فقد ثبت أنه جذبهم إليه في قوته في مظاهر كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل:

المظهر الأول: مع أن هؤلاء المشركين مع حربهم له ونفورهم مما جاءهم به كانوا يخرجون في جنح الليل البهيم يستمعون إليه والمسلمون يرتلونه في بيوتهم.

المظهر الثاني: أن أئمة الكفر منهم كانوا يجتهدون في صد الرسول ﷺ عن قراءته في المسجد الحرام وفي مجامع العرب وأسواقهم وكذلك كانوا يمنعون المسلمين من إظهاره ...

المظهر الثالث: أنهم ذعروا ذعراً شديداً من قوة تأثيره ونفوذه إلى النفوس على رغم صدهم عنه واضطهادهم لمن أذعن له فتواصوا على أن لا يسمعوه، وتعاقدوا على أن يلغوا فيه إذا سمعوه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

---

(1) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، المكتب الإسلامي، ط٩، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٢٦، سنشير لهذه القصة عند حديثنا عن أدلة الإعجاز النفسي.

(2) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ص٢٥١.

(3) من خلال كلامه يتضح لنا اعتباره للإعجاز النفسي ثمرة للإعجاز البياني.

(4) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٤٣٤/٢.

(فصلت: ٢٦).

المظهر الرابع: أن بعض شجعانهم وصناديدهم كان الواحد منهم يحمله طغيانه وكفره وتحمسه لموروثه على أن يخرج من بيته شاهراً سيفه معلناً ذعره ناوياً القضاء على دعوة القرآن، ومن جاء بالقرآن، فما يلبث حين تدركه لمحة من لمحات العناية، وينصت إلى صوت القرآن في سورة أو آية أن يذل للحق ويخشع، ويؤمن بالله ورسوله وكتابه ويخضع ...

ثانياً: تأثير القرآن في نفوس أوليائه.

وجعل له مظاهر أيضاً:

المظهر الأول: تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة، وقد طاب لهم أن يهجروا لذيذ منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار ومناجاتهم العزيز الغفار ...

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هدايتهم، طيبة به نفوسهم، طيعة أجسادهم، سخية أيديهم وأرواحهم ...

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هداياته، فأخلصوا له وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. وكان كثير من ذوي الأعذار يؤلمهم التخلف عن الغزو حتى يضطر رسول الله ﷺ أن يتخلف معهم جبراً لخاطرهم ويرسل سراياه وبعوثه بعد أن ينظمها ويزودها بما تحتاج ولا يخرج معهم، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: (والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزوا في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل)! [(١)].

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن الكريم في هدايته للعالم، فقد وجد قبل النبي ﷺ أنبياء ومصلحون، وعلماء ومشروعون، وفلاسفة وأخلاقيون، وحكماء ومتحكمون، فما تسنى لأحد من هؤلاء بل ما تسنى لجميعهم أن يحدثوا هذه النهضة الرائعة التي أحدثها محمد ﷺ في العقائد والأخلاق وفي العبادات والمعاملات وفي السياسة والإدارة وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني ... [(٢)].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، رقم ٣٦، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد الخروج في سبيل الله، رقم١٨٧٦.

(2) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط١،

وقد أشار كلَ من محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م) إلى هذا النوع من الإعجاز في كتابه دائرة معارف القرن العشرين، وكان مغالياً في هذا الجانب فجعله الوجه الأول [١]، والدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) في كتابه "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن" حيث ربط التأثير النفسي بالإعجاز البياني [٢]، والنورسي (ت ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م) في كتابه مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور لهذا الوجه من الإعجاز [٣].

وذهب سيد قطب (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) إلى إثبات الإعجاز النفسي وإن لم يكن بألفاظ صريحة، فقد عبر عنه بكلمات مختلفة مثل: سحر القرآن [٤]، وغير ذلك. يقول: سحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى سواء منهم في ذلك من شرح الله صدره للإسلام، ومن جعل على بصره غشاوه. وإذا تجاوزنا عن النفر القليل الذين كانت شخصية الرسول ﷺ هي داعيتهم إلى الإيمان من أول الأمر كزوجته خديجة وصديقه أبي بكر وابن عمه علي ومولاه زيد وأمثالهم، فإنا نجد القرآن كان العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة

١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ٤٣٥/٢.

(1) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م، ٦٧٦/٧-٦٧٩.

(2) دراز، د.محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن، دار القلم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص١٠٢-١٠٣.

(3) انظر النورسي، المكتوبات، ص٢٦٦، وقد أشار إلى الإعجاز النفسي أيضاً الدكتور زياد الدغامين في كتاب "إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل" حيث يقول: "ولهذا وجدنا النورسي يعالج الموضوع بحكمة وروية فيقر أن كل طبقة من طبقات الناس تنال نصيبها من تذوق الإعجاز وإدراكه بأسلوب معين ونمط خاص، فالقرآن معجز لأهل الفصاحة والبيان من زاوية البلاغة، ومعجز بأسلوبه الرفيع الجميل الفريد لأرباب الشعر والخطابة.

وهو يتحدى طبقة الكهان الذين يدعون أنهم يخبرون أشياء عن الغيب بإيراد الأنبياء المعجزة الصادقة. إلى أن قال: وكذلك هو معجز للذين لا يملكون إلا قدرة الاستماع، فإنهم يقرون بإعجازه بمجرد سماعهم له، فإن له في السماع وقعاً عجيباً"، انظر الدغامين، زياد خليل محمد، إعجاز القرآن، وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل، دار النيل، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص١٤٧ .

(4) أراد سيد بقوله سحر القرآن أي روعة بيانه وأذكر في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة " ينظر أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق من الكلام، رقم ٥٠٠٧.

يوم لم يكن لمحمد حول ولا طوال، يوم لم يكن للإسلام قوة ولا منعة ... "[١].

ثم عنون (منبع السحر في القرآن الكريم) فيقول في سياق تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ (المدثر: ١٧-٢٣). فأين السحر الذي تحدث عنه ابن المغيرة بعد التفكير والتقدير؟... لابد إذن أن السحر الذي عناه كان كامناً في مظهر آخر غير التشريع والغيبيات والعلوم الكونية. لابد أنه كامن في حميم النسق ذاته القرآني. لا في الموضوع الذي تحدث عنه وحده." [٢].

وقد أشار الدكتور عبد الكريم الخطيب (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) في كتابه (إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها) للإعجاز النفسي وجعله وجهاً رابعاً من وجوه الإعجاز، بعد أن عد ثلاثة وجوه للإعجاز وهي

١.الصدق المطلق.

٢.وعلو الجهة المترتل منها القرآن.

٣. وحسن الأداء.

ثم يقول: "والتي رأيناها مجتمعة في القرآن لا يبدو أي وجه منها إلا من خلال روح تسري فيه وتترقرق في محياه. فالقرآن كله روح، وليست هذه الألفاظ وهذا النظم إلا تخيلات لتلك الروح ومطالع تطلع منها ومنازل تنزل فيها. والقرآن الكريم هو كلام، وهو كلام الله سبحانه وتعالى نفخ فيه من روحه، فكان أمراً من أمر الله وروحاً من روحه، ولهذا سمي روحاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢) [٣].

فقد جعل الدكتور الخطيب الإعجاز النفسي أو التأثيري ثمرة ناتجة عن فخامة اللفظ وبلاغة وسعة المعنى مما جعله روحاً تسري في نفس قارئه كما عبر عنه

كما بين الشيخ الشعراوي جوانب الإعجاز النفسي حيث يقول "ويتمثل الاعجاز النفسي

---

(1) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعرفة بمصر، ص١١.

(2) قطب، التصوير الفني، ص١٧.

(3)انظر الخطيب عبد الكريم، إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٧٥م، ص٢٣٦-٢٣٧.

في تمزيق القران الكريم لحواجز غيب النفس الإنسانية وإبراز مكنوناتها" [١].

وأشار إلى الإعجاز النفسي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل) وجعله لوناً رابعاً من ألوان الإعجاز بعنوان "مظهر جلال الربوبية" فيقول: "لم أجد من فصل القول في هذا الجانب من الإعجاز القرآني على الرغم من أنه من أبرز ما يظهر حقيقة الإعجاز القرآني فهو الجانب الذي لا يمكن أن يخفى حتى على العامة الذين لا يتمتعون بدراية واسعة بالبلاغة العربية أو الثقافة العامة، إذ كانوا ممن يقرأون بتأمل وتدبر" [٢].

وكما أشار إليه الدكتور فضل عباس [٣] في كتابه (إعجاز القرآن الكريم) ففرق بين الإعجاز النفسي والروحي للقرآن وجعل كلاً منهما متعلقاً بأمر فيقول:

"الإعجاز النفسي هو ما نلمحه من تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم وما يفرحهم وما يحزنهم. وما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها ودوافعها من آي القرآن الكريم. والإعجاز الروحي ذلكم التأثير العظيم للقرآن على النفوس هيبته وحلاوته ورغبته وترهيبه ولا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه ومستمعه كما لهذا القرآن حتى على أولئك الذين لا يدركون معانيه ولا يفهمون ألفاظه" [٤].

ويقول الأستاذ أمين الخولي –في هذا الوجه من الإعجاز- :"إن هذا القرآن معجز من حيث هو فن أدبي، ومن حيث هو هدى وبيان ديني، ولم يدر الأمر فيه إلا على سياسة النفوس البشرية ورياضتها، لأن الفن هو نجوى الوجدان، والدين هو حديث الإعتقاد، ومناجات القرآن الروح أوضح من أن يستدل لها" [٥].

ومن الباحثين المعاصرين الدكتور أحمد شكري حيث إن له بحثاً في هذا الشأن، أثبت

---

(1) الشعراوي، محمد متوليي، معجزة القرآن، ١٠٨/١.

(2) البوطي، محمد سعيد، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دار الرسالة، ١٤١٦٩هـ-١٩٩٦م، ص١٥٦.

(3) عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، ص٣٣٠.

(4) نلاحظ تفريق الدكتور بين الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي، وقد اعتبرها هذا البحث شيئاً واحداً إذ أن كلاً منهما مرتبط بالآخر فلا يعقل الكشف عن هذا التأثر إلا إذا أبرزه القرآن أو ظهر على صاحبه، وهذا من الإعجاز النفسي، ولا يكون الإعجاز النفسي إلا إذا تأثر القارئ في آي القرآن.

(5) الخولي، أمين، مناهج التجديد، دار المعرفة، مصر، ص٢٠٣ .

فيه وجود الإعجاز النفسي ورجح أنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز القرآني [(١)].

أما الدكتور صلاح الخالدي فله كتابان في الإعجاز:

أما الكتاب الأول: وهو البيان في إعجاز القرآن (وهو المتقدم في التأليف).

فقد عرف فيه الإعجاز النفسي، وأعطى معلومات قرآنية عن النفس، وضرب نماذج من الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، وجعله وجهاً رابعاً مستقلاً [(٢)].

أما الكتاب الثاني فهو "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني" فقد رجح أن الإعجاز له وجه واحد وهو البيان، وما سوى ذلك من وجوه إنما هو من قبيل الدلالة على مصدر القرآن الكريم. وأنه ليس من كلام محمد ﷺ [(٣)].

وقد أشار إلى هذا اللون من الإعجاز أيضاً الدكتور صلاح الخالدي في كتابه "نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" وسماه بعدة مسميات منها: سحر القرآن، وموسيقى القرآن، والتناسق القرآني، وذكر لها أمثلة من كلام سيد قطب والشواهد القرآنية.

فقد علق على كلام سيد قطب في التصوير الفني فيقول "هذا هو اللون الأول في إعجاز القرآن الكريم وهو سلطانه الباهر العجيب في القلوب المؤمنة والقلوب الكافرة على حد سواء، فما أن يتلو الإنسان آيات من القرآن الكريم أو يسمعها تتلى عليه حتى يحس لها في نفسه وقعاً خاصاً ويحس لها في قلبه تأثيراً خاصاً" [(٤)].

كما أثبت الإعجاز النفسي الدكتور علي البدري في كتابه (حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم)، فيقول بعد أن نقل كلام الخطابي في الإعجاز النفسي: "هذا التأثير النفسي للقرآن في متأمليه لا يتهيأ للناس عند سماع أي كتاب آخر مهما تدبروه، وذلك من عظيم دلائل معجزاته وقال بعض الصالحين: لو علم أهل الدنيا سرورنا بالقرآن لقاتلونا عليه بالسيوف" [(٥)].

وقد صور شاعر معاصر مدى طمأنينة نفسه عند سماعه القرآن الكريم حتى في الساعات الأخيرة من الحياة فيقول:

---

(1) شكري، أحمد خالد، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص١٤٥.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، ص٣٣٥.

(3) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني، ص٤٧٤.

(4) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٦م، ص٨٥-٩٤.

(5) البدري، علي، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم، دار الكتاب الجامعي، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٥٧.

الليل من حولي هدوء قاتل	والذكريات تمور في وجداني
وينشدني ألمي فأنشد راحتي	في بضع آياتٍ من القرآني
والنفس بين جوانحي شفافة	دب الخشوع بها فهد كياني
قد عشت أومن بالإله ولم أذق	إلا أخيراً لذة الإيمان

ثم جعل بعد ذلك فصلاً في تأثير القرآن الكريم على المستشرقين وغيرهم (1).

كما أشارت إلى ذلك بنت الشاطئ في كتابها "الإعجاز البياني للقرآن"، حيث قالت: "وفي الخبر أن من طواغيت قريش وصناديد الوثنية العتاة من كانوا يتسللون في أوائل عصر البعث خفية عن قومهم ليسمعوا آيات هذا القرآن دون أن يملكوا إرادتهم ..."، ثم ساقت قصة الوليد بن المغيرة وقصة أبي سفيان مع أبي جهل فقالت: "وقد تحير المشركون من قريش فيما بينهم بما يصفون هذا القرآن، قالوا هو شعر وقالوا هو سحر وقالوا هو كهانة، هو إذن سحر البيان يعرفون سلطانه على الوجدان العربي، فهم في خشية من أن يدرك العرب كل العرب، لا البلغاء والشعراء فحسب إعجاز البيان القرآني (2).

كما أشار إلى هذا العلم الشيخ طاش كبرى زاده في كتابه "مفتاح السعادة" تحت عنوان: علم معرفة إعجاز القرآن، فقال: "وقد كانوا يجدون له وقعاً في القلوب وفزعاً في النفوس يربيهم ويحيرهم، فلم يملكوا إلا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف" ثم ساق كلام الوليد بن المغيرة (3).

---

(1) ينظر البدري، حقائق وأباطيل، ص٨٨، وسنتعرض إلى هذه النماذج من التأثير عند حديثنا عن أدلة الإعجاز النفسي، وقد أشار الدكتور محمد الصباغ في كتابه (لمحات في علوم القرآن) إلى الإعجاز النفسي وإن لم يعده وجهاً من وجوه الإعجاز، انظر الصباغ، الدكتور محمد بن لطفي، لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠، ص٨٨ .

(2) بنت الشاطئ، عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط٢، ص٤٦-٤٨.

(3) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ط١، ص٣٦٠، كما أشار إلى ذلك الدكتور سعد الدين سيد صالح في كتابه (المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم) فقال: "في الفصل الرابع تأثيره في القلوب: من الوجوه المهمة لإعجاز القرآن الكريم أثره في نفوس أعدائه وعمله في قلوبهم، فإن مجرد سماع القرآن الكريم له لذة وحلاوة وروعة ومهابة تسيطر على القلب، وتأخذ السمع والعقل، ذلك أن القرآن له سلطانه الروحي الخفي على القلوب، وولايته المطلقة على مدارك الإنس والجن على السواء، حتى قالت الجن حين سمعته: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (الجن: ١-٢)، انظر السيد صالح، د.سعد الدين، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٤٥.

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن) فقال بعد أن ساق كلام الخطابي وهذا الكلام الأخير للخطابي بمثابة الشرح والتفصيل لما جعله الوصفين المتميزين للقرآن الكريم الفخامة والعذوبة، " فنتيجة الفخامة أن يشعر التالي للقرآن الكريم بالروعة والمهابة ويدخل قلبه الوجب والقلق من قوارعه وزواجره ووعيده وإنذاره، ونتيجة العذوبة هي تلك الحلاوة واللذة التي يلمسها القراء من خلال سطوره. وهكذا نجد أن الخطابي قد عمق مفهوم النظم القرآني بإضافات جديدة ومعاني لطيفة سديدة" [١].

وكذلك أشار الدكتور محيي الدين رمضان إلى هذا النوع من الإعجاز فقال: "ولازمت العرب عادة الإنشاد والاستماع إلى الشعر ينشد بل حرصت على ذلك وتابعته إلى زماننا هذا، واتصلت هذه العادة إذ كسدت سوق الشعر وانفض جماهير الشعراء وانصرفت بهم السبل وكان اتصالهم تجديداً لها وقوة في أصلها ومحافظة على أصالتها في النفس العربية، فتم ذلك بنزول نص القرآن الكريم وشروع المؤمنين بتلاوته وترتيل آيه والاستماع رويداً لألفاظه وجمله.

ولعل هذا الجانب من نصه –أي القرآن الكريم- كان أبرز الجوانب التي أثرت في العرب، وملك عليهم أنفسهم لأول عهدهم بالدعوة ، حتى إن ما له من عذوبة في حس السامع و الهشاشة في نفسه، وما يتجلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام، حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلاماً. ثم ساق الأدلة على وجود هذا النوع من الإعجاز، وبعد ذلك قال: " ولكن هنالك قصص لبعض من لا يعرف العربية ولا يفهم لغتها، وقد تأثر بسماع القرآن الكريم. وذكر بعضاً من هذه القصص. ولم يكن ليقتصر هذا التأثير السماعي على بني البشر، وبعض المخلوقات التي لها ما للإنسان من أجهزة خلقية وخصائص كالسمع والبصر، بل تجاوزته إلى ما هو جماد لا حس له كالحجارة والتراب. ثم بين بعد ذلك شعور الكفار بخطورة هذا الأمر، وقال الله على ألسنتهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(فصلت: ٢٦). وبين كيف عمل المشركون على تشويه التأثير على السامعين: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨). ولكن الله عز وجل أمرنا بالاستماع والإنصات دون الاكتراث بما هو حال للمشركين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

---

(1) مسلم، أ.د.مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٧٣.

تُرْحَمُونَ﴾ (لأعراف: ٢٠٤)" [١].

كما أشار إلى هذا الوجه الدكتور حسن ضياء الدين في كتابه (المعجزة الخالدة)، فذكر قصة الشاعر المعاصر نقولا حنا وقد تلا القرآن فجذبه إليه وشغل قلبه وفؤاده وزاده إيماناً بالله وقذف في إعماقه فكراً يقظاً راسخاً بأن القرآن هو كلام الله. فيقول: "فهاهو يعترف نقولا حنا فيقول في مقدمة لقصيدته الرائعة (من وحي القرآن): قرأت القرآن فأذهلني وتعمقت به ففتنني ثم أعدت القراءة فآمنت بالقرآن الإلهي العظيم وبالرسول من حمله النبي العربي الكريم، وأما الله فمن نصرانيتي ورثت إيماني به وبالفرقان عظم هذا الإيمان، كيف لا أومن ومعجزة القرآن بين يدي، أنظرها وأحسها كل حين وهي معجزة لا كبقية المعجزات، معجزة إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها وليست بحاجة لمن يحدث عنها أو يبشر بها [٢].

وقد أشار إلى هذا الوجه الدكتور أحمد جمال العمري في كتابه (مفهوم الإعجاز القرآني) فيقول: "إن البحوث العلمية تؤكد نجاح هذا الأثر النفسي للإيمان بالله، والاتصال بالكتاب العزيز في شفاء النفس من أمراضها وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الشعور بالقلق والصراع النفسي" [٣].

كما أشار إلى هذا الوجه الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه (الرسل والرسالات) تحت عنوان (نمط فريد من المعجزات)، فيقول: "شاء الله أن تكون معجزة محمد ﷺ نمطاً مخالفاً لمعجزات الرسل" ... ثم عدد وجوه الإعجاز حتى وصل إلى الإعجاز النفسي حيث قال: " معجزاً في يسر مدخله إلى القلوب والنفوس، ولمس مفاتيحها وفتح مغاليقها، واشتماله مواضع التأثير والاستجابة فيها، وعلاجه لعقدها ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبين، وترتيبها وتصريفها وفق منهجية بأيسر اللمسات دون تعقيد ولا التواء ولا مغالطة" [٤].

كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد سيد عمار في كتابه (نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في نظرية العقد الحديث) حيث أورد وجوه الإعجاز القرآني وجعل الإعجاز النفسي هو الوجه الثاني للإعجاز، ثم ذكر أمثلة وأدلة عليه، ورجح عدم وجود إعجاز نفسي وإنما هو دليل على

---

(1) رمضان، د.محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٢٢-٢٦.

(2) ضياء الدين، د.حسن، المعجزة الخالدة، بدون دار نشر، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص١٤٨-١٤٩.

(3) العمري، د.أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس، دار المعارف، ص٢٦٣.

(4) الأشقر، د.عمر سليمان، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٣٢-١٣٣.

صدق القرآن الكريم [١].

ثم يقول "وإذا كان للقرآن هذا التأثير النفسي البالغ عند من سمعه من العرب وغيرهم قديماً، فإن كثيراً من سامعي هذا العصر من ذوي الذوق الأدبي والإحساس البلاغي يعترفون بتأثيره النفسي، ويقرون بعظمته وإعجازه البياني، وذكر قصة المستشرق الفرنسي الدكتور مارد ريس، الذي كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسيتان بترجمة اثنتين وستين سورة من السور التي لا تكرار فيها، وقال في مقدمة ترجمته الصادرة سنة ١٩٢٦ ما معناه بالعربية: "أما أسلوب القرآن فهو أسلوب الخالق الذي جل في علاه، الذي ينطوي على كنه الخالق الذي صدر عنه هذا الأسلوب والحق الواقع أن أكثر الكتاب ارتياباً وشكاً قد خضعوا لسلطان تأثيره" [٢].

وأشار إلى هذا الوجه من الإعجاز خليفة حسين العسال في كتابه (وجوه الإعجاز في القرآن الكريم) تحت عنوان: الوجه الخامس إعجازه النفسي وروعته وهيبته.

فقال: "وهذا سر من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في ذاته، وفي أثره على الأسماع وتأثيره في القلوب. فالقرآن الكريم فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البشرية وتستميله. إنه يخاطب فيها ملكات خفية لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الخالق سبحانه وتعالى" ... ثم أشار إلى كلام الخطابي. وعلق بعد ذلك: "ومن الجدير بالذكر أن هذا الوجه النفسي التأثيري من وجوه الإعجاز لا يكون مستقلاً بذاته بل لابد أن يكون متصلاً بغيره من وجوه الإعجاز الأخرى، فإن تذوق الإعجاز لا يمنع من بيان الوجوه التي فجرت هذا التذوق، بل إن الوجوه البيانية كلها تذوقية تحرك المشاعر وتخاطب الوجدان وتؤثر في الأسماع وترقق القلوب. ثم أشار بعد ذلك إلى تأثر الجن وتأثر العرب وتأثر المؤمنين وتأثر الجمادات في القرآن الكريم وبين شواهد لتأثر بعض الأجانب بهذا العلم" [٣].

كما أشار إلى هذا الوجه الشيخ الغزالي في كتابه (نظرات في القرآن) تحت عنوان الإعجاز النفسي: "وعندي أن قدراً كبيراً من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا فما أظن أن

---

(1) عمار، د.أحمد سيد محمد، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي الحديث، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص١١١.

(2) المرجع السابق، ص١١٠.

(3) العسال، خليفة حسين، وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، مطبعة الفجر الجديد، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٣٤-٥٨.

امرءاً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر ... وقد تقول: لم تأثر به؟ فالجواب: إنه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية والسداد والتوجيه [١].

كما أشار إلى ذلك محمد عبد الغني حسن مكية في كتابه (القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز) حيث يقول: "بقي أن نقول إن هنالك وجهاً للإعجاز في القرآن يستند إلى الأثر النفسي الذي تركه القرآن في القلوب، فتلك الهيبة والروعة التي يحسها قارئ القرآن أو سامعه مهما كان دينه هي مسلك خفي من مسالك الإعجاز لا ترجع إلى اللفظ وحده، ولا إلى النسق التنظيمي العجيب في القرآن وحده ولا إلى الأخبار بالغيوب، ولكنه شيء تدركه النفس وتحس حقيقة لا تستطيع وصفه". ثم أشار إلى كلام الخطابي والشواهد على ذلك، وعلق تعليقاً ثميناً فقال: "والفرق بين مسلكي الخطابي القديم والرافعي المحدث في المذهب النفسي في الإعجاز القرآني أن الخطابي يتحدث عن صنيع القرآن بالقلوب وأثره في النفوس حين يتلى أو يسمع على حين أن الرافعي يقول: "إن تغيرات القرآن جاءت من وراء النفس لا من وراء اللسان". ثم يقول: "والنتيجة على كل حال واحدة فإن ما جاء من وراء النفس لابد أن يترك في النفس أثراً عجيباً، وهذا الأثر النفسي للقرآن هو مكمن السر في إعجازه، وهو الذي كثيراً ما هدى النفوس الحيرة الضالة سواء السبيل، وهو الذي كثيراً ما ألان القلوب الجامدة التي لا تلين" [٢].

وأشار إلى هذا الوجه من الإعجاز الأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي رحمه الله، فقال: "اهتم القرآن بجانب الإثارة الروحية الوجدانية، فهو لا يعتمد على التفكير وحده ليقنع، لكنه يتكئ عليه وعلى الوجدان ليستميل، وصولاً إلى هدفه: تهذيب النفس وحب العمل الصالح والإيمان بالله

---

(1) الغزالي، محمد، نظرات في القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م، ص١٠٥، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود سالم عبيدات، حيث تحدث عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فقال: "الوجه الخامس: سهولة نفاذه إلى القلوب وأعماق النفوس وتأثيره فيها" ثم ذكر قصة جعفر والنجاشي وقصة أبي جهل وأبي سفيان والأخنس، وبعض من ادعى النبوة مثل: ابن المقفع، وابن أبي العوجاء، وعبد الملك البصري، انظر عبيدات، العقيدة الإسلامية، ص٥٤٩.

(2) مكية، محمد عبد الغني، القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز، المطبوعات الحديثة، ص٨٩.

واليوم الآخر، وهذا هو المنهج الأدبي في القرآن في مواضع كثيرة يثير القرآن في النفس مشاعر عدة: شعور الإجلال لعظمة الخالق: شعور الغبطة والابتهاج، شعور العرفان بالجميل، الشعور بالنخوة، الشعور بالخوف والرجاء" [٢].

---

(1) بدوي، أ.د.أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٠م، ومجلة الفرقان، العدد (٣٧)، محرم ١٤٢٦هـ، شباط، ٢٠٠٥، ص٣٨-٣٩.

المبحث الثاني: آراء العلماء في الإعجاز النفسي:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المثبتون للإعجاز النفسي وأدلتهم.

المطلب الثاني: المنكرون للإعجاز النفسي وأدلتهم.

المطلب الثالث: موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز.

المطلب الرابع: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني.

المطلب الخامس: علاقة الإعجاز البياني بالإعجاز النفسي.

المطلب الأول: المثبتون للإعجاز النفسي وأدلتهم:

مرّ معنا عندما تحدثنا عن تاريخ الإعجاز النفسي أنّ جمهور العلماء ، وذكروا الإعجاز النفسيّ وأثبتوه، ولهم في ذلك أدلتهم المتنوّعة والمتشعّبة، ونحن هنا نورد باختصار أهمّ الأدلة المثبتة للإعجاز النفسيّ (١).

أولاً- أدلة الأعجاز النفسي من القرآن الكريم:

ورد في عدد من الآيات بيان تأثير القرآن الكريم في النفوس، ومن هذه الآيات:

١. قوله سبحانه: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾ (الرعد: ٣١). ففي هذه الآية يخبر المولى جلّ في علاه عن عظيم صنيع القرآن الكريم لمن خوطب به حتّى في الجمادات من المخلوقات، وأثره في نفس المستمع إليه،

---

(1) أشار إلى هذه الأدلة كل من ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، ص٢٥٠، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص١٠٦/٢، سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص١١-ص١٧، البوطي، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، ص١٥٦، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢٤٢/١، النورسي، المكتوبات، ص٢٦٦، الخطيب، إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، ص٢٣٦-٢٣٧، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٤٣٥/٢، الرافعي، إعجاز القرآن،ص٢٥١، عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص٣٣٠، الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص٣٣٥، رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي ص٢٦، البدري، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم، ص١٥٧، وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ٦٧٦/٧-٦٧٩، الصباغ، لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي، ص٨٨، بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص٤٦-٤٨، الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص٨٥-٩٤، السيد صالح، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، ص١٤٥، طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، ص٣٦٠، مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص٧٣، الدغامين، إعجاز القرآن، وأبعاده الحضارية في فكر النورسي عرض وتحليل، ، ص١٤٧، رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص٢٢-٢٦، الخولي، مناهج التجديد، ص٢٠٣، ضياء الدين، المعجزة الخالدة، ص١٤٨-١٤٩، العمري، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس، ص٢٦٣، الأشقر، الرسل والرسالات، ص١٣٢-١٣٣، عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي الحديث، ص١١١، عبيدات، العقيدة الإسلامية، ص٥٤٩، والدكتور عصام العبد زهد في بحثه الإعجاز التأثيريّ في القرآن الكريم، والدكتور عبد السميع خميس العرابيد في بحثه مظاهر التأثير القرآنيّ على المؤمنين، وقد جمع معظمها الأستاذ الدكتور أحمد شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص١١٢.

فبيّن القرآن الكريم أنّ أثره في نفس متلقيه أشدّ وضوحاً من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى، يقول سيد قطب: "هذا ما يصنعه القرآن في هذه المخلوقات، ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس خوارق أضخم، وأبعد آثاراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ، وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها، طبيعته في دعوته وفي تعبيره، طبيعته في موضوعه وفي أدائه، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره، إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجه إليه ويوحى به ..." [١].

٢. وقال تعالى واصفاً عظمة تأثير القرآن الكريم حتّى في الجمادات: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾(الحشر: ٢١).

يخاطب الله عز وجل الإنسان في هذه الآية الكريمة بعظيم أثر القرآن الكريم ، وصعوبة أمانته على حامله، ثم يدعوه إلى التفكر والتأمل بما فيه من أمثال ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فإن الإشارة إليه وإلى أمثاله، والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشّعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه، وقلة تدبّره، والتصدّع التشقق [٢].

٣. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ (الزمر: ٢٣). والاقشعرار التقبض، يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم، وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة، وذلك في قوله تعالى﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمته تعالى [٣]. فمن عظيم أثر القرآن الكريم على نفس تاليه وسامعه من المؤمنين أن تقشعرّ جلودهم، ومن ثمّ تلين وتطمئنّ قلوبهم لذكر الله وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم في النفس الإنسانيّة.

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٢٠٦١/٤.

(2) انظر البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار الجيل، ٣٢٣/١.

(3) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧ /٢٥١.

٤. وقوله: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ (مريم: ٥٨). وقوله: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩). تشير هذه الآيات الكريمات إلى أن تأثير القرآن الكريم في المؤمنين يؤدي إلى أن تقشعر جلودهم وهي حركة غير إرادية تدل على عظيم التأثير، ثم تلين جلوهم وقلوبهم وتطمئن بذكر الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨).

٥. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ (المائدة: ٨٣). ورد أنها نزلت في نفر من نصارى الحبشة قدموا على رسول الله ﷺ فلما سمعوا القرآن أسلموا، وقيل نزلت في النجاشي وأصحاب له أسلموا معه [(١)]، وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وهو سيلانه من شدة امتلائه، ففيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله على رسول الله حق [(٢)]، وإسماع الكافر كلام الله رجاء أن يؤمن أمر مطلوب من المؤمن: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة: ٦).

٦. ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (فصلت: ٢٦). وهذا الحرص منهم على عدم سماع القرآن إلى درجة أن يوصي بعضهم بعضاً بذلك وبأن يلغوا فيه، أي: "ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له، أو: الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق في الكلام حتى يصير لغواً، أو: قعوا فيه وعيبوه" [(٣)]، وهذا دليل على عظيم تأثير الآيات الكريمة فيهم.

٧. وقوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الأنفال: ٢).أي إنما المؤمنون الكاملون في الإيمان المخلصون فيه الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم: أي فزعت استعظاماً لشأنه الجليل وتهيباً منه جل وعلا،

---

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ١/٧، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٨/٢، وابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٩/١، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار الخير، ط١/١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ٢٥/٢.

(2) انظر: الطبري، جامع البيان، ٥/٧.

(3) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الخير، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٥١٤/٤.

والاطمئنان المذكور في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ لا ينافي الوجل والخوف لأنه عبارة عن ثلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد ، وهو يجامع الخوف، ووفّق بعضهم بين الآيتين بأن الذكر في إحداهما ذكر رحمة وفي الأخرى ذكر عقوبة فلا منافاة بينهما [١].

٨. وقد يكون ذلك إلى درجة: ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً﴾ (الإسراء: ٤٦). يخاطب الله عز وجل الرسول ﷺ في هذه الآية فاضحاً المشركين وكاشفاً لما في نفوسهم ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه﴿ولوا على أدبارهم نفورا ً﴾ يقول: انفضوا فذهبوا عنك نفورا من قولك استكباراً له واستعظاماً من أن يوحد الله تعالى، وعلى ذلك قال بعض أهل التأويل [٢].

٩. وكان للاستماع للآيات الكريمة تأثير على الجن ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ (الجن: ١-٢)،. وبلغ بهم أن اجتمعوا للاستماع إليه حتى ﴿كادوا يكونون عليه لبداً﴾ (الجن: ١٩).أي متلاصقاً بعضهم ببعض من التزاحم عليه إعجاباً بما تلي من القرآن [٣]. وهذا من عظيم تأثير القرآن الكريم حتّى لحق بمن سمعه من الجنّ، فمن باب أولى أن يكون هنالك أثر على نفس الإنسان إذا سمعه أو تلاه.

١٠. وفي قوله تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (العنكبوت: ٥١).دلالة على أن القرآن آية فوق الكفاية، وهو المعجزة الباقية العامة لكل الخلق: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الإسراء: ٨٨)، فيشمل هذا النفي جميع الوجوه الممكنة ومن أولاها الوجه التأثيريّ المعجز، والله تعالى أعلم.

ثانياً- من السنة النبوية الشريفة:

أما الأحاديث النبوية وحوادث السيرة التي يمكن أن يؤخذ منها إثبات الإعجاز النفسي، وتأكيد حصول التأثير والانفعال لدى سامع القرآن وتاليه فكثيرةٌ ، وقد أدى سماع الآيات إلى

---

(1) انظر الآلوسي، روح المعاني، ٩ /١٦٥.

(2) انظر الطبري، جامع البيان، ٨ /٨٦ ٠

(3) انظر: الراغب الأصبهاني، المفردات، مادة لبد، ص٤٤٦، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٣٥٣/٨، مطبعة النصر الحديثة، الرياض.

إسلام عدد غير قليل من الصحابة، وفيما يلي عرض لعدد من الأحاديث وحوادث السيرة باختصار وإيجاز:

١. عن ابن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك عل هؤلاء شهيداً﴾ (النساء: ٤١)، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان [١]، فهذا رسول الله ﷺ يصل به التأثير عند سماعه آيات القرآن الكريم إلى أن تذرف عيناه الشريفتان.

٢. وقام ﷺ الليل مرة بآية بقي يرددها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة: ١١٨) [٢].

وهذا دليل واضح على عظيم تأثر الرسول ﷺ بقراءة القرآن الكريم وتلاوته الذي هو قدوتنا وعلينا التأسي به بابي هو وأمي وكذلك ففي الآية مدعاة للتفكر بمعاني آي القرآن، إن تعذبهم فإنهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد [٣].

ثالثاً- شواهد من تأثر الصحابة رضوان الله عليهم:

١. عن أسيد بن حضير ﷺ قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس [٤] فسكن فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكن وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه [٥] رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجب إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ بذلك، فقال: أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت

---

(1) البخاري في كتاب التفسير، باب سورة النساء، رقم الحديث ٤٣٠٦.

(2)أحمد بن حنبل ، المسند، الطبعة العالمية، مسند الأنصار، باب حديث أبي ذر الغفاري، رقم ٢٠٣٦٥.

(3)انظر أبا السعود ، إرشاد العقل السليم، ٣ / ١٠٢.

(4) أي اضطربت اضطراباً شديداً (من هامش صحيح البخاري، وضعه د.مصطفى البغا، ١٩١٦/٤).

(5) أي أخره وأبعده عن المكان الذي كان فيه (المرجع السابق).

لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم [1]. أي أن الملائكة لاستغراقها بالاستماع إلى قراءة أسيد الحسنة لو بقي يقرأ إلى الصباح لبقيت على حالها الذي يمكن أن ترى فيه من قبل القارئ وغيره [2].

٢. حادثة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، وقد أورد ابن هشام في سبب إسلام عمر روايتين [3]، وفي كلتيهما يعود سبب إسلامه إلى تأثيره البالغ بقراءة آيات، وهي فواتح سورة طه، أو بالاستماع إلى تلاوة رسول الله ﷺ لآيات من سورة الحاقة [4]، وقال ابن إسحاق معلقاً وغير مرجح بين الروايتين: "فالله أعلم أي ذلك كان" [5] وجمع بعض الكتاب في السيرة بينهما بأن عمر استمع أولاً إلى تلاوة النبي ﷺ لسورة الحاقة فوقع الإسلام في قلبه، ثم حصلت معه حادثة قراءته من أول سورة طه فتأثر بها وأسلم [6]، وكان عمر بعد إسلامه شديد التأثير بالقرآن، ومما يروى في ذلك أنه صلى الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وسمع صوت بكائه من وراء الصفوف [7]، وروى أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع﴾ (الطور: ٧-٨)، فأغشي عليه وحمل إلى أهله ولم يزل مريضاً شهراً [8].

٣. حادثة إسلام جبير بن مطعم ﷺ وفيها قوله: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات

---

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث ٤٧٣٠.

(2) انظر البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب منقبة أسيد بن الحضير وعباد بن بشر، رقم٣٥٩٤، وابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٣٨٤/٨.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٧٠/١.

(4) أحمد، المسند، برقم ١٠٧.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٧٤/١.

(6) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار المؤيد، ١٤١٨هـ١٩٩٨م، ص١٠١.

(7) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص٤٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.

(8) أورده القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار، ص ١٣٣، تحقيق: ثروت محمد نافع، دار التوحيد، مصر، وأورده ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد العبدي، انظر: الصابوني، محمد بن علي، مختصر ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط السابعة، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م، ٣٨٩/٣.

والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون﴾(الطور: ٣٥-٣٧). كاد قلبي أن يطير [١]، وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي [٢].

٤. حادثة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ حين قدم مكة وأقنعه كبراء قريش بأن لا يسمع لرسول الله ﷺ ولكنه عند الكعبة سمع بعض تلاوة النبي ﷺ فتبعه إلى بيته وسمع منه المزيد، وقال: "فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت[٣].

٥. حادثة إسلام سويد بن الصامت ﷺ وكان شاعراً لبيباً من سكان يثرب، يسميه قومه الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، جاء مكة حاجاً أو معتمراً، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله ﷺ إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن [٤].

٦. حادثة إسلام إياس بن معاذ ﷺ وكان غلاماً من سكان يثرب، قدم مكة في وفد من الأوس، جلس إليهم النبي ﷺ وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: أي قوم: هذه والله خير مما جئتم به ... ولم يلبث إياس بعد رجوعهم أن هلك وكان يهلل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته فلا يشكون أنه مات مسلما [٥].

٧. حادثة إسلام أبي ذر ﷺ، وفيها أن أخاه أنيساً قال له: لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله، يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، -وكان أنيس أحد الشعراء- لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، فأتى أبو ذر مكة وسمع من رسول الله ﷺ وأسلم [٦].

٨. حادثة إسلام أسيد بن حضير ﷺ وسعد بن معاذ ﷺ، حيث قرأ عليهما مصعب بن

---

(1) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة والطور، رقم الحديث ٤٥٧٣.

(2) السيوطي، معترك الأقران، ٢٤٣/١.

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٨/٢، الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل، دلائل النبوة، تحقيق : محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩، ص٣١١.

(4) ينظر المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٥٥.

(5) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٥٥.

(6) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، رقم ٦٣٠٩.

عمير ﷺ منفردين القرآن، وكانا يقولان: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، وأسلما [١].

١٠. حادثة إسلام أول ستة من الخزرج، حيث حدثهم الرسول ﷺ وتلا عليهم القرآن فأسلموا [٢].

١١. توقف لبيد بن ربيعة ﷺ عن نظم الشعر بعد أن أذهلته عظمة القرآن وبلاغته، وكان يقول: "ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله سورة البقرة" [٣].

١٢. وفي المحاورة التي حصلت بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب ﷺ، طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه، فقرأ صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته [٤]، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ... [٥].

رابعاً- شواهد من تأثر المشركين لسماع القرآن الكريم:

وفي عدد من الروايات بيان مدى التأثر الذي كان يحصل للمشركين، وهم يستمعون إلى الآيات، ويصل ذلك ببعضهم إلى درجة القيام من المجلس مع تغير الوجه، واختلاف الوعد بعدم سماع الآيات مرة أخرى ومن ذلك:

١. حادثة عتبة بن ربيعة حين أرسله الملأ من قريش إلى النبي ﷺ ليعرض عليه المال والسيادة والملك والطب ... حتى إذا فرغ مما جاء به، قرأ عليه النبي ﷺ من أول سورة فصلت، وعتبة منصت قد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة (الآية٣٧) فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك" فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، ... قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد [٦]، وفي

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٩/٢-٦٠.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٥/٢، وإسناده مرسل، وابن كثير، البداية والنهاية، توثيق عبد الرحمن الدقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١٤١٧/١هـ ١٤٨١/٣.

(3) هيتو، د.محمد حسن، المعجزة القرآنية، ص٤٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(4) أي ابتلت من كثرة نزول الدمع عليها.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٤/١.

(6) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٧٠/١، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢٠١/٢، تعليق د.عبد المعطي

رواية أن النبي ﷺ عندما بلغ في التلاوة قوله تعالى: ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ (السجدة: ١٣).قام عتبة فأمسك على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، فلما رجع إليهم وجدوه متغيراً فقالوا: قد صبأ إلى محمد، وقص عليهم خبره، وما وقع من الرعب في قلبه من القراءة، ومما قاله: قد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب [١].

٢. حادثة الوليد بن المغيرة حين اجتمع إليه نفر من قريش، وأرادوا أن يجمعوا على رأي واحد في النبي ﷺ حتى لا يكذبهم الناس فيه، وردّ على آرائهم بالزعم أنه كاهن، أو مجنون أو ساحر، أو شاعر، بأن كلامه لا يشبه شيئاً من ذلك، ثم قال: "والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة" [٢]، وفي رواية أنه قال: "إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته [٣]، وفي رواية أن الوليد قال للنبي ﷺ اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠). قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ فقال: "والله إنه له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر" [٤].

٣. حادثة أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق حين خرج كل منهم منفرداً ليستمع إلى قراءة النبي ﷺ وهو يصلي ليلاً في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، والتقوا وهم عائدون، فتعاهدوا أن لا يعودوا، إلا أنهم عادوا

قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، والجرجاني في الرسالة الشافية، ص١٢٤، مطبوعة ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(1) رواه البيهقي، دلائل النبوة، ٢٠٣/٢، وأبو نعيم، دلائل النبوة، ص٣٠٠، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، ٦١/٣، وأورده السيوطي في معترك الأقران، ٢٤٣/١.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٨/١، والعذق: الكثير الشعب والأطراف، شبه بعذق التمر، والجناة: أي فيه ثمر يجنى، فكأنه حافل بأطيب الثمر وأشهى جنى، والبيهقي في الدلائل، ١٩٩/٢.

(3) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، توثيق عبد الرحمن الدقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١٤١٧/١هـ ٦٧/٣، والطلاوة: الحسن والرونق، ومغدق: كثير، يقال: أغدق المطر: كثير قطره، وأغدقت الأرض: أخصبت، المعجم الوسيط، ٥٧٠/٢١ و ٦٥٢.

(4) البيهقي، دلائل النبوة، ١٩٩/٢، والجرجاني، الرسالة الشافعية، ص١٢٣.

ليلة ثانية وثالثة، ثم تعاهدوا جازمين أن لا يعودوا ... [١].

٤. حادثة منع المشركين أبا بكر الصديق ﷺ من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام، فاتخذ مسجداً له بفناء داره، فطفق النساء والأولاد الناشئون ينسلون من كل حدب إلى بيته ليلاً لاستماع القرآن، فنهاه المشركون وألجؤوه إلى الهجرة، فلقيه ابن الدغنة فأجاره، فعاد يقرأ في داره، وبنى مسجداً بفناء داره يصلي ويقرأ فيه، وخيره ابن الدغنة –بضغط من قريش- بين إخفاء تلاوته وبين رد جواره، فقال أبو بكر: "فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله" [٢]، وقد اشتهر أبو بكر ﷺ بالبكاء والتأثر عند تلاوة القرآن، وحين أوصى النبي ﷺ في مرضه أن يصلي أبو بكر بالناس، قالت له عائشة: (إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن غلبه البكاء) وفي رواية: (إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء) [٣].

وغير هذه الروايات مما يدل على تأثر المشركين لسماع القرآن الكريم،وهذا التأثر معلوم أن له أسباباً عديدة يحتملها النص القرآني في روعته،من بلاغة ألفاظ وحسن معان وجرس صوت حتى تغلغل القرآن في القلوب وأثر في النفوس وقاد إلى التأثر بالإسلام.

خامساً- شواهد من الحوادث الواقعة بعد عصر النبوة:

أما الحوادث الواقعة بعد عصر النبوة فهي كثيرة، وقد حفظت لنا كتب الإعجاز وفضائل القرآن وغيرها [٤]، مجموعة من الحوادث التي تبين مدى التأثر البالغ والانفعال العفوي لدى تلاوة الآيات أو الاستماع إليها، وفيما يلي سرد لمجموعة منها، روعي في اختيارها الجمع بين القديم والحديث، وإيراد حوادث تتعلق بغير المسلمين، وبمن أسلم لسماع القرآن أو تلاوته، وبمن عزم على معارضة القرآن، والابتعاد عما فيه مبالغة:

---

(1) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٥٠/١، وبسنده رواه البيهقي في الدلائل ٢٠٦/٢، وابن كثير، البداية والنهاية، ٧١/٣.

(2) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ٧٤، رقم الحديث ٣٦٩٢.

(3) رواه البخاري في كتاب الجماعة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم ٦٣٣، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، بباب استخلاف الإمام، رقم ٩٤٠، وأسيف: أي رقيق القلب سريع البكاء (من هامش البخاري).

(4) انظر: النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص٤١-٤٥، والقرطبي، التذكار، ص١٢٤-١٣٥، وعبد الله سراج الدين، تلاوة القرآن المجيد فضائلها آدابها خصائصها، مطبعة سحر، جدة، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ، حيدر قفة، ص٢٠٣-٢٥٤، دار الضياء، عمان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٨٣-٨٧.

١. قدم وفد من نجران على أبي بكر الصديق ﷺ في شيء من أمورهم، فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فبكوا بكاءً شديداً، فقال أبو بكر: (هكذا كنا حتى قست القلوب) [١].

٢. سمع أعرابي قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ (الحجر: ٩٤).، فسجد وقال: سجدت لفصاحته [٢].

٣. روي أن نصرانياً مرّ بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: مم بكيت؟ فقال: للشجا والنظم [٣].

٤. سمع الأصمعي كلاماً فصيحاً من جارية، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك !، فقالت: أو بعد قوله تعالى فصاحة: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (القصص: ٧). فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين [٤].

٥. أراد يحيى بن حكم الغزّال بليغ الأندلس في زمنه معارضة القرآن، فنظر في سورة الإخلاص لحذو على مثالها، وينسج بزعمه على منوالها، قال: فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة [٥].

٦. حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم، اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلاً عاماً ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين [٦] ولا يستطيع أحد أن يأتي بهذا [٧].حكي عن بعضهم أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يغشى عليه من

---

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٥١/٣، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، والنووي، التبيان، ص٤٣، وأورده العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص٤٦.

(2) أنظر د.خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص٥٦.

(3) القاضي عياض، الشفا، ٢٤١/١، والسيوطي، معترك الأقران، ٢٤٢/١، والشجا: الطرب وتهييج الحزن والشوق، انظر الوسيط، ٤٧٦/١.

(4) القاضي عياض، الشفا، ٢٢٩/١.

(5) القاضي عياض، الشفا، ٢٤٢/١.

(6) يقصد الآية الأولى من سورة المائدة.

(7) الشوكاني، فتح القدير، ، ٤/٢.

هيبته [1].

٧. حكي أن ابن المقفع، وكان من أفصح أهل وقته أراد معارضة القرآن وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ (هود: ٤٤). فرجع فمحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر [2]، وقد رفض نسبة هذه الحادثة إلى ابن المقفع الرافعي والبوطي [3].

٨. ما رآه ورواه محمد رشيد رضا عن بعض أدباء العرب من غير المسلمين أنهم يذهبون في بعض ليالي رمضان إلى بيوت معارفهم من المسلمين ليسمعوا القرآن ويمتعوا ذوقهم العربي وشعورهم الروحاني الأدبي بسماع آياته المعجزة [4].

٩. ما أورده سيد قطب في تفسيره سورة النجم من استشكاله حادثة سجود المشركين لما قرأ عليهم النبي ﷺ سورة النجم وسجد في آخرها وسجدوا معه، وبحثه عن تعليل لها، فحديث الغرانيق غير مقنع ولا مقبول سنداً ولا متناً [5]، قال: "لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود، ويخطر لي احتمال أنه لم يقع، وإنما هي رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة، وهو أمر يحتاج إلى تعليل، وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة التي أشرت إليها من قبل، كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً، وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما تلوه، ... وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة ... فلما سمعت ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت

---

(1) السيوطي، معترك الأقرآن، ٢٤٢/١.

(2) القاضي عياض، الشفا، ٢٤٢/١.

(3) الرافعي، إعجاز القرآن، ص١٥٤ و١٥٥، والبوطي، من روائع القرآن، ص١٣١-١٣٣.

(4) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (المنار) ١٦٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٩م.

(5) حديث الغرانيق: فيع تعليل سجود المشركين بأقوال بعيدة منها أن الشيطان ألقى في آذان المشركين عبارة فيها مدح لآلهتهم، وهو يظنونها من جملة الآيات المتلوة فسجدوا، وهو حديث باطل غير صحيح رده كثيرون، انظر مثلاً: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ٤٤١/٥.

رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبته، ولا أن أكفكف دموعاً هانته، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة، وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح، وأن تعليله قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة ... [١].

١٠. ما ذكره سيد قطب أثناء رحلته البحرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية من تأثير سيدة يوغسلافية بتلاوة القرآن الكريم، حيث قال: "إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري، إن له سلطاناً على القلوب ليس للأداء البشري، حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً، وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول، وإن لم تكن هي القاعدة، ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل، ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري ولكني أذكر حادثاً وقع لي، وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً، كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومئة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة، والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا، وقد يسر لنا قائد السفينة –وكان إنجليزياً- أن يصلي منهم معنا من لا يكون في الخدمة وقت الصلاة، وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة، وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب –معظمهم- متحلقون يرقبون صلاتنا، وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نحاج (القداس) فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا، ولكن سيدة من هذا الحشد، عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية هاربة من جحيم تيتو وشيوعيته، كانت شديدة التأثير والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها، جاءت تشد على أيدينا بحرارة، وتقول – في إنجليزية ضعيفة- إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح، وليس هذا موضع الشاهد في القصة، ولكن ذلك كان في قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها قسيسكم؟ فالمسكينة لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس أو رجل دين كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة، وقد صححنا لها هذا الفهم، وأجبناها، فقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً، ثم كانت المفاجأة الحقيقية

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٤٠٤/٦.

لنا وهي تقول: ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه، إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه –بهذه اللغة الموسيقية- فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه، نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً، هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث فيّ رعشة وقشعريرة، إنها شيء آخر، كما لو كان الإمام مملوءاً من الروح القدس –حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها- وتفكرنا قليلاً، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة، وفي أثناء الصلاة، وكانت –مع ذلك- مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم ما نقول شيئاً، وليست هذه قاعدة كما قلت، ولكن وقوع هذه الحادثة، ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد ذو دلالة على أن في هذا القرآن سراً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته ..." [١].

١١. وقد أجرت الجمعية الطبية الإسلامية بمدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا الأمريكية تجربة على خمسة أشخاص ليسوا مسلمين و لا ينطقون العربية (منهم ثلاثة ذكور و امرأتان) . و كانت التجربة كما يلي:

٨٥ جلسة استماع لقراءات قرآنية بطريقة التجويد .و٨٥ جلسة استماع لقراءات غير قرآنية باللغة العربية بطريقة التجويد باختيار اللفظ والصورة و الإيقاع ليكون مشابها لما في القرآن.

٤٠ جلسة استرخاء و بدون أية قراءات (ثم أهملت لأنها لم تأت بنتيجة إيجابية على التوتر. وكان معيار النتائج تهدئة النفس اعتمادا على مؤشرات التغيرات الفسيولوجية الآتية: قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، ودرجة حرارته، والدورة الدموية،التيارات الكهربائية العضلات التي تعكس ردود الفعل العصبية، عدد ضربات القلب و ضغط الدم ، الفحص النفسي المباشر . و قد تم قياس التغيرات بأجهزة ذات تقنيات عالية ، وجاءت النتائج مؤكدة أن تلاوة القرآن يصحبها تغيرات فسيولوجية ملموسة و لا مجال فيها للإيحاء، حيث أشارت النتائج إلى أن ٦٥% من الحالات تأثرت إيجابيا و حصل عندها الهدوء النفسي أثناء جلسات الاستماع القرآني . [٢].

١٢. وقد أثبتت مجموعة من الدراسات العلمية أجريت في ماليزيا على بعض مرضى اضطراب القلق العام ومرض الاكتئاب الجسيم أن المتدينين من هؤلاء المرضى يستفيدون بشكل لا يقبل الجدل عند إضافة بعض أساليب العلاج النفسي الديني لعلاجهم الدوائي مقارنة بالمرضى

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٧٨٦/٣.

(2) مجلة آيات، السنة الأولى، العدد الثامن، رجب ١٤٢٥هـ، آب ٢٠٠٤م، ص٢٦.

غير المتدينين حيث احتاج المتدينون لجرعات أقل من العقارات واستخدموها لفترات أقل من غيرهم وتلخصت أسباب العلاج الديني تلك فيما يمكن اعتباره إسباغاً للوضوء في إطالة مدة الصلاة، وكذلك قراءة بعد آيات من كتاب الله [(١)].

١٣. ما ذكرته رئيسة قسم اللغة العربية ببوخارست، أنها كانت في الجزائر لتتعلم اللغة العربية، وصادفها وهي هناك أن كانت في قرية جهة الصحراء، وكان الفصل صيفاً قائظاً، والهواء ساكناً، والذباب منتشراً يطن، يزيد في ضيق الناس، وكان الوقت أصيلاً، وقد ارتفع صوت المذياع بتلاوة أحد المقرئين قبيل ساعة من مدفع الإفطار، ولم يلبث بعد أن استقر بها المكان أن زايلها ضيقها وإحساسها بالذباب وبالطقس، وذكرت أنها لم تجد تعليلاً لذلك غير استماعها إلى صوت المقرئ، وقد لاحظت ذلك على الناس أيضاً، حتى الغنم والماعز التي انتشرت أمام المنازل والخيام فقد استكانت هي أيضاً تجتر ... [(٢)].

١٤. ما قاله الأستاذ محمد حنيف الباحث بالموسوعة الفقيهة بالكويت أنه ذهب إلى لندن لإلقاء محاضرة في مسجد بها، فوضع المكلفون بتنظيمها شريطاً من القرآن في مكبر الصوت لجمع الناس، وما أن قرئ القرآن وسمعه الناس حتى توافد على المسجد جمع غفير جلسوا يستمعون القرآن كأن على رؤوسهم الطير، ولكن بمجرد أن أغلق مكبر الصوت استعداداً لأداء المحاضرة أخذ الناس ينصرفون، فعجبت من ذلك، وبعد الفراغ سألت إمام المسجد عن هذه الظاهرة، فقال: ما نكاد نفتح مكبر الصوت في أي وقت على القرآن الكريم حتى يتوافد الناس على المسجد ويجلسون خاشعين رغم أنهم لا يفقهون القرآن، ولكنه يأخذهم بسحره وروعة لفظه وموسيقاه، فإذا انتهت التلاوة قاموا كما جاءوا [(٣)].

١٥. من الأدلة على الإعجاز النفسي: أن القرآن الكريم ينشط الجهاز المناعي لدى الإنسان: وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)، فقد أثبتت دراسة علمية نشرت في مصر مؤخراً أن سماع الإنسان للقرآن الكريم يعمل على تنشيط الجهاز المناعي لدى الإنسان سواء أكان المستمع مسلماً أم غير مسلم، وسواء فهم معاني القرآن الكريم أم لم يفهم، وأشارت الدراسة التي أجريت عن كيفية تنشيط الجهاز المناعي بالجسم للتخلص من أخطر الأمراض المستعصية

---

(1) أبو هندي، د.وائل، نحو طب نفسي إسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، ص١٧.

(2) ينظر رمضان، د.محيي الدين، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص٢٤.

(3) ينظر العسال، د.خليفة حسين، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص٥٥.

والمزمنة إلى أن ٧٩% ممن أجريت عليهم تجربة سماع القرآن سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ويعرفون العربية أو لا يعرفونها ظهرت عليهم تغيرات وظيفية تدل على تخفيف درجة التوتر العصبي التلقائي، وذكرت الدراسة التي نشرتها هيئة المستحضرات الطبية واللقاحات في مصر أنهم تمكنوا من تسجيل ذلك كله بأحدث الأجهزة العلمية وأدقها، مما يدل على أن التوتر يؤدي إلى نقص مستوى المناعة في الجسم من خلال إفراز بعض المواد داخل الجسم، أو ربما حدوث ردود فعل بين الجهاز العصبي والغدد الصماء، ويتسبب ذلك في إحداث خلل في التوازن الوظيفي الداخلي بالجسم.

وأوضحت الدراسة أن الأثر القرآني المهدئ للتوتر يؤدي إلى تنشيط وظائف المناعة لمقاومة الأمراض والشفاء منها، مشيرة إلى أن الدراسة شملت ٢١٠ متطوعين أصحاء تتراوح أعمارهم بين ١٧-٤٠ سنة، وكانوا من غير المسلمين، وتم ذلك خلال ٤٢ جلسة علاجية، وأكدت أن النتائج كانت إيجابية نظراً للأثر المهدئ للقرآن الكريم على المتوتر بنسبة ٦٥% وهذا الأثر المهدئ له تأثير علاجي حيث إنه يرفع كفاءة الجهاز المناعي، ويزيد من تكوين الأجسام المضادة في الدم [(١)].

١٦. وما قاله عدد من المستشرقين من خلال تجاربهم الشخصية مع القرآن، وقد جمع عدداً من عباراتهم الدكتور عماد الدين خليل في كتاب: (قالوا عن القرآن) ومنها ما قالته فاغليري: "إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أي حس بالملل، على العكس، إنه من طريق التلاوة المكرورة يحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر، يوماً بعد يوم، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية ... [(٢)].

١٧. وقال أحمد سوسة: " يرجع ميلي إلى الإسلام حينما شرعت في مطالعة القرآن الكريم للمرة الأولى فولعت به ولعاً شديداً، وكنت أطرب لتلاوة آياته" [(٣)].

وقال كوبولد: "الواقع لأن جمل القرآن وبديع أسلوبه، أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته، وما ينعم به من موسيقى لفظية لست

---

(1) www.sabeelnet.com

(2) د.عماد الدين خليل، قالوا عن القرآن، ص٢٧٥، مطبوع بذيل كتاب: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، وفيه تعريف موجز بالذين نقلت عباراتهم.

(3) د.عماد الدين خليل، قالوا عن القرآن، ص٢٧٠.

تجدها في غيره من الكتب ..." [١].

١٨. وقال لاندو: "... ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتلها به المسلم، وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية" [٢].

١٩. وقالت هوني: "لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام" [٣].

٢٠. وقد ثبت تأثير الآيات على العقل البشري باستعمال الأجهزة الحديثة، ومنها جهاز يقيس الموجات الدماغية بكل دقة، وهي أربع موجات لكل منها سرعة محددة، ففي حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة ١٣-٢٥ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق والإبداع، يتحرك بسرعة ٨-١٢ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والخلود إلى النوم يتحرك بسرعة موجة واحدة في الثانية، وفي حالة النوم العميق يتحرك بسرعة ٠,٥-٣ موجة في الثانية، رأى هذا الجهاز الدكتور نجيب الرفاعي في أحد مؤتمرات التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمه بوضع القبعة على رأسه، وقرأ آية الكرسي، وشاهد على شاشة الكمبيوتر انتقال المؤشر من سرعة ٢٥ موجة في الثانية إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية ٨-١٢ موجة في الثانية، واستغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة، فطلب منه صاحب التجربة أن يقرأ على أحد رواد المعرض الذي رحّب بالفكرة، وقرأ عليه آية الكرسي، وكانت النتيجة مذهلة حيث انخفضت موجاته الدماغية بشكل سريع إلى منطقة ٨-١٢ موجة في الثانية، وقال بعد انتهاء القراءة: "لم أفهم منها شيئاً ولكن ذات نغمات مريحة، لقد أدخلت السرور على قلبي بكلام غريب لم أفهم منه حرفاً واحداً، كلام جميل ومريح" [٤].

٢١. ومن الأدلة على الإعجاز النفسي شهادة بعض المستشرقين الذين أسلموا متأثرين بسماع القرآن الكريم، حيث لا يزال القرآن معجزة قائمة بين أيدي الناس منذ أكثر من أربعة

---

(1) المرجع نفسه، ص٢٨١.

(2) المرجع نفسه، ص٢٨٤.

(3) المرجع نفسه، ص٢٨٧.

(4) د.نجيب عبد الله الرفاعي، مقالة: أثر القرآن على قلوب الأمريكان، في مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٢٠٦، ١٦/صفر/١٤١٧هـ، ١٩٩٦/٧/٢م.

عشر قرناً من الزمان يتلونه أو يتلى عليهم، فيتدبرون معانيه، ويزنون ألفاظه ومبانيه بميزان العقل الرجيح والفهم الصحيح، ويوازنون بينه وبين الكتب السماوية الأخرى، فيجدونه أصدق قيلا، وأقوم سبيلا، وأقنع للعقول، وأقرب إلى الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، ولم يلبث العلماء الباحثون من غير المسلمين أن يتأثروا بالقرآن ويؤمنوا به وبالواحد الأحد الذي أنزله على عبده ولم يجعل له عوجا.

قال تعالى:﴿قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾ (الكهف: ٢).

أ- سبب إسلام الأستاذ الألماني:

وها هو ذا أستاذ الموسيقى الألماني (نلت ريني) يعتنق الدين الإسلامي سنة ١٩٦٩م بعد ما يتجاوز الثلاثين من عمره، وبعد ما درس جميع الأديان وفلسفة أفلاطون ومدينته الخالدة وبعد دراسة بوذا وديانته ثم يقول عن سبب إسلامه: "إني قرأت القرآن الكريم كله مترجماً باللغة الإنجليزية، وكلما قرأته اشتد إعجابي واقتناعي بمنطقه، وكم كنت أشعر براحة كبيرة عندما أقرؤه، ثم حفظت بعض الآيات القرآنية باللغة العربية إلى آخر أقواله التي ختمها بنصيحته لجميع الإخوان والأخوات المسلمين والمسلمات أن يتمسكوا بشريعتهم ولا يتأثروا بالمدنية المادية التي تؤدي إلى الضياع والهلاك، ولينظروا إلى ما فعلته هذه المدنية بشعوب العالم من انفصام وصراع، وعدم استقرار، بل إلى الضياع، كما هو واقع في هذا العصر.

وقوله هذا صريح لا يحتاج إلى تعليق فهو يذكر أن سبب إسلامه قراءة القرآن واقتناعه بمنطقه القويم .. الخ.

ب- محمد جويدر وستر، رئيس البعثة الإسلامية بأستراليا:

قال: لا أستطيع أن أعبر في كلمات عن مدى تأثري بمجرد تلاوتي لأول سورة فيه وهي سورة الفاتحة بآياتها السبع، ثم قرأت عن حياة الرسول ﷺ.

فهو يعلن بكل صراحة شدة تأثره بقراءة القرآن من أول سورة فيه ثم يضيف إلى تأثره بالقرآن تأثره بحياة الرسول محمد ﷺ.

والمتتبع لأقوال من أسلموا حديثاً في عصرنا الحالي يجدها تنسب إسلامهم إلى تأثرهم بقراءة القرآن ومطابقته لفطرة الإنسان في كل زمان ومكان، سواء كان في الهند وباكستان، أو في أندونيسيا واليابان، أو في مصر والسودان، أو في إنجلترا والولايات المتحدة، أو في فرنسا

واستراليا وسائر أقطار الأرض [١].

سادساً- إخبار القرآن عن مكنونات النفس الإنسانية:

لقد أخبر القرآن الكريم عن أسرار النفس الإنسانية وأمراضها ثم قوم اعوجاجها بطريقة مذهلة للعقول حيث كشف خباياها وعرضها بطريقة سلسة حتى أن القارئ للقرآن الكريم يجد فيه حقيقة النفوس البشرية بكل دقة وأمراضها بكل وضوح ثم يجد العلاج المناسب لكل مرض و التوجيه الفعال لطمأنينة النفس وراحة البال [٢].

وفي ختام هذا المبحث يتبن أن الإعجاز النفسي هو وجه مستقل من وجوه الإعجاز القرآني؛ نظراً لكثرة وقوة الأصول النظرية التي اعتمد عليها المثبتون لهذا الوجه من الإعجاز القرآني، وكذالك لبروز الأدلة التطبيقية التي تبين الأثر لوقع الآيات القرآنية على النفس الإنسانية عند النظر فيها.

---

(1) ينظر الحسيني، خلف محمد، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان ، نهضة مصر، الفجالة، القـاهرة، ص٩-١٢ .

(2) سنتعرض لنماذج من وجوه هذا الإعجاز في الفصل الثاني والثالث إن شاء الله تعالى

المطلب الثاني: المنكرون للإعجاز النفسي وأدلتهم:

لقد ذهب بعض العلماء إلى رفض إطلاق عبارة الإعجاز النفسي ومنع اعتباره وجهاً من وجوه الإعجاز مع العلم أنهم يعتبرون هذا الوجه من الإعجاز إنما هو دليل على صدق القرآن الكريم فحسب ومن هؤلاء العلماء:

١. محمود محمد شاكر [١].

٢. د.صلاح الخالدي [٢].

٣. محمد بن لطفي الصباغ [٣].

٤. د.أحمد سيد محمد عمار [٤].

ويمكن حصر أدلتهم في نقطتين رئيسيتين:

النقطة الأولى:

اعتمادهم على شرط التحدي في الإعجاز وأنه لابد من اقتران المعجزة بالتحدي، والرسول ﷺ عندما تحدى العرب إنما تحداهم بالبيان القرآني والبلاغة والنظم، ولم يتحدهم بالغيب أو بالأمور النفسية أو التشريعية، فالآيات القرآنية طلبت الإتيان بمثل القرآن أو بمثل بعض سوره في بيانها فحسب.

وقد بينا سابقاً أن التحدي ليس شرطاً في كل معجزة.

يقول الدكتور الخالدي:

"وأنا لست مع جمهور العلماء الذين يجعلون وجوه الإعجاز عديدة ويدخلون الأدلة على مصدر القرآن الكريم الرباني، في وجوه الإعجاز مع أنها ليس فيها تحد للكفار السابقين أو المعاصرين، ونحن لا نطلب منهم الإتيان بمثلها ليعجزوا عنها، ولو طالبناهم في هذا العصر بالإتيان بمثلها فقد يستطيعون، وبذلك لا يكونون عاجزين فلا يكون القرآن معجزاً لهم" [٥].

النقطة الثانية:

إن ما جاء به القرآن من إبراز لمكنونات النفس الإنسانية إنما هو من قبيل التعريف

---

(1) شاكر، محمود محمد، مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدني، مصر، ط١/٢٠٠٣م، ص٢١.

(2) الخالدي، إعجاز القرآن البياني ص٧٠٦.

(3) الصباغ، لمحات في علوم القرآن ص٨٨ .

(4) عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها ص١١١.

(5) الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٧.

وإبراز مكنونات النفس الإنسانية وليس فيه إعجاز أو خرق للعادة.

يقول الصباغ: "فإن ما تضمنه القرآن من الإخبار عن السرائر ودخائل النفوس من غير أن يظهر منهم بقول أو فعل دليل على صدق نبوته وعلى أن هذا القرآن من عند الله ولكنه ليس موضع الإعجاز الذي رافقه التحدي، وكذلك إخباره عن حديث نفس خطر ببالهم فأطلع الله عليه نبيه، قال الله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا [١] والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (آل عمران: الآية١٢٢) والطائفتان هما بنو حارثة وبنو سلمة اللتان همتا بالتقاعد عن الخروج يوم أحد.

أو كإخباره عن قول قاله اليهود في أنفسهم: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ (المجادلة: ٨) [٢].

أما الشيخ محمود شاكر فيقول –في معرض حديثه عن إنكار إطلاق لفظة الإعجاز: "فالأمر ليس عجزاً من الخلائق عن فعل طولبوا بمثله فعجزوا، أو يتوهمون توهماً أنهم لو أدرادوه لعجزوا عنه بل هو (إبلاس) من جميع الخلائق، ودهشة وسكوت ووجوم وإطراق أحدثته الآية عند المعاينة، ثم تسليم قاطع تستيقنه النفوس، بأنه فعل ممتنع أصلاً على هذا النبي ﷺ وعلى جميعهم" [٣].

كما أن د.أحمد سيد في كتابه نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي الحديث جعل الإعجاز النفسي هو الوجه الثاني عند من قال به، وساق الأدلة التي يحتج بها من قال به مثل قصة أبي سفيان وتأثر الجن عند سماع القرآن.

ثم رجح بعد ذلك أن الإعجاز النفسي ليس وجهاً من وجوه الإعجاز وإنما هو دليل على مصدر القرآن الكريم، لأن هذه الوجوه من الإعجاز ليست مقرونة بالتحدي [٤].

كما أشار إلى رفضه لهذا الوجه من الإعجاز الدكتور خالد السبت في كتابه (مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم) حيث يقول: "تنبيه: ولا يخفى عليك –إن شاء الله- أن الوجوه التي عدها المؤلف أدلة على الإعجاز والتي تبدأ من الوجه الثامن وتنتهي بالوجه الثالث عشر لا تصلح وجوهاً لذلك كما هو ظاهر ... ولكن قد تصلح أن يدلل بها على كون القرآن إنما نزل من

---

(1) (أن تجبنا وتضعفا)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٣٠/١ .

(2) الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ص٨٨.

(3) شاكر، مداخل إعجاز القرآن، ص٤٥.

(4) عمار، نظرية الإعجاز القرآني، ص١١١.

عند الله تبارك وتعالى" [١] مع العلم أن الوجه الذي أشار به الزرقاني (ت١٣٧٣هـ ١٩٤٨م) لقوة تأثير القرآن هو الوجه الثالث عشر.

---

(1) السبت، خالد بن عثمان، كتاب مناهل العرفان (دراسة وتقويم)، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٨٧٩/٢.

المطلب الثالث: موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز القرآني:

انقسم العلماء المجيزون لوجود الإعجاز النفسي إلى مذاهب في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز وشكلوا مذاهب على النحو الآتي:

المذهب الأول:

من قال إنه أول وجوه الإعجاز وأنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز:

وقد أشار محمد فريد وجدي إلى هذا النوع من الإعجاز في كتابه دائرة معارف القرن العشرين، وكان مغالياً في هذا الجانب فجعله الوجه الأول حيث يقول: "إننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الجهة –أي البلاغة- إلا أننا نرى أنها ليست الجهة الوحيدة لإعجازه، بل ولا هي أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس، فإن للبلاغة على الشعور الإنساني تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال بالضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى يستأنس به الإنسان فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدث في مبدأ توارده عليها. وليس هذا شأن القرآن، فقد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثراً. والعلة في نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهي أن القرآن روح من أمر الله تعالى ... نعم إن جهة إعجاز القرآن هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والقساورة [(١)]، ووطئت لهم عروش الأكاسرة والقياصرة حتى صاروا ملوك الملوك وإخوان الملائكة في مدة لا يصعب عد سنينها على الأصابع، ولا مشاحة في أن القرآن فصيح قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادة القوافي وملوك البيان وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة وأدهش أساطين القوانين والشريعة، وحير أراكين النظام والدستور ... [(٢)]، ولما كان القرآن روحاً من أمر الله فلا جرم كانت له روحانية خاصة وهي عندنا جهة إعجازه والسبب الأكبر في انقطاع الإنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره [(٣)].

وقد علق على هذا الرأي الدكتور أحمد شكري حيث قال: "ولا يخفى ما في هذا الكلام

---

(1) هذه عبارة المؤلف والصواب أن يقال القساور بدون تاء مربوطة وهي جمع مفرده القَسْوَرَةُ وهو العزيز يَقتَسِر غيرَه أي يَقْهَرُه، انظر مادة قسر من لسان العرب لابن منظور٥/٩٢.

(2) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م، ٧/٦٧٦-٦٧٩.

(3) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ٧/٦٧٧.

من تكلف، وبدلاً من الحمل على القائلين بأن وجه الإعجاز في بلاغة القرآن ونفي وجود آيات تشير إلى بلاغة القرآن اللفظية [١] كان يكفيه التوفيق بين الوجهين، وتبيين أن تأثير القرآن بسبب البلاغة الفائقة التي فيه أو أنهما وجهان بالغا الأهمية في إظهار الإعجاز فلا يطغى أحدهما على الآخر ولا يرده" (٢).

المذهب الثاني: أن الإعجاز النفسي وجه مستقل، وهذا الذي عليه جمهور العلماء.

١. فالقاضي عياض جعله الوجه السادس من وجوه الإعجاز بعد حسن التأليف والتئام كلمه وقصاصته ونفحه العجيب وأسلوبه الغريب وإخباره عن المغيبات وإخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة [٣].

٢. أما الإمام الزركشي فقد نقل اثني عشر وجهاً من وجوه الإعجاز وعلق بعدها بأن القرآن يشمل جميع ما سبق ومنها الروعة التي له في القلوب [٤].

٣. وذكر ذلك محمد رشيد رضا عند حديثه في الفصل الرابع عن إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته وتأثيره ، وقد فصل القول في فضل القرآن في نفس الأمة العربية وإحداثها له أكبر ثورة عالمية ثم فعله في أنفس مشركي العرب، ثم حديثه عن فعل القرآن في أنفس المؤمنين [٥].

٤. أما الإمام الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) فقد جعله الوجه الرابع عشر من وجوه الإعجاز وقد فصل القول به مثبتاً تأثير القرآن في نفوس الأعداء والمؤمنين الأولياء.

وعلق على ذلك بقوله: "هذا التأثير الخارق أو النجاح الذي نتحدث فيه، أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفة، حاذقاً لأساليب العربية، ملماً بظروفه وأسباب نزوله. أما الذين لم يحذقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة، فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، عن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاءً أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه، ومحالفوه ومخالفوه! وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه، فوجد تياره

---

(1) أشار إلى ذلك محمد فريد وجدي، دائر معارف القرن العشرين، ٦٨٠/٧.

(2) ينظر شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص١٣٧.

(3) القاضي عياض، الشفا، ٢٢٧/١-٢٤٧.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن،

(5) رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ص١٥٧-١٦٥.

الكهربائي موضعا في نفوسهم لشرارة ناره، أو لهطول غيثه وانبلاج أنواره! [١].

٥. وكذلك الدكتور البوطي فقد جعله الوجه الرابع والأخير [٢].

وكذلك العلماء المشاركون في مؤتمر الإعجاز الأول في بغداد:

٦. ومن هؤلاء الدكتور عبد الرزّاق اسكندر وجعله الدكتور عبد الستار حامد الوجه الثالث من وجوه الإعجاز [٣].

وجاء في توصيات المؤتمر أن الإعجاز القرآني لا يحده حد محدود أو مظهر معين أو زمن معين فهو معجز في نظمه وفي ترتيب حروفه وإيقاع كلامه بما يثير من إحساس يلائم المعنى المقصود ... [٤].

٧. وكذلك من العلماء الذين اعتبروه وجهاً مستقلاً الدكتور أحمد شكري، حيث أعد بحثاً في الإعجاز النفسي وتعرض فيه وجمع أقوال العلماء وناقش الأقوال ومن ثم رجح كونه وجهاً مستقلاً حيث يقول: "وبعد عرض هذه الآراء الثلاثة في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز يأتي دور محاولة التوفيق"، ويرى الباحث تبعاً لمعظم من تعرض للحديث عن الإعجاز النفسي أنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز وأنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز لأنه أمر يتعامل معه الجميع ويتعرض له، ولآثاره كل تال وسامع ولو في فترة أو مرة بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدد و لايكاد يشعر بها كثير من المتعاملين بالقرآن وأنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني وثمرة من ثمراته الكثيرة" [٥].

المذهب الثالث:

وهم العلماء الذين اعتبروا الإعجاز النفسي تابعاً لوجه الإعجاز البياني ولا يعتبر وجهاً مستقلاً.

١. فمن هؤلاء الإمام الرافعي، حيث ذكره عند حديث الحروف وأصواتها والكلمات وحروفها والجمل وكلماتها وجعل أول أنواع الأصوات:

صوت النفس وعرفه فقال: هو الصوت الموسيقي الذي يتكون من تأليف النغم بالحروف

---

(1) الزرقاني، مناهل العرفان، ص٤٣٥-٤٣٧.

(2) البوطي، من روائع القرآن، ص١٥٦.

(3) كتاب الإعجاز القرآني، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، المعقود ببغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٣١٣-٣٢٧.

(4) المرجع السابق، ص٦٩٦.

(5) شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص١٤٥.

ومخارجها وحركاتها، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوية، وعلى نسق متساوٍ بحيث تكون الجملة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس وإن وقف عند هذا المعنى قطع به. ثم أشار إلى صوت العقل وصوت الحس. فيقول بعد ذلك: وعلى مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة [١].

ومما سبق يتبين لنا أن الإمام الرافعي يعد الإعجاز النفسي جزءاً من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، إعجاز النظم والبلاغة والألفاظ [٢].

٢. وكذلك أشار إليه الدكتور محمد عبد الله دراز عند حديثه عن الإعجاز البياني في كتابه (النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن) حيث ربط التأثير النفسي بالإعجاز البياني، فقال: "دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه على هوى القرآن وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه ولكن تسمع حركاته وسكناته ومدّاتها وغنّاتها واتصالاتها وسكناتها، ثم ألق سمعك ... إن أو شيء أحسته تلك الأذن العربية هو ذلك نظام الصوت المتين الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً متنوعاً ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتتهادى النفس فيه آناً بعد آن إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى ... ا.هـ. [٣].

٣. وكذلك بنت الشاطئ، فقد أشارت إليه فذكرت قصة الوليد بن المغيرة ... وذكر بعدها المشركون بما يصفون هذا القرآن قالوا: هو شعر. وقالوا: هو كهانة. ثم تقول بعد ذلك: هو إذن سحر البيان يعرفون سلطانه على الوجدان العربي فهم في خشية من أن يدرك العرب كل العرب لا البلغاء والشعراء فحسب إعجاز البيان القرآني [٤].

٤. وكذلك الدكتور فضل حسن عباس، حيث يقول: "نحن لا ننكر تأثير القرآن على النفوس فتلك قضية بدهية ولكن الذي نناقشه هنا أن نعده وجهاً منفصلا عن بيان القرآن وبلاغته وبديع نظمه ..."ثم يقول والذي نراه جديراً بالقول إن هذا الوجه ناشئ عن بلاغة القرآن وعلو شأنه وبديع نظمه .." [٥].

---

(1) من خلال كلامه يتضح لنا اعتباره للإعجاز النفسي ثمرة للإعجاز البياني.

(2) الرافعي، إعجاز القرآن الكريم، ص٢٥١.

(3) دراز، د.محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن، دار القلم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص١٠٢-١٠٣.

(4) بنت الشاطئ، الإعجاز البياني، ص٤٦-٤٥.

(5) د.عباس، إعجاز القرآن، ص٣٣٤.

المطلب الرابع: أصول وضوابط ومسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني:

أولاً: أصول وضوابط الإعجاز النفسي:

على الباحث في الإعجاز النفسي في القرآن الكريم أن يسير وفق ضوابط وأصول معتمدة ومنضبطة في بحثه في الإعجاز وهذه الأصول يجب أن تجمع في داخلها بين الآيات القرآنية وعلم النفس، ومن أهم وأبرز هذه الأصول:

١. النظر إلى الكلمة القرآنية وحروفها وإبراز الأثر البياني وانعكاساتها على نفس السامع، مما يورثه خشوعاً وشعوراً بالوجل والخوف، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣).

٢. النظر في الآيات القرآنية التي تبرز أثر القرآن الكريم في النفس والاستشهاد بالأحاديث النبوية قدر الإمكان.

٣. النظر في جوانب الإعجاز النفسي ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من أساليب في الإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة وغيرها.

٤. النظر في الآيات القرآنية التي تكشف خفايا النفس الإنسانية وذلك من خلال:

ا. النظر في الآيات التي تبين صفات النفس الإنسانية مثل التكليف والعمل والكسب والهوى والتزيين والتسويل والوسوسة والحسد والظلم والتفريط واللوم والاطمئنان والرضى والأمر بالسوء والإلهام وغيرها.

ب. النظر في الآيات التي تبين مراتب النفس الإنسانية.

ج. النظر في الآيات التي تكشف عيوب وأمراض النفس الإنسانية، وعلاجها، مثل الحقد والحسد والشح والبخل والطمع والحرص وحب الدنيا والعجب والكبر والرياء والغرور والغضب والغيظ واليأس والقنوط والغفلة والنسيان.

٥. النظر في الآيات التي تبين إرشادات القرآن للوقاية من الأمراض النفسية وذلك من خلال:

١. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالله وبيان أثرها النفسي.

٢. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالقدر وبيان أثرها النفسي.

٣. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالأجل وبيان أثرها النفسي.

٤. النظر في الآيات التي تبين ثمرات العبادات وبيان أثرها في النفس.

٦. النظر في الآيات التي تبرز خفايا النفس الإنسانية، وبيان أثرها النفسي ومثال ذلك:

أ. القرآن الكريم يبين أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة.

ب. القرآن الكريم يوضح فطرة النفس وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد.

ج. القرآن الكريم يبين أن الله مطلع على أسرار النفس الإنسانية.

د. القرآن الكريم يدعو الإنسان للتأمل في النفس ومكنوناتها.

ه. القرآن الكريم يبين ازدواجية الاستعداد في النفس الإنسانية.

و. القرآن الكريم يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول.

ز. القرآن الكريم يصحح المعتقدات.

ح. القرآن الكريم يكشف عن أحقاد المنافقين وأهل الكتاب ضد الإسلام.

٧. النظر في الآيات التي تبين الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالعبادات كالصلاة والدعاء والصيام والزكاة والحج والصبر والذكر وغيرها.

٨. النظر في الآيات التي تبين جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالآداب عامة ذات الأثر النفسي، وذلك من خلال:

أ. مراعاة نفسية الأخوة المسلمة.

ب. مراعاة نفسية الضيف والمضيف.

ج. مراعاة نفسية المدعو والمخطئ.

د. مراعاة نفسية المجاهد.

هـ. مراعاة نفسية الأب والابن.

و. مراعاة نفسية كل من الزوجين.

٩. النظر في الآيات التي تبين الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالعقوبات وبيان أثرها النفسي، وذلك من خلال:

أ. بيان أثر الحدود في النفس الإنسانية.

ب. بيان أثر القصاص في النفس الإنسانية.

ثانياً: مسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني.

يمكن إجمال أسباب جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني بما يلي:

١. أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي تناسب كل عصر وكل قوم، وهذا يدعونا إلى تعدد وجوه الإعجاز وتنوعها ، ومن هذه الوجوه الإعجاز النفسي الذي هو محل بحثنا، فلو كان الإعجاز مقروناً بالتحدي بالبيان، لكان محصوراً على عصر وعلى قوم، وهذا محال بالاتفاق.

يقول النورسي: "حتى إن القرآن الحكيم يظهر إعجازه بصورة عدم الإملال إزاء الطبقة الجاهلة العامية التي لا تفهم المعنى أيضاً ... نعم إن ذلك العامي الجاهل يقول إني أسمع شعراً أياماً أو أشهر مرتين أو ثلاث مرات فيورثني الملل أما هذا القرآن فلا يورث الملل أصلاً وكلما دام استطيب استماعه، فإذاً ليس هذا القرآن كلام الناس ... حتى إن القرآن يشعر نوعاً من إعجازه للمرضى المحضرين أيضاً الذين يتأثرون عن اللغط والكلام القليل ذلك من حيث إنهم يستطيبون نغمة القرآن ويستحلون زمزمته كماء زمزم"(١). ولهذا وجدنا النورسي يعالج الموضوع بحكمة وروية فيقر أن كل طبقة من طبقات الناس تنال نصيبها من تذوق الإعجاز وإدراكه بأسلوب معين ونمط خاص، فالقرآن معجز لأهل الفصاحة والبيان من زاوية البلاغة، ومعجز بأسلوبه الرفيع الجميل الفريد لأرباب الشعر والخطابة...وهو يتحدى طبقة الكهان الذين يدعون أنهم يخبرون أشياء عن الغيب بإيراد الأنبياء المعجزة الصادقة. إلى أن قال: وكذلك هو معجز للذين لا يملكون إلا قدرة الاستماع، فإنهم يقرون بإعجازه بمجرد سماعهم له، فإن له في السماع وقعاً عجيباً.

٢. إن الأدلة التي أوردها مثبتو الإعجاز النفسي أدلة لا تحتمل الشك والنزاع. ففي القرآن الكريم الآيات الواضحات التي تدل على تأثير القرآن الكريم على النفس الإنسانية بل على الجمادات. وكذلك السنة النبوية الصحيحة فقد احتوت العديد من المشاهد والواقعات التي تثبت وجود الإعجاز النفسي وهي كثيرة وواضحة الدلالة.

٣. أما المشاهدات المعاصرة الدالة على وجود الإعجاز والتأثر النفسي عند تلاوة القرآن الكريم وسماعه والتفكر في معانيه فكثيرة هي حتى على الذين لا يفقهون اللغة العربية لا تحتمل

---

(1) للمزيد انظر النورسي، بديع الزمان سعيد (١٢٩٢هـ-١٣٧٩هـ)، المكتوبات، ترجمة محمد زاهد الملا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٢٦٦، وانظر الدغامين، إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، ص١٤٧.

شكاً في إثبات هذا الوجه من الإعجاز.

يقول الأستاذ الدكتور أحمد شكري: إن الإعجاز النفسي وجه مستقل من وجوه الإعجاز وإنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز، لأنه أمر يتعامل معه الجميع ويتعرض له ولآثاره كل سامع للقرآن ولو لفترة وجيزة بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدود ولا يكاد يشعر بها كثير من المتعاملين بالقرآن الكريم، وإنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني وثمرة من ثماره الكثيرة . [١].

(1) بتصرف شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص١٤٥.

المطلب الخامس: علاقة الإعجاز البياني في الإعجاز النفسي:

العلاقة بين البلاغة والنفس علاقة واضحة، فالبلاغة هي: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" [1]، بهدف التأثير في نفس المتلقي (السامع-القارئ)، من خلال الإقناع العقلي الذي يتوارى داخل القول البلاغي العربي، سواء أكان قولاً شعرياً أم نثرياً.

فكل عمل أدبي اتسم بالبلاغة ينطوي على قوة تأثيرية يحاول بها المتكلم أن يقتحم نفس المخاطب، ليستميله نحو هدف معين، بإقناع عقله، وإرضاء قلبه، ذلك أن التراكيب اللفظية إذا أحسن المتكلم استخدامها تمكّن من أسر المخاطب بسحر بيانه، لما للكلام البليغ من سلطان على العقل وأثر في النفس، فكم من بيت من الشعر رفع وضيعاً، أو وضع رفيعاً، وكم من بيت قتل قائله وأورده موارد الهلكة، وقد أشار القرآن الكريم إلى تأثر النفوس بالقول البليغ، حيث قال -تعالى-: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ (النساء: ٦٣): تشير هذه الآية ونفهم من النص الكريم أن البلاغة إنما تكون أول ما تكون في القول الذي لقائله هدف منه، وأن هذا القول ينبغي أن يكون مؤثراً في النفوس، يفتح أبوابها، ويهز جوانبها [2]. ومعلوم أني لن أتناول في هذا المطلب جميع الوجوه من البلاغة والبيان، وأثرها في الإعجاز النفسي لأن هذا الشيء يحتاج لبحث واسع ولكن أكتفي بالإشارة لبعض وجوه البيان التي لها الأثر النفسي الواضح.

ويشبه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الكلام البليغ المؤثر بالنفس الحية، فيقول: ".. فأنت تعرف أن أفصح الكلام وأبلغه وأسراه، وأجمعه لحرّ اللفظ ونادر المعنى، وأخلقه أن يكون من الأسلوب الذي يحسم مادة الطبع في معارضته، هو ذلك الذي تريده كلاماً فتراه نفساً حيّة، كأنها تُلقي عليك ما تقرؤه ممزوجاً بنبرات مختلفة وأصوات تدخل على نفسك -إن كنت بصيراً بالصناعة، متقدماً فيها- كل مدخل، ولا تدع فيها إحساساً إلا أثارته، ولا إعجاباً إلا استخرجته، فلا يعدو الكلام أن يكون وجهاً من الخطاب بين نفسك ونفس كاتبه، وتقرؤه وكأنك تسمعه، ثم لا يلج إلى فؤادك حتى تصير كأنك أنت المتكلم به، وكأنه معنى في نفسك ما يبرح مختلجاً، ولا ينفك ماثلاً من قديم، مع أنك لم تعرفه إلا ساعتك، ولم تجهد فيه، ولا اعتملت له، وذلك بما جوّده صاحبه، وبما نفث فيه من روحه، وما بالغ في تصفيته وتهذيبه، وما اتسع في تأليفه وتركيبه،

---

(1) الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م، ص٧٥.

(2) عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٩.

حتى خرج مطبوعاً من أثر مزاجه وأثر نفسه جميعاً، فكأنه مادة روحية منه" [1].

ولن يكون الكلام نافذاً إلى نفس المتلقي إلا إذا كان المخاطب ذا دراية جيدة بفنون الكلام ومقاماته، وبمقتضى حال المخاطب، فيناسب بين المقال والحال، فــ "لا يكفي أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقوله، بل عليه أيضاً أن يعرف كيف يقوله" [2].

ومن معرفة المتكلم حال المخاطب أن يعرف جوانب نفسه المختلفة، فيوقع عليها بما يناسبها، فيحترم عقله ويعمل على إقناعه، ويراعي أحاسيسه ومشاعره، ويعرف حاجاته وميوله، فيعمل على إشباعها، وللأستاذ أحمد حسن الزيّات كلام مفيد في هذا المجال، يقول: ".. إن البلاغة هي بمعناها الشامل الكامل ملكة يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم، من طريق الكتابة، أو الكلام، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة، وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس، وفكر في فكر، والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التغلب على مقاومة في هوى المخاطب، أو في رأيه" [3].

وهذه المقاومة قد تكون فاعلة كسبق الإصرار، أو الميل، أو العزم، وقد تكون منفعلة كالجهل، أو الشك، أو التردد، أو خلو الذهن، فإذا كانت منفعلة كانت ضعيفة، لا يحتاج في قهرها إلى الوسائل البلاغية القوية.

فالمرء يجهل أو يشك أو يتردد ريثما يتهيأ له أن يعلم، أو يستيقن، أو يجزم، وهو في مثل هذه الأحوال تكفيه الحقيقة البسيطة المستفادة من التعليم، وقد يكون مع الجهل زيف العلم، واعتساف الحكم، وخطل الرأي الثابت باستمرار العادة، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة، وحينئذٍ لابد أن تتناصر قوى العقل جمعياً على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان، وذلك عمل الجدل، والجدل عصب البلاغة.

فالبلاغة -إذن- توجه إلى العقل، أو إلى القلب، أو إليهما معاً، تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة، فإذا كان غرض البليغ نفي جهالة، أو توضيح فكرة، أو تقرير رأي، جزاه في إصابة غرضه الصحة والوضوح والمناسبة، فإذا أراد التعليم أو الإقناع، وكان قوام الموضوع طائفة من الفكر أو الأدلة، وجب عليه أن

---

(1) انظر الرافعي، إعجاز القرآن، ص٢٠٤.

(2) أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ١٩٨٠، ص١٩٣.

(3) الزيات، أحمد، دفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة، ١٩٤٥م، بتصرف، ص٢٠-٢٤.

ينسقها، ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة في المنهج العلمي الحديث، أما إذا قصد إلى التأثير والاقناع، لا إلى التعليم والإقناع، كان سبيله أن يتأنق في اختيار لفظه، ويتفنن في تحرير أسلوبه، ويستعين على اجتذاب الأذهان، واختلاب الآذان بإبداع الملكة، وإلهام الروح، وتشويق المخيلة، وتزويق الفن.

وسحر البيان يتسلل إلى العاطفة فيستميلها، وإلى القلب فيجذبه، وإلى العقل فيقنعه، حيث تسوق التعبيرات البيانية الأدلة العقلية في أسلوب أدبي مشوق، بعيد عن جفاف المنطق والفلسفة، ومن ثم تكون الأساليب البلاغية محفزات سلوكية قوية، وكلما علا الكلام في ميزان البلاغة قوي تأثيره في النفس، وفي هذا يقول الإمام الباقلاني: "وإذا علا الكلام في نفسه كان له من الوقع في القلوب، والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج، ويقلق ويؤنس، ويطمح وييئس، ويضحك ويبكي، ويحزن ويفرح، ويسكن ويزعج، ويشجي ويطرب، ويهز الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والعزة، وقد يبعث على بذل المهج والأموال شجاعة وجوداً، .. وله مسالك في النفس لطيفة، ومداخل إلى القلب دقيقة" [(١)].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الكلام البليغ له أعظم أثر في نفس سامعه وقلبه ووجدانه، وقد كان للقرآن الكريم سبق القدم في هذا الجانب، حيث ضرب أعظم الأمثلة في اختراقه للقلوب بسبب قوة عباراته وعمق معانيه، يقول الزيات معلقاً على ذلك: "وإذا كان للكلام البليغ هذه القدرة على ملامسة نفس المتلقي وإثارة كوامنها، فلا عجب أن يحتل القرآن الكريم المنــزلة الأولى في هذا الشأن، ذلك أنه لا يسمو إلى بلاغته كلام، ولا يرقى إلى تأثيره لسان" [(٢)].

ويقول المراغي عن تأثير البلاغة في النفس: "إذا وقع التمثيل في صدر القول بعثنا المعنى في النفس بوضوح وجلاء مؤيداً بالبرهان، يقول -تعالى-: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) [(٣)].

ولقد استخدم القرآن الكريم أروع الأساليب للدخول إلى صميم النفس الإنسانية، ومن ذلك

---

(1) الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط١٩٨٣/١، ص٢٤٨.

(2) فرعون، روضة عبد الكريم، إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيــة، ٢٠٠٠م.

(3) المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا بيــروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٩٠ وما بعدها.

استخدامه صوراً من البلاغة تجعل النفس الإنسانية مجذوبة لسماعه متأثرة بأحكامه وبيانه، ومن أفضل من كتب في هذا المجال الإمام الرماني (ت ٣٨٦ هـ) [1] في كتابه النكت في إعجاز القرآن الكريم، حيث نظم مباحثَ في إعجاز القرآن وبين أثرها على النفس الإنسانية، ومن هذه المباحث:

أولاً: أسلوب الإيجاز:

وهو حذف زيادة الألفاظ [2].

والقرآن الكريم هو كتاب الإيجاز، حيث إننا نحتاج إلى مئات المجلدات لتفسير هذا الكتاب وبيان مدلولاته، وهذا له أعظم أثر في نفس متلقيه، وبذلك يكمن أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم.

والإيجاز على وجهين:

أ-الحذف:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (سورة يوسف، الآية: ٨٢)، أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصة، واسأل أصحاب العير [3].

وذهب بعض المفسرين إلى حمل المعنى على الحقيقة، أي اسأل القرية وجدرانها وحجارتها فستجيبك بصدق قولنا وهو من باب المبالغة، أي: واسأل القرية نفسها وإن كانت جماداً فإنك نبي الله والله سبحانه سينطقها فتجيبك [4].

ومنه حذف الأجوبة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(1)الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص١٨، ٧٦، "بتصرف".

(2) ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد، المثل السائر في أوب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ٦٨/٢.

(3) انظر الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١٤٢١/٣هـ-٢٠٠١م، ٤٦٧/٢. والواحدي، الوجيز، ١، ٥٥٧ .

(4) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٣، ٦٧، وانظر الشنقيطي، محمد أمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥م، ٢١٦/٢.

تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٣١).

يقول أبو السعود: "كأنه قيل: لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية، وفيه من تفخيم شأنه العزيز، ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى" [١].

وبذلك نرى أن الحذف في الأجوبة يعمق في النفس معاني عظيمة لا يستطيع تذوقها إلا من تذوق القرآن وغاص في بحر معانيه.

ب-القصر:

هو تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف [٢].

ومن الشواهد القرآنية عليه، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٧٩)، يقول الزمخشري في معنى الآية: "وهو كلام فصيح لما فيه من الغرابة، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكاناً وظرفاً للحياة. وهو من إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة؛ لأن المعنى لكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة" [٣].

ففي هذا المثال القليل في ألفاظه دلالات واضحة وهذا من جوامع الكلم الذي جاء القرآن معجزا ًبه.

ثانياً: أسلوب التشبيه: [٤].

وهو العقد على أن أحد الشيئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل [٥].

فقد ضرب القرآن الكريم نماذج على التشبيه التي تقرب المعنى وتلطفه إلى النفس الإنسانية، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ، ٤٥٩/٣.

(2) الرماني، النكت، ص٧٦، هذا تعريف الرماني وهو السابقين، ومن معاني القصر: التخصيص، انظر المراغي، علوم البلاغة،ص١٦٠.

(3) الزمخشري، الكشاف، ٢٤٨/١.

(4) لمزيد من الإيضاح، انظر المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص١٧٩.

(5) الرماني، النكت، ص٨٠.

لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة النور، الآية: ٣٩). وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآيات: ١٧٦-١٧٧).

فوصف مثل الذي ينسلخ من آيات الله وجعل صفته التي هي مثلٌ في الخسة كصفة الكلب في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فهو يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده، واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد، والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثاً في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب، ووضع المنزلة للمبالغة والبيان [1].

ففي هذا المثال شبه الله عز وجل الذي ينسلخ عن آيات الله ويترك العمل بما جاء فيها بالكلب، بل وجعل هذا المشهد صورةً متحركة، وهي دوام اللهث والانكباب على الدنيا، وهذا أسلوب بلاغي، يترك في النفس الأثر الواضح في التنفير من هذه الصفة الذميمة.

وأسلوب التشبيه في القرآن الكريم يحتاج لبحث مستفيض ولكن مرادنا هنا أن نبين أن له أثراً واسعاً في أعماق النفس الإنسانية.

ثالثاً: أسلوب الاستعارة:

هو تشبيه حذف أحد طرفيه [2].

والاستعارة أبلغ في معناها من التشبيه، لما تحتويه في داخلها من معان عظيمة وحذف

---

(1) انظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، ، ٤٢/٣.

ومن الأمثلة على هذا اللون من الإعجاز الآيات التالية: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية: ٤١). وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية: ٣٥).

(2)انظر الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٥م، ص١٥٥، والجارم، علي، وأمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، دار المعارف، ص٧٦،

في أحد أركان التشبيه، والقرآن الكريم كان له قدم السبق والبراعة الأولية في هذا الإعجاز.

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية: ٩٤).

يقول الإمام الرماني: "والمعنى الذي يجمعهما (الصدع والتبليغ) الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ" (١).

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ﴾ (سورة الملك، الآية: ٧).

فقد وصف الله -عز وجل- مشهد النار وهي تلتهب حارقة من ألقوا فيها بسبب الكفر والمعاصي. يقول الرازي معلقاً على كلمة ﴿شَهِيقاً﴾: "والمراد تشبيه صوت النار بالشهيق". فقد استعار عن المشبه به وهو الإنسان، واكتفى بذكر المشبه (٢).

تتجلى في هذا المثال روعة القرآن الكريم، في إبراز أسلوب الرسول ﷺ في نشر الدعوة وعلانيتها وأثرها، فهي كالصدع في وضوحها وعلانيتها وأثرها، فهذا من متانة القرآن الكريم في تغلغله في نفوس سامعيه.

رابعاً: أسلوب المبالغة:

وهي الدلالة على أكبر معنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (سورة طه، الآية: ٨٢).

فنلاحظ كيف استخدم القرآن الكريم أسلوب المبالغة في كلمة ﴿غفار﴾ لتدل على عظيم المغفرة. يقول أبو السعود: "وإني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكره، وآمن بما يجب الإيمان به وعمل صالحا أي عمل صالحاً مستقيماً عند الشرع والعقل، وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر، وحث على التوبة والإيمان، وقوله تعالى ﴿ثم اهتدى﴾ أي: استقام على الهدى إشارةً إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران" (٣)، هذا من ترغيب القرآن الكريم لنفس المؤمن بالإقبال على التوبة بأسلوب بلاغي جميل.

---

(1) ثلاث رسائل في الإعجاز، للرماني والجرجاني والخطابي، ص٨٧.

(2) الفخر الرازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٦٤/٣٠.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ، ٢٩٨/٤.

خامساً: أسلوب البيان:

وهو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك [(١)].

وإن من إعجاز القرآن الكريم ما نراه من حسن بيان، وعظيم أثر فلو أراد أحد من البشر أن ينظم كلاماً لرأيناه مليئاً بالعيوب وسوء التعبير، على خلاف نظم القرآن الكريم فإن عباراته موجزة وبالغة التعبير في آنٍ واحد.

يقول الإمام الرماني: [(٢)]."والقرآن كله نهاية في الحسن والبيان، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٧). "فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال"، فقد وصف الله سبحانه وتعالى حال من اغتر بإمهال الله عز وجل وركن إلى الدنيا حتى فاجأته المنية، وترك خلفه زروعه وأمواله والنعم التي كانت تغدق من حوله، فجاء نص القرآن الكريم متغلغلاً إلى النفس موجباً التحذير والترويع من الاغترار بإمهال الله عز وجل بأوضح عبارة وعميق المعنى. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الدخان، الآية: ٤٠). ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (سورة الدخان، الآية: ٥١). "فهذا من أحسن الوعد والوعيد".

فلقد جاء النص القرآني مطمئناً نفوس المتقين ومنفراً ومخوفاً للطائفة الأخرى من يوم القيامة؛ حتى إذا سمعت النفس مثل هذه الآيات أثرت فيها وحرصت على أن تكون من المتقين وتعد العدة ليوم الفصل والميقات وقال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٥). "فهذا أشد ما يكون من التقريع"، ويوجه القرآن الكريم الداعية إلى الله بكيفية الحجاج للخصوم من الكفار والمشركين بأسلوب مؤثر في النفس فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة يس، الآية: ٧٨-٧٩)، "هذا أبلغ ما يكون من الحجاج". وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٣٩). فهذا أعظم ما يكون من التحسير، ويبين كيف أن الكافرين سيعذبون في جهنم، وهذا يدل على تأثير هذه الآية في النفس وجعلها تشمئز من الكفر وتبتعد عنه لكي لا ينالها العذاب يوم القيامة، وقال: ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (سورة

---

(1) الرماني، النكت، ص٨٠.

(2) ما بين علامتي التنصيص، انظر الرماني، النكت، ص١٠٦.

الأنعام، الآية: ٣٨). وهذا أدل دليل على العدل من حيث لم يقتطعوا عما يتخلصون به من ضرر الجرم، ولا كانت قبائحهم على طريق الجبر. وقال تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٦٧). وهذا أشد ما يكون من التنفير على الخلة إلا على التقوى،فتخبر الآية أن الأخلاء المجرمين لن يتعرفوا على بعضهم يوم القيامة بل سيكونون أعداءً لبعضهم، فهذه الآية نراها تعمل عملها في النفس وتؤثر به لكي لا تتخذ لها خليلاً إلا أن يكون صاحب تقوى يشجعها على عمل الخيرات لكي تفوز بالجنة" [1].

فهذه الآيات جميعها تدل دلالة واضحة على عظيم بيان القرآن الكريم وسلاسة عباراته مع الفخامة في الألفاظ والعمق في المعاني التي تحتويها هذه الألفاظ، حتى تغلغلت في النفس الإنسانية وأثرت فيها، وأظهرت سلطان إعجاز القرآن الكريم على سائر المخلوقات [2].

---

(1) ما بين علامتي التنصيص، انظر الرماني، النكت، ص١٠٦.

(2) ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٥٦). فهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٤٠). وقال عز وجل: وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (سورة الشورى، الآية: ٤٤). وهذا أشد ما يكون من التحسير. وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (سورة الذاريات، الآيات: ٥٢-٥٣). وهذا أشد ما يكون في التقريع من أجل التمادي في الأباطيل، وقال عز وجل: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (سورة الرحمن، الآية: ٥١). هذا أشد ما يكون من الإذلال. وقال عز وجل: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة الرحمن، الآية: ٤٣). وهذا أشد ما يكون من التقريع، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٨٥). وهذا أشد ما يكون من التحذير، وقال عز وجل: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٧١). وهذا أشد ما يكون من الترغيب، انظر الرماني، النكت، ص١٠٦.

الفصل الثاني

الإعجاز النفسي وخفايا النفس الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن يبين صفات النفس الإنسانية ومراتبها.

المبحث الثاني: العيوب النفسية وعلاجها في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية.

المبحث الأول: القرآن الكريم يبين صفات النفس الإنسانية ومراتبها:

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: صفات النفس الإنسانية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: مراتب النفس الإنسانية في القرآن الكريم.

المطلب الأول: صفات النفس الإنسانية في القرآن الكريم:

لقد بين القرآن الكريم صفات النفس الإنسانية وكشف عن خفاياها بأسلوب يعجز عن الإتيان بمثله أحد من البشر، ومن ثم بدت عناية القرآن الكريم بالإنسان على أنه مخلوق من خلق الله، إلا أنه مسئول ففي القرآن وصف له وهو في الذروة من الكمال المقدورة له بما استعد له من التكليف، ووصف له، وهو في الدرك الأسفل من الحطة التي ينحدر إليها هذا الاستعداد .

وذلك يرتبط بالتزام بالأمر والنهي أو التخلي عنه ولذا نجده يذكر في القرآن لغاية المدح وغاية الذم وفي الآية الواحدة. وما ذاك إلا أنه أهل للكمال والنقص لما يطرأ عليه من استعداد لكلم منها لأنها أهل للتكليف وكذا فهو أكرم الخلائق بهذا الاستعداد والمتفرد بين خلائق السماء والأرض من ذي الحياة وغير ذي الحياة [١].

من أهم هذه الصفات ما يلي:

أولاً: النفس تكلف وتعمل وتكسب.

لقد أبرز القرآن الكريم صفات النفس الإنسانية في عدد كبير من الآيات القرآنية ، ومن أهم هذه الصفات أنها تكلف وتعمل وتكسب، وفي ذلك تشجع لهذه النفس على البذل والاجتهاد في الخيرات والإكثار من عمل الصالحات، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة، الآية:٢٣٣).أي لا تكلف إلا ما يتسع لها بذل ما كلفت بذله فلا يضيق عليها ولا يجهدها لا ما ظنه جهلة أهل القدر من أن معناه: لا تكلف نفس إلا ما قد أعطيت عليه القدرة من الطاعات [٢].وفي هذه الآية قدر كبير من الطمأنينة النفسية، لأن الإنسان يصبح عاملاً قدر طاقته واستطاعته، وهذا قدر كبير من الإعجاز النفسي قد حققته هذه الآية القصيرة.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠).يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير ومن شر كما قال تعالى ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم

---

(1) انظر العقاد، عباس محمود، الإنسان في القرآن، ص١٤. مطبوعات المكتبة العصرية، بيروت-صيدا.

أبو العينين، د.علي خليل، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص٩٥، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٠م.

(2) الطبري، جامع البيان، ٢ /٥٠٣ .

وأخر﴾ فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه وود لو أنه تبرأ منه، وأن يكون بينهما أمداً بعيداً [١].وهنا مدعاة أيضاً للإكثار من الصالحات والحرص على القربات التي يجدها الإنسان أمامه يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر: ٧٠). أي وفيت كل نفس ما عملت من خير أو شر والله أعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة به عز وجل إلى كتاب ولا إلى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود إلزاماً للحجة [٢]. وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٢٥). يخبر الله جل في علاه أن كل نفس بر أو فاجر توفى ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون من أعمالهم [٣].

فجميع هذه الآيات تدل دلالة واضحة أنه لا محاباة يوم القيامة بل كل نفس توفى ما عملت هذا من أوجه الإعجاز النفسي حيث العدل والأمان والجزاء والإحسان دون ظلم أو هضم.

ومن الآيات الدالة على صفة الكسب قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٤٢).وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم: ٥١).

ثانياً: النفس تكون مطمئنةً وراضيةً ومرضيةً.

لقد أبرز القرآن الكريم مراتب النفس وجعل أعلاها مرتبة النفس المطمئنة (٤)، التي تكون راضية بقدر الله عز وجل مفعمة بالطمأنينة وراحة البال، وهذا الشيء يقودها للمزيد من الخيرات والصالحات، لأنها موقنة بأنها عائدة إلى الله لا محالة ومن ثم يكون الثواب والرضا .

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧-٢٨)، ولقد اختلف العلماء في معنى الاطمئنان اختلاف تنوع فقال مجاهد: ﴿المطمئنة﴾ التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت جأشا لأمره وطاعته، وقال الحسن: المؤمنة الموقنة وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى وقال الكلبي: الآمنة من عذاب الله، وقيل: المطمئنة بذكر الله

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ١ /٤٧٦.

(2)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥ /٢٤٩، "بتصرف" .

(3)انظر الشوكاني، فتح القدير، ، ١ /٤٩٥.

(4) جوهري،محمد، بحوث نفسية في ضوء العقيدة الإسلامية، القاهرة دار الطباعة المحمدية، ط١٩٨٤/١م، ص٢٥ .

بيانه قياساً على قوله تعالى: ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ [١]، وهذا من اختلاف التنوع الذي يمكن الجمع بينه.

فتبرز هذه الآية وتفسيرها صفة من أهم صفات النفس التي كشف الله عن حقيقتها وأهم مدلولاتها ومصيرها، وهذا من تمام الإعجاز النفسي حيث يسعى المؤمن جاهداً ليتوصل بنفسه إلى هذه المرتبة وبذلك يكون له الفوز يوم القيامة.

ثالثاً: النفس تشتهي:

من المعروف أن النفس البشرية تشتهي كل ما يخطر في بالها سواء أكان محرماً أو محللاً، وهذه النفس تشتهي الشيء الحرام، فإن كان هناك وازع ديني لدى هذه النفس فإنها تبتعد عن هذا الشيء المشتهى، لأنها تعرف بأن هذا الشيء حرام ويدخل النار، أما إن لم يكن عند هذه النفس الإنسانية وازع ديني فإنها تجري وراء شهوتها ولذاتها حتى تكون سبباً في شقاءها وتعاستها وإدخالها نار الله المحرقة.

أما النفس التي تشتهي الشيء وتتلذذ به وفق ما أراد الله وفي حدود وضوابط الشرع أو تصبر هذه النفس على الامتناع عن الشهوات المحرمة، فإن الله يعوضها خيراً يوم القيامة وقال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾(الأنبياء: ١٠٢)، فالآية توضح بأن النفس لا تسمع حس النار وإن الله سيدخلها الجنة ويسخر لهم كل ما تشتهيه أنفسهم من خيرات ولذائذ. وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين كما قال سبحانه: ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون﴾ (فصلت، الآية: ٣١) [٢].

ومنها قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: ٧١). فهذه الآية تدل دلالةً واضحةً على تأثيرها في النفس الإنسانية، بأن تجعل هذه النفس تعمل وتكد وتعبد الله وتتقيد بأوامره ونواهيه، لكي تنال رضوان الله ويدخلها الجنة وتنال ما تشتهيه هذه النفس في هذه الجنة المباركة، فالقرآن يحث النفس لكي يجعلها متشوقة راغبة في دخول الجنة، وهذا ما يتضح من تصوير القرآن في هذه

---

(1) انظر البغوي، الحسين بن مسعود الفراء، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ٤٢٣/١.

(2) لمزيد انظر الشوكاني، فتح القدير، ٦١٣/٣، وانظر البغوي، معالم التنزيل، ٣٥٧/١.

الآية مما أعده الله لهذه النفس والصحاف: القصاع من الذهب والأكواب: جمع كوب وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء وفيها ما تشتهيه الأنفس تلذذاً، وتلذ الأعين نظراً، وأنتم فيها خالدون. وقال تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٢).أي صوتها، وهم في ما اشتهت أنفسهم من النعيم خالدون (١).

وهذه آيات واضحة الدلالة بأن من صفات النفس الإنسانية الاشتهاء، وهنا مظهر من مظاهر الإعجاز النفسي حيث أنه لا يستطيع سبر غور النفس وبيان حالها يوم القيامة، سوى الله عز وجل.

رابعاً- النفس تهوى:

ومن صفات النفس الإنسانية أنها تهوى، وأن هذه النفس تريد أن تتحكم بالأشياء والسنن حسب أهوائها، حتى وإن كان هذا لا يرضي الله سبحانه وتعالى، وقد عبر القرآن عن اليهود بذلك فقد بعث الله لهم رسلاً، فإن كان هذا الرسول موافقاً لهواهم قبلوه وإن لم يكن موافقاً لهواهم ردوه وعصوه وكذبوه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُون﴾(المائدة: ٧٠). كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبه أنفسهم المنهمكة في الغنى والفساد من الأحكام والشرائع عصوه، وعادوه. وقوله تعالى ﴿فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون﴾ جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما أظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الإجمال "كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقاً منهم كذبوهم من غير أن يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقاً آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم أيضا وإنما أوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على أن ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة" (٢).

ويقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (لنجم: ٢٣). فيخبر القرآن الكريم أن العرب كانوا لا يتبعون ولا يعبدون الأصنام إلا اتباعاً للظن لهوى أنفسهم، وهذا الهوى

---

(1)انظر المحلي، محمد بن أحمد و السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٤٣١/١.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ /٦٣ .

كان سبباً في شقائهم وتعاستهم مع أن الله تعالى آتاهم الهدى بأن بعث نبينا محمداً هدى ورحمةً للعالمين. إن يتبعون إلا الظن بأن ما يقولون ظن لا اليقين، وما تهوى الأنفس لما تهوى أنفسهم لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به وإنما هو اختراق من قبل أنفسهم أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله على مثل ما هم عليه [١].

ولقد أرشدنا القرآن الكريم بأن النفس إذا نهت ذاتها عن الهوى بأن زجرتها عن الميل إلى المعاصي واتبعت الحق والدين فإن الله سيدخلها الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعـات: ٤٠-٤١)، وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ونهى النفس عن الهوى: أي عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه فإن الجنة مأواه [٢]

فالآيات السابقة الذكر تحث النفس وتؤثر فيها بأن لا تتبع هواها لأنها إن اتبعت هواها فإنها تشقى في الآخرة أما إن لم تتبع هواها وزجرت نفسها عن المعاصي وأمرت نفسها بطاعة الله فازت وسعدت ودخلت الجنة وهي مطمئنة.

خامساً- النفس تسول وتزين:

وهذه مسألة أخرى تتعلق بالنفس وصفاتها ومعنى التسويل: التزيين قال ابن منظور: "سولت له نفسه كذا زينته له وسوّل له الشيطان أغواه" [٣].

فالنفس كما هو معروف تسول وتزين، فالإنسان عندما يريد أن يرتكب جريمة تسول له نفسه وتزين له هذه الجريمة وتحثه على ارتكاب هذه الجريمة، دون رادع يردعها، وقد عبر القرآن عن ذلك في قصة ابني آدم عندما قتل أحدهما الآخر بأن طوعت له نفسه قتل أخيه وبعد أن قتله ندم على ما فعل، فسهلت له نفسه ذلك وزينت له قتل أخيه، و﴿له﴾ للتأكيد والتبيين كما في قوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٣٠). وأيضاً قوله تعالى: حكاية عن السامري بأن سولت له نفسه وزينت له ما فعل وأعجب به، قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ

---

(1) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلميـة، بيـروت-لبنـان، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٧٣/٢٧.

(2) انظر الطبري، جامع البيان، ٦٥٠/٤، وانظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٠/٤-٥٠١.

(3) انظر ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٠/١١.

أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طــه: ٩٦).وكذلك أي وكما حدثتك سولت لي نفسي أي زينت لي صنع العجل [١].

ومنها أيضاً ما ارتكبه أخوة يوسف عليه السلام بأن جاؤوا على قميصه بدم كذب فزينت لهم أنفسهم واستحسنت هذا الفعل الشنيع بإتيانهم على قميص يوسف بدم كذب، قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨). أي زينت وسهلت، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في إتمامه، وقيل من السول وهو الاسترخاء [٢].

سادساً- النفس توسوس:

ومن صفات النفس الإنسانية أنها توسوس وتحدث نفسها بما فيها، من الشر أو الخير، وهذه الوساوس لا يحاسب الإنسان عليها ما لم يقلها أو يفعلها، للحديث الوارد عن النبي عليه السلام، قال: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل) [٣]. فالإنسان عندما يخلو بنفسه يلاحظ أنها توسوس له بالخير أو الشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (قّ: ١٦). والآية دليل واضح على الإعجاز القرآني وتأثيره في النفس، فمن خلال الآية نعلم أن الله يعلم ما يدور في صدورنا وما تحدث به أنفسنا، فنكون متيقظين من أن نفعل الشر الذي حدثت به أنفسنا. أي ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدث به نفسه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره أنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير أو الشر [٤].

وقد علق سيد قطب على هذه الآية: "وهذا هو المقطع الثاني في السورة استطراداً مع قضية البعث التي عالجها الشوط الأول ؛ وعلاج للقلوب المكذبة بلمسات جديدة، ولكنها رهيبة مخيفة إنها تلك الرقابة التي تحدثنا عنها في تقديم السورة، ومشاهدها التي تمثلها وتشخصها ثم مشهد الموت وسكراته، ثم مشهد الحساب وعرض السجلات ثم مشهد جهنم كلما ألقي فيها وقودها البشري تقول هل من مزيد وإلى جواره مشهد الجنة والنعيم والتكريم إنها رحلة واحدة تبدأ من الميلاد وتمر بالموت وتنتهي بالبعث والحساب رحلة واحدة متصلة بلا توقف ...، ونعلم

---

(1) انظر الآلوسي، روح المعاني، ٦ /١١٤. وابن الجوزي، زاد المسير ٥ /٣١٩ .

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤ /٢٦٠، "بتصرف".

(3) البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، رقم ٤٩٦٨.

(4) لمزيد من التوسع انظر الطبري، جامع البيان، ٤١٤/١١.

ما توسوس به نفسه" [١]. وهكذا يجد الإنسان نفسه مكشوفة لا يحجبها ستر، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية معلومة لله تمهيداً ليوم الحساب الذي ينكره ويجحده، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد الذي يجري فيه دمه، وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة والرقابة المباشرة وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد أن يرتعش ويحاسب ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وخشية دائمة ويقظة لا تغفل عن المحاسبة.

سابعاً - النفس تظلم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: ٥٤). إن من صفات النفس الإنسانية أنها تظلم نفسها وتظلم غيرها والظلم هنا معناه الشرك كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، فالنفس الإنسانية عندما تظلم نفسها بشركها وكفرها بالله لو استطاعت أن تفتدي بالمال والكنوز من النار لما بخلت على نفسها . ولكنها عندما ترى النار تندم على ما فعلت هذه النفس من الظلم، وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم في تأثيره على النفس الإنسانية بظلمها وعبادتها لغير الله. ولو أن لكل نفس كفرت بالله و"ظلمها" في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته من قليل أو كثير ...، وإن هذه النفس الظالمة أخفت رؤوس هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم [٢].

فالقرآن كما نرى قد أثر في النفس الإنسانية بأن أبرز ندم النفس على ما صنعت من ظلم وكفر بالله حتى يحتاط المؤمن لآخر ته، وينيب إلى ربه.

ثامناً - النفس تفرط:

ومن صفات النفس الإنسانية بأنها تفرط في حق الله وتفرط في دين الله بأن تقصر بأداء الواجبات والعبادات وهذا ما نراه واضحاً أمام أعيننا من المسلمين الذين يفرطون في دين الله،

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣٣٦١/٦ .

(2) انظر الطبري جعفر بن جرير، جامع البيان، تعليق محمود شاكر، ١٤٢/١١، النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٢م، ١٣٢/٢

وحتى إذا أتى الموعد وتداركه الوقت ندم على ما فرط وتحسر على ما صنع وتمنى أن يعود ليفعل الشيء الصحيح، ويعبد الله حق عبادته، ولكن من أين له ذلك، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر: ٥٦). أن تقول نفس يا ندماً على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به وقصرت في الدنيا في طاعة الله وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به [١].

فالآية فيها تأثير على النفس بأن تجعلها تقبل على التوبة والإنابة إلى الله ومن خلال الآية نلاحظ إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفس الإنسانية، قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه الحسرة.

تاسعاً- النفس تلوم:

ومن صفات النفس أنها لوّامة، فبعض الأحيان ترى النفس تلوم نفسها في الخير، وتلوم نفسها في الشر وهذا ليس عند كل النفوس فبعض النفوس تفعل الشر ولا تلوم نفسها. ويأتي يوم القيامة وتأخذ تلوم نفسها على ما فرطت في جنب الله، قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ١ــ٢)٠ فالناس يلومون أنفسهم يوم القيامة سواء كانت هذه النفوس برة أم فاجرة وكل له شأنه يوم القيامة، ﴿ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾أي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى، قال أبو السعود: "ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق أو بالنفس التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمّارة ، وقيل بنفس آدم عليه السلام فإنها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه" [٢].

والذي تطمئن له النفس أن النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على اقتراف المعاصي.

عاشراً- النفس تأمر بالسوء:

ومن صفات النفس الإنسانية أيضاً أنها أمارة بالسوء فترى النفس تأمر بالخير ولكن في كثير من الأحيان تأمر بالسوء أكثر من الخير، لأن النفس تميل بطبعها إلى الشر أكثر من ميلها إلى الخير، بأنها تقترف المحرمات وتكسل عن الطاعات، وهذا حال أغلب النفوس، وقد عبر القرآن الكريم عن النفس الأمارة بالسوء في قصة امرأة العزيز قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٦٦/٤.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٩ /٦٤ ٠

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٣). أي أن هذا الجيش من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إلا من رحم من النفوس فعصمها عن أن تكون أمارة بالسوء [١]. وفي الآية دليل واضح على إعجاز القرآن في تفسير مكنونات النفس البشرية بأن النفس كثيرة الأمر بالسوء إلا ما رحم الله وإن النفس يجب أن تجاهد حتى لا تقع في السوء.

الحادية عشر- النفس تلهم وتجاهد:

فكما أن من صفات النفس أنها لوامة وأمارة بالسوء فإنها ملهمة مجاهدة، فالنفوس ملهمة إلى الخير والشر والتقوى والفجور، ونرى النفس أيضاً مجاهدةً صابرةً على الخير والشر، مجاهدة بنفسها في الحروب والمعارك، تصبر على مكاره الجهاد لأن في الجهاد الخير الكثير والجنة التي عرضها السماوات والأرض.

وقد عبر القرآن عن النفس بأنها ملهمة إلى الخير والشر بقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠). فالإنسان ولد على الفطرة ثم ألهمه الله فجورها وتقواها. أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة لقول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ [٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ بين لها الخير والشر [٣].

وقد جاء في الأحاديث الشريفة أن النبي عليه السلام كان يدعو الله أن يلهم نفسه التقوى، عن ابن عباس قال: كان رسول الله إذا مر بهذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وقف ثم قال: (اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها، وخير من زكاها) [٤].

وأما أن النفس الإنسانية مجاهدة، فقد وردت آيات تدل على النفس الإنسانية مجاهدة سواءً بنفسها أو بمالها منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة: ٢٠). فمجاهدة النفس الإنسانية

---

(1) انظر الشوكاني، فتح القدير ٥٠/٣.

(2) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، رقم١٢٩٢، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم٢٦٥٨.

(3)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٥١/٤، "بتصرف".

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٥٢/٤.

أعظم درجة عند الله من كل شيء؛ من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وفي الآخرة هو الفائز بالجنة عند الله. ومن جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، وأرفع منزلة عنده من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وهم بالله مشركون ، قوله﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (١).

وقال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(التوبة: ٤١). فالقرآن الكريم يحث النفس الإنسانية على النفير بالجهاد سواء بالنفس أو المال وهذا النفير يجب أن يكون في سبيل الله لا يخالطه رياء ولا سمعة، فالنفس عندما تسمع هذه الآية تتهيأ فتصبح جاهزة ممتثلة بأمر الله تعالى، سواء أكان هذا النفير في وقت نشاط أم وقت مشقة، وعبر بخفافاً: لنشاطكم له، وبثقالاً: لمشقته عليكم أو خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها، أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو ركبانا ومشاة أو شباباً وشيوخاً أو مهازيل وسماناً أو صحاحاً ومرضىً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم وهذا إيجاب للجهاد بهما إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة في سبيل الله ذلكم الجهاد خير لكم من تركه إن كنتم تعلمون كون ذلك خيراً فبادروا إليه (٢).

وهذا الجهاد بالمال والنفس فيه الخير الكثير بالفوز بالجنة والفوز برضوان الله، وهذا الفوز خير لكم من متاع الدنيا الزائل، النفير في سبيل الله تعالى خفافاً وثقالاً وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم. والخلود إليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضاً من الآخرة إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بيّن لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه" (٣).

الثانية عشر - النفس مستقر الخاطر:

من صفات النفس الإنسانية أيضاً أنها مستقر الخاطر، وقد عبر عن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ

---

(1)انظر الطبري، ١١٢/١٠، البيضاوي، تفسير البيضاوي، ، ١ /-١٣٦.

(2)انظر النسفي، تفسير النسفي، ٢ /٩٠.

(3)الطبري، جامع البيان، ، ١٦١/١١، "بتصرف".

شَرٌّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾(يوسف: ٧٧).فيوسف عليه السلام عندما اتهمه إخوته بالسرقة أضمر ما سمع وجعله سراً في خاطره ولم يقل لهم شيئاً، بل ذكرها في نفسه سراً، فأسرها: أي أضمرها يوسف في نفسه وإنما أتت الكناية لأنه عنى بها الكلمة، وهي قوله: ﴿قال بل أنتم شرٌ مكاناً﴾ أي: منزلة ًعند الله مما رميتموه به من السرقة وفي صنيعكم بيوسف لأنه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة [1].

وفي الآية دليل على تأثير القرآن الكريم بالنفس الإنسانية بما تردده هذه النفس في ذاتها من أشياء لا تريد أن يعرفه غيرها، ولكن القرآن الكريم كشفه وبيّن خفاياه، وجاء في آية أخرى أن الله يعلم السر وأخفى، وأن الله يعلم ما تخفي النفس وما تبدي، قال تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، وهذا توعد من الله عز وجل على ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء وأرشدهم إلى إضمار الخير دون الشر ثم لم ييئسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال: ﴿واعلموا أن الله غفور حليم﴾ [٢].

والآية فيها إعجاز نفسي بأن الإنسان عندما يسمعها وأمثالها يجعلها نصب عينيه فلا يضمر ولا يحدّث نفسه إلا بالخير، لأن الله يعلم ما يدور في النفس من شر وخير فيكون الإنسان متأهباً لا يحدث نفسه إلا بالخير، كي لا يحاسبه الله على ما يحدث وينوي في نفسه من شر، وقال تعالى في آية أخرى مخبراً عن يعقوب أنه أخفى في نفسه حاجة لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(يوسف: ٦٨). فيعقوب عليه السلام أوصى أولاده بأن لا يدخلوا من باب واحد بل أن يدخلوا من أبواب متفرقة، وهو يعلم أن هذا شيء لا يغني من قدر الله عز وجل، ولكن أوصاهم به لشيء أراده في خاطره وفي نفسه، و كانت هذه الوصية لما قال لهم أبوهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة تتضارب الروايات والتفاسير في هذا وتبدي وتعيد بلا ضرورة بل ضد ما يقتضيه السياق القرآني الحكيم فلو كان السياق كاشفاً عن السبب لقال، ولكنه قال فقط إلا حاجة في نفس

---

(1) انظر البغوي، معالم التنـــزيل، ٢٦٣/١.

(2)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ /٣٨٥، "بتصرف".

يعقوب قضاها فينبغي أن يقف المفسرون عند ما أراده السياق احتفاظا بالجو الذي أراده، والجو يوحي "بأنه كان يخشى شيئا عليهم ويرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء، مع تسليمه بأنه لا يغني عنهم من الله من شيء، فالحكم كله إليه والاعتماد كله عليه إنما هو خاطر شعر به وحاجة في نفسه قضاها بالوصية وهو على علم بأن إرادة الله نافذة فقد علمه الله هذا فتعلم" (١).

وقد عبر القرآن الكريم أيضاً عن هذا اللون من الإعجاز في قصة رسول الله ﷺ مع زوجه زينب، وهي التي كانت زوجة زيد بن حارثة، وبين كيف أن الله عز وجل مطلع على سره، وفي الآية إعجاز أيضاً يجعل النفس تترقب وتتخوف من الله لأنه مطلع على سرائر النفس، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾(الأحزاب: ٣٧).

فمن خلال ما تقدم من الآية ندرك أن للآيات إعجازاً نفسياً يجعل النفس التي هي مستقر للخاطر والأسرار مترقبةً متخوفةً من الله تعالى لأنه مطلع على ما في خاطرها من أسرار وما تضمره من خير أو شر، ويجعل النفس لا تضمر إلا خيراً وتبتعد عن كل شر كي لا تحاسب عليه.

الثالثة عشر - النفس مستودع العلم واليقين والفكر:

من طبيعة النفس الإنسانية أنها عالمة ومفكرة بما يدور حولها، وقد أودع الله عز وجل بها هذه الصفة، وقد جاء في القرآن الكريم أن النفس عالمة في قوله تعالى حكاية على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦).

والآية تدل على الإعجاز بأن تجعل النفس منتبهة لما تضمر من علم، وما تفكر به، وما تستيقن منه، لأنها تعلم أن مآل ذلك وعلمه كله عند الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن ، ٢٠١٨/٤.

بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم: ٨)، قال الزجاج معناه أولم يتفكروا فيعلموا فحذف فيعلموا لأن في الكلام دليلاً عليه(١).

والآية تحث النفس على التفكير والتدبر في خلق الله عز وجل، حتى يكون على علم بأن هذه السماوات والأرض وما بينهما هي من خلق الله لا من خلق غيره، فتجعل النفس متعلقة بالله تعالى راجية عابدة له. وهنالك آية أخرى تدل على أن النفس تتيقن بأن هذا صحيح وهذا خطأ، وأن هذا شر وهذا خير، وبهذا تميز بين الشر والخير، يقول تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤)،وجحدوا بها في ظاهر أمرهم، واستيقنتها أنفسهم وعلموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ظلماً وعلواً أي: ظلما من أنفسهم سجية ملعونة، وعلوا أي استكبارا من اتباع الحق ولهذا قال تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صيحة واحدة، وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهانه بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام (٢).

الرابعة عشر - النفس تموت:

أي تخرج من الجسد وتفارق البدن وليس المقصود العدم، ومن صفات النفس أنها ميتة لا محالة، ولكل نفس أجل محدد كتبه الله وقدره لها، فإذا استغرقته لا بد لها من الموت والصعود إلى الله عز وجل خالقها وبارئها، حتى يأتي يوم القيامة فتعود الروح إليها، فتقوم للحساب على ما فعلت من خير أو شر.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥). وهذا وعد ووعيد للمصدق والمكذب وإنما توفون أجوركم فتعطون أجزية أعمالكم على التمام والكمال، يوم

---

(1) انظر ابن الجوزي، زاد المسير ٦ /٢٨٩ .

(2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ /٤٧٤، "بتصرف".

قيامكم من القبور[١].

وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران) [٢]

فالآية تدل على الإعجاز القرآني بأنها تجعل النفس الإنسانية موقنة بموتها لا محالة وأنها ستبعث مرة أخرى للحساب والجزاء على ما اقترفت من خير أو شر، فيحرص الإنسان بذلك على اغتنام الفرص والخيرات ويبتعد عن الشر ومآله [٣].

---

(1) انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم ، ٢ /١٢٣ ٠

(2) الترمذي، محمد بن عيسى، الصحيح الجامع سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمود شاكر، دار إحياء التراث، بيروت، مذيلاً بأحكام الألباني، كتاب صفة القيامة، غبر معنون الباب، رقم٢٤٦٠، قال الألباني: ضعيف جداً ولكن جملة هادم اللذات صحيحة ٠

(3) ومن الأمثلة على الآيات القرآنية التي تبين صفة موت النفس الإنسانية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٨). وقال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ (الكهف: ٧٤). وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (الفرقان: ٦٨). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤). وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١).وهذه الآيات جميعها ذات أثر نفسي عظيم على النفس الإنسانية لأن الإنسان إذا استيقن الموت أعد لما بعده، إما الجنة وإما النار نسأل الله أن نكون من أهل الجنة.

المطلب الثاني: مراتب النفس في القران الكريم:

يلاحظ على عبارات العلماء أنهم اختلفوا في التعبير عن مراتب النفس الإنسانية وكم عدد هذه المراتب؟ فعدها البعض سبع مراتب مضمناً بعض الصفات لهذه المراتب [١] لكن الذي عليه جمهور العلماء أن مراتب النفس الإنسانية ثلاث مراتب وهي:

١. المطمئنة.

٢. اللوامة.

٣. الأمّارة بالسوء.

فقد قال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ (الفجر: ٢٧)، وقال: ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (القيامة: ٢).وقال: ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (يوسف: ٥٣) [٢].

يقول الإمام الغزالي: "ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة، قال الله تعالى في مثلها ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها، سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه، قال الله تعالى ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان، سميت النفس الأمارة بالسوء، قال الله تعالى إخباراً عن امرأة العزيز ﴿وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [٣]. وتحقيق الكلام أن النفس واحدة ولها صفات [٤].وبذلك يتضح لنا كيف أبرز القرآن صفات النفس الإنسانية، وبين كيف تحول فيها الآراء والمعتقدات والخواطر.

ولسائل أن يسأل لماذا أعدت تكرار بعض الصفات ضمن مراتب النفس ؟

والجواب: لأن هذه المراتب توجد في بعض الأحوال ولا توجد في أحوال أخرى، وتوجد في بعض النفوس ولا توجد في نفوس أخرى، فتصلح أن تكون مراتب وصفات في آن واحد.

---

(1) ذهب لهذا القول د. قاروط في كتابه الإنسان والنفس، ص٨٢. .

(2) سبق أن قمنا بنقل كلام المفسرين للآيات الثلاثة ضمن صفات النفس، والتعليق عليها بشيء يسير، فلا داعي للتكرار.

(3) للمزيد انظر الغزالي، محمد بن محمد ت٥٠٥هـ إحياء علوم الدين، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٤/٣.

(4)أبو العز الحنفي، العقيدة الطحاوية، ص٣٩٥، "بتصرف".

وإنما تميزت هذه المراتب لكونها الأكثر بروزاً من ضمن الصفات النفسية والأكثر وضوحاً وتدرجاً في النفوس البشرية.

المبحث الثاني: العيوب النفسية وعلاجها في القرآن الكريم.

ويحتوي على سبعة مطالب:

المطلب الأول: الحقد والحسد.
المطلب الثاني: الشح والبخل.
المطلب الثالث: الطمع والحرص وحب الدنيا.
المطلب الرابع: العجب والكبر والرياء والغرور.
المطلب الخامس: الغضب والغيظ.
المطلب السادس: اليأس والقنوط.
المطلب السابع: الغفلة والنسيان.

المطلب الأول: الحقد والحسد:

الحقد في اللغة:الحاء والقاف والدال يدل على الضّغن [١].

وأما في الإصطلاح: هو إمساك واختزان العداوة والغضب في القلب حتى تسنح فرصة الانتقام، وهو مرض له آثاره المدمرة في نفس الحاقد لأنه يشغل القلب ويتعب الأعصاب، ويقيل البال، وتظلم الحياة في وجه الحاقد وتضيق الدنيا في فهمه فيلجأ إلى التدبير لينتقم ممن أغضبوه [٢].

الحسد: تمني زوال النعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها[٣].

ومما سبق يتبين لنا أن الحسد ناتج عن الحقد وثمرة من ثماره.

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أن الحقد والحسد يجمعان في داخلهما العديد من الجرائم والآثام، ولقد كشف القرآن الكريم عن هذين المرضين أشد الكشف، وأجلى خفاياهما حتى فضح الواقع فيهما، وهذا من عظيم إعجاز القرآن الكريم.

فمنشأ الحسد من خبث النفس وابتلائها بالشح والبخل حتى تصل إلى قرار سحيق فيزعزعها أن تشاهد نعم الله -تعالى- وألطافه مبسوطة على عباده، كما أنها تطير فرحاً فيما تشاهد من ابتلاءٍ [٤]. وهذا مناقض أشد المناقضة لقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٥]، من دوافع هذا المرض: أن يكون في طمع الحاسد أن يتكبر على المحسود ويستصغره فيتوقع منه الانقياد والمتابعة في أعراضه وإذا نال نعمة خاف أن لا يتحمل تكبره ويترفع عن متابعته [٦].

---

(1) ابن فارس، معجم المقاييس، ٢٧٦ .

(2) علوان،عبد الله ناصح، عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام، القسم الأول، ص١١٤-١١٥، "بتصرف".

(3) الراغب، المفردات، ١٢٥.

(4) الصدر باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص٣٢٧، "بتصرف".

(5) مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٦٨).

(6) انظر الفقي، محمد، النفس: أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية، ط١، مكتبة صبيح، ١٩٧٠م، ص٢٥٨.

وقد عرض القرآن الكريم لهذا المرض في العديد من الآيات إما كاشفاً له، أو فاضحاً لأصحابه، أو معالجاً لأعراضه وظواهره.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

يفضح الله عز وجل أهل الكتاب في هذه الآية في حبهم ورغبتهم رد المؤمنين عن دينهم وإعادتهم إلى الشرك، وقد أورد أبو السعود في مناسبة نزول هذه الآية "ود كثير من أهل الكتاب هم رهط من أحبار اليهود روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله عنهما بعد واقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا ...، فقال عمار: فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ما عشت فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا، وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله وأخبراه فقال أصبتما خيراً وأفلحتما" [(١)].

والود في أصل اللغة: محبة الشيء وتمني كونه[(٢)].

ومنه الودادة من أهل الكتاب التي تحتوي في ظاهرها المحبة وفي داخلها البغض ولكن بطريق دبلوماسية. ثم عبر بأهل الكتاب ولم يقل اليهود والنصارى ليدل على كيدهم للإسلام والمسلمين، حيث أنهم أهل كتاب والمسلمين أهل كتاب وقد حظوا بالنبوة الخاتمة والكتاب الدائم فكان ذلك مدعاة للحسد من اليهود والنصارى. ثم قال ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾.

و (لو) في أصل اللغة حرف لامتناع للامتناع، وهذا دليل على استحالة ما تمناه اليهود والنصارى، (ومن بعد) الظرف الزماني يدل على عمق الإيمان في نفوس المؤمنين، ومحاولات أهل الكتاب المتكررة في ردّ المؤمنين عن دينهم.

فستعمل القرآن الكريم هذه الألفاظ ليدل على أسلوب أهل الكتاب في التعامل مع الإسلام والمسلمين، وهذا نموذج واضح لفضح أحقاد الكافرين في القرآن الكريم، وفي ذلك يظهر الإعجاز النفسي الذي حرص القرآن من خلاله على تسوية النفس الإنسانية لتسمو في ذاتها من جميع الأمراض بما يعود بالخير على الفرد والمجتمع.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١٤٥/١.

(2) الراغب، المفردات، ٥٣٢.

ولقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً في حماية النفوس البشرية من هذا المرض النفسي الخطير لأنه يؤدي إلى اعتلالها بالاضطرابات النفسية والعقلية ويودي بها إلى الهلاك والسقوط في براثن الجنوح والانحراف مما يؤدي إلى نشر العدوان والأحقاد بين الناس، وقد عرضه القرآن بالذم والتحقير والاستهانة للمبتلين به [١].

وقال تعالى في آية أخرى فاضحاً اليهود في حسدهم لمحمد ﷺ بنـــزول الرسالة عليه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء: ٥٤) [٢]،أم يحسدون الناس يعني: محمداً عليه السلام فقد حسدت اليهود محمدا عليه السلام على ما آتاه من النبوة وما أباح له من النساء وقالوا: لو كان نبياً لشغله أمر النبوة عن النساء، ...، والمعنى: أيحسدون النبي عليه السلام على النبوة وكثرة النساء وقد كان ذلك في آله لأنه من آل إبراهيم عليه السلام" [٣].

ويقول تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

ولم يكتف القرآن الكريم بذكر حسد الكفار لرسول الله ﷺ، بل كشف الستار عن حقدهم على كل مسلم وكيفية تمنيهم السوء لكل من وحد الله وآمن برسوله [٤].

وإذا نظرنا لسياق الآيات الكريمة التي سبقت هذه الآية، فمجموع الآيات كلها تهدف إلى بيان بواطن المنافقين والكفار، فمن قوله تعالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى..﴾ وبعدها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم..﴾ ثم ختم بقوله تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم..﴾ حقاً إنها صورة واضحة المعالم عن نفسية المنافق في حقده ومكره وبيان خفاياه وباطنه.

وما من شك أن هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم هذا الرسم العجيب كانت تنطبق ابتداء على أهل الكتاب المجاورين للمسلمين في المدينة، وترسم صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين وللشر المبيت وللنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم، في

---

(1) انظر السويدي، د٠مرسي شعبان، غرائز النفس البشرية ومنهج الإسلام في معالجتها، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٦٢٣.

(2) أشار لهذه الآية الخراشي، أثر القرآن في الأمن النفسي، الحقد والحسد، ص٩٧.

(3) الواحدي، الوجيز، ١ / ٢٦٩، "بتصرف".

(4) للمزيد انظر الحسيني، خلف محمد، القرآن يقوم العقل والنفس واللسان، نهضة مصر، القاهرة.

الوقت الذي كان بعض المسلمين لا يزال مخدوعاً في أعداء الله هؤلاء ولا يزال يفضي إليهم بالمودة ولا يزال يأمنهم على أسرار الجماعة المسلمة، ويتخذ منهم بطانة وأصحاباً وأصدقاء لا يخشى مغبة الإفضاء إليهم بدخائل الأسرار فجاء هذا التنوير وهذا التحذير يبصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر ويوعيها لكيد أعدائها الطبيعيين الذين لا يخلصون لها أبدا ولا تغسل أحقادهم مودة من المسلمين وصحبة [١].

ولما كان منبع هذا المرض هو كراهية الغير وتمني زوال النعم عنه وإلحاق الشرور به، فقد كان العلاج لمن يعذب نفسه ويتطلع إلى ما في يد غيره [٢]، قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).فهذا دليل واضح على أن الحاسدين والحاقدين لا يؤثرون بحقدهم وحسدهم، وفي الآية توجيه للنفس الإنسانية للرضا وعدم النظر إلى ما في يد الغير.

يقول تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧)، وهما قابيل وهابيل، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم: قربا قرباناً فمن أيكما قُبل تزوجها فقبل قربان هابيل، بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل. وقيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وأنهما رجلان من بني إسرائيل [٣].

ولقد سعى القرآن الكريم للحد من هذا المرض، فلم يكتف ببيان أعراضه وعلاجه، ولكن وضع وسائل لعلاجه.

ومن وسائل علاج الحقد و الحسد:

١ - ترويض النفس وتهذيبها في أن الرزق من عند الله تعالى[٤]:

يقول تعالى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الزمر:٦٣) أي مفاتيح خزائن السموات والأرض واحدها مقلاد مثل مفتاح، فيخبر الله عزّ وجلّ في هذه الآية أنّ الرزق بيده و مقاليده عنده وجميع خزائن ما في السماوات وما في الأرض

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤٥٢/١ وانظر الشوكاني، فتح القدير، ، ١ / ٥٦٧ .

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، أمراض النفوس، ١٦٤/٣. "بتصرف".

(3) انظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، ١ / ٣١٤،٠ومعلوم أن هذا الخبر من قصص بني إسرائيل، وليس في القرآن دليل على صدقه.

(4) انظر الطويل، عزت عبد العظيم، في النفس والإنسان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١٩٨٢/١م ص٩٠.

بيده، فهي بذلك تحمل النفس على الطمأنينة، وتروّضها على السكون والرضا لما عند الله عزّ وجلّ [(١)]. ومن أمثلة الآيات التي تدل على أن الرزق مكتوب وهو من عند الله أيضاً: يقول تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (الحجر: ٢٠). ويقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الحج: ٥٨).

٢-لا تتحسر على ما فات:

يقول تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٧٩-٨٣). فنشاهد حال الذين يريدون الحياة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يقولون يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون فقد تمنوا مثله لا عينه حذراً وهذا إبراز لتحسرهم على ما كان من حبهم للدنيا ومتاعها [(٢)].

فقد ضرب لنا القرآن مثالاً واضحاً في مصير من يحسد غيره في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا استمرار في الحسرة والندامة، وفي الآخرة النار الشديدة.

وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها ؛ فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة من مال أو منصب أو جاه ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها [(٣)].

---

(1) انظر البغوي، معالم التنزيل، ١ / ١٣٠ .

(2)البيضاوي، تفسير البيضاوي، ، ١/ ٣٠٤ .

(3) انظر قطب، سيد، الظلال، دار الشروق، ط١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٢٧١٣/٥.

المطلب الثاني: الشح والبخل:

الشُّحُّ : وهو البخل مع حِرْصٍ[١].

"وهما ملكة إمساك المال حيث يحجب بذلك بحكم الشرع كالزكاة والنفقة الواجبة أو بحكم المروءة كالصدقة النافلة والهدية للأقارب والجيران والأصحاب" [٢].

وهذا نوع آخر من الأمراض التي كشف القرآن الكريم عن حقيقتها، وبين أهم ملامحها ومظاهرها، حتى يبقى المسلم بعيداً بنفسه عن مثلها، وبذلك يكمن الإعجاز النفسي الذي هو محط رحالنا.

والبخل مرض نفسي خطير يدل على ضعف وازع الإيمان في قلب صاحبه، والدين في جوهره قائم على روح العطاء، فالذي يقتر على نفسه وعلى أمته شيئاً من مال الله فهو بلا شك غير مؤهل لدخول ميادين الصحة[٣].

ومن الآيات التي تبين هذا المرض قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (النساء: ٣٧).

فهذه الآية الكريمة تبين أن البخل قد يؤدي بصاحبه إلى نار جهنم بدلالة خاتمتها [٤].

وقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى الإيثار الذي يدعو إليه القرآن- يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩). يقول ابن تيمية: "والشح مرض والبخل مرض والحسد شر من البخل، وذلك أن البخيل يمنع نفسه، والحسود يكره نعمة الله على عباده" [٥].

ومن الآيات الدالة على مرض الشح، قوله تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء:

---

(1)ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ٤٩٥ .

(2) البيانوني، أحمد عز الدين، القلب مكانته وأحواله ومرضه وشفاؤه، حلب، مكتبة الهدى، ١٩٧٣م، ص١٢٦.

(3) انظر سلمان، محمد يونس، النفس الإنسانية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ١٩٩٧م، ص٨٨. السويدي، غرائز النفس، ص٦٤١. وانظر: عدس، محمد عبد الرحيم، من خصائص النفس البشرية، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١/٤٠٥هـ-١٩٨٥م ص١٢١.وسنتعرض لعلاج هذا المرض وغيره في المبحث الثالث: العلاج العقدي لأمراض النفس.

(4)انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٨/١.

(5) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أمراض القلوب وعلاجها، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٣م، ص٢٩٣.

١٢٨)، ويقول تعالى ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ (الأحزاب: ١٩).فهاتان الآيتان من القرآن الكريم تبيّنان هذا المرض الذي هو الشح وتذمانه،أشحة عليكم بمعنى بخلاء عليكم، وفيه أسلوب من الذم، ولا يخفى ما في ذلك من ذم [1].

وقد اختلف العلماء في معنى الشح وماهيته، والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل وفرق العلماء بين الشح والبخل.

"روي أن رجلا قال لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال: وما ذاك ؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل. وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له، وقال سعيد بن جبير: الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم، قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه" [٢].

والذي تطمئن إليه النفس أن الشح هو أشد البخل، وفيه أن تمنع حقوق الآخرين التي تجب عليك.

وبعد عرض هذا المرض، حرص القرآن الكريم على تقديم العلاج المناسب له، قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (الإسراء: ٢٩). ويقول تعالى ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠)، أي ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، وهذا بيان لحال البخل ووخامة عاقبته، وتخطئة لأهله في توهم خيريته حسب بيان حال الإملاء، وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم، فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ (الحديد: الآية٧) [٣].

---

(1)الواحدي، الوجيز ، ١ / ٨٦١، "بتصرف".

(2) البغوي، معالم التنزيل ، ١ / ٧٦.

(3) انظر أبا السعود، إرشاد العقل السليم، ٢ /١٢٠.

المطلب الثالث: الطمع والحرص وحب الدنيا:

لقد كشف القرآن الكريم عن طمع النفس البشرية وحرصها وحبها للدنيا، يقول تعالى: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾، ومعنى الآية: بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب [١]. وهذا إبراز واضح لحقيقة النفس الإنسانية وما هي عليه من تقديم الدنيا على الآخرة، وبذلك فإن القرآن الكريم قد فضح هذه النفس وبين عيوبها ومن ثم لفت الانتباه إلى علاجها، ويقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، أي العيش فيها إلا متاع الغرور الباطل، يتمتع به قليلا ثم يفنى [٢]. وهذا توجيه من الله عز وجل إلى هجران ملذات الدنيا الفانية، والإقبال على الآخرة التي هي النعيم الدائم والقرار المكين.

ويقول تعالى ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨)، ويقول تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠). فهذه الآيات جميعها تبين أن متاع الدنيا قليل زائل وأن الآخرة هي دار الإقامة والثواب حتى يتزود لها الإنسان ويعمل حتى يجني الخير فيها، والمتاع: ما ينتفع به زمناً ثم يزول، والزينة: ما يحسّن الأجسام، والمراد بكون ما عند الله خيراً أن أجناس الآخرة خير مما أوتوه في كمال أجناسها وأما كونه أبقى فهو بمعنى الخلود، وتفرع على هذا الخبر استفهام توبيخي وتقريري على عدم عقل المخاطبين لأنهم لما لم يستدلوا بعقولهم على طريق الخير نزلوا منزلة من أفسد عقله فسئلوا: أهم كذلك ؟ [٣].

والنفس البشرية التي تتسم بالطمع والحرص وحب الهوى فهي مريضة شاذة، لأن البواعث المؤدية للحرص والطمع تؤثر على صحتها الجسدية والعقلية والروحية والنفسية [٤].

ويقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦)، ويقول تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً

---

(1)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٢٠، "بتصرف".

(2) انظر الجلالين، تفسير الجلالين، ٩٣/١.

(3)ابن عاشور، محمد الظاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ٢٠/ ١٥٤.

(4) للمزيد انظر بركات، أحمد لطفي، الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، الرياض، دار المريخ، ١٩٨١م، ص ١٦٥.

وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠).

فالقرآن يوجه النفس إلى العمل للدارين: يقول تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧). وهذا توجيه من الخالق عز وجل إلى عدم إهمال الدنيا لأن العمل فيها هو حقيقة الاستخلاف الذي أراده الله عز وجل، ولكن المراد من هجر الدنيا هو هجر الأطماع الفانية والزينة الزائلة ولذلك قيل: الزهد أن تملك الدنيا بيدك وتبعدها عن قلبك.

فإذا تخلص الإنسان من الطمع فرغ قلبه لله فلا تشغله الشهوات إذ الشهوات أطماع لا تشبع[1].ولكن هنالك نوع من الطمع المحمود الذي يكون بما عند الله عز وجل : يقول تعالى ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢)"والذي أطمع طمع العبيد في الموالي بالافضال لا على الاستحقاق بالسؤال أن يغفر لي خطيئتي [2].ويقول تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (السجدة: ١٦).والمراد بالطمع هنا الرجاء الذي به تكمن النعم ويتم الفضل وهو بما عند الله من الأجر والثواب.

وقد عالج القرآن هذا المرض، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء: ٧٧)، أي مدة الحياة فيها قليلة، وهذا أيضاً من باب تدعيم الزهد بالدنيا وملذاتها والإقبال على الآخرة ونعيمها الدائم[3].

---

(1) للمزيد انظر الشرقاوي، د.حسن محمد، نحو علم نفس إسلامي، الهيئة المصرية العامة، الإسكندرية، ص٢٨٠وما بعدها.

(2) انظر النسفي، تفسير النسفي، ، ٣ / ١٨٩ .

(3)انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ٢ / ١٣٦ .

المطلب الرابع: العجب والكبر والرياء والغرور:

العجب هو "عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها وتغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله" (١).

والعجب بالنفس آفة خطيرة تعمي القلوب وتخفي الذنوب وتزين الأخطاء وتستظهر الزلل حتى يحسب المعجب بنفسه الإساءة إحساناً ويظن البخل سخاءً وجوداً. وهو واهم في ظنه كاذب في حدسه هالك حيث يعتقد النجاة وهو غارق في بحر الظلمات، يقول تعالى ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾ (الإسراء: ٨٣). أي: إذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة، اعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه، ونأى بجانبه وهذا تأكيد للإعراض: لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه . والنأي بالجانب: أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين حتى إذا مسه الضر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون (٢). وفي هذا المعنى يقول تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: ٩).

كما أن العجب يظهر في استحسان النفوس لجمال جسمها في قوته وتمام خلقته وعظيم هيئته وبديع صنعته ورجاحة عقله وحسن صوته وما زالت النفس تثني على حالها حتى يشغلها عن ذكر ربها فتقع في الغرق وتظن التفوق على غيرها فتهلك مع الهالكين (٣).

---

(1) الجرجاني، التعريفات، ص١٩٠ .

(2)الزمخشري، الكشاف، ١ / ٦٩٥، "بتصرف".

(3) انظر القرضاوي، الحياة والإيمان، ص٦٥. والإنسان والنفس، قاروط، ص١٢٧ وما بعدها، السويد، غرائز النفس الإنسانية، ص٦٤٤. و الخراشي، أثر القرآن الكريم، ص٩٠. د.السويدي، غرائز النفس البشرية، ص٦٤١. وعدس، خصائص النفس البشرية، ص٩٣.

ومن الآيات التي تكشف عن العجب والكبر أيضاً:

يقول تعالى﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) (المؤمنون: ٤٧)، ويقول تعالى ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٤)، ويقول تعالى ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (يس: ١٥)، ويقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢). ويقول تعالى ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ

أما **الرياء** فهو مرض ليس بمحسوس، وقد أخبر عنه القرآن الكريم وكشف خفايا النفس التي تحتضنه.

يقول تعالى﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء: ١٤٢)، ويقول تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الذين هم يراؤون﴾(٦) (الماعون: ٤-٥).

والرياء يمشى في النفس البشرية مثل دبيب النمل، فلا يسلم منه أحد إلا العارفين بالله، المخلصين الطائعين؛ لأنهم ارتفعوا عن رؤية أنفسهم بما أودعه الله في قلوبهم من نور اليقين.

يقول الإمام الغزالي معالجاً لهذا المرض: "إن الدواء العملي للرياء: أن يعوّد الإنسان نفسه اختفاء العبادة وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب من الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم

نَفَراً﴾ (الكهف: ٣٤).

ومن الآيات التي تكشف عن الكبر قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (لأعراف: ١٤٦)، ويقول تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤)ويقول تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: ٢٠٦)، ويقول تعالى﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (لأعراف: ١٢)، ويقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾ (غافر: ٥٦)، ويقول تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان: ٦٣)، ويقول تعالى ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨)، يقول تعالى ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر: ٧٦)، ويقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١)، ويقول تعالى ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٧٨)، ويقول تعالى ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (لأعراف: ١٨)، ويقول تعالى ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦)، ويقول تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١).والآيات الدالة على هذا المرض تحتاج إلى رسالة كاملة، ولكن هدفنا من هذه الرسالة أن نبين أن القرآن الكريم قد تعرض لهذه النفس البشرية وأبرز مكنوناتها بعظيم جلاء وحسن أثر، وبذلك يتحقق الإعجاز النفسي والتأثيري.

الله وإطلاعه على عبادته وعلى تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به [١].

الغرور:

الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع [٢].و يكون بأمور منها:

١-الاغترار بالدنيا:

كما يقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، ويقول تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠).

في هذه الآيات توجيه من الله عز وجل بعدم الاغترار بالدنيا الذي أشرنا له سابقاً، وإنما حصلت الإعادة لتأكيد الفائدة، وهي عدم الاغترار بهذه الحياة الدنيا التي من شأنها أن تودي بصاحبها إلى الهلاك، فما أعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا وهو من زينتها التي يتزين به فيها لا يغني عنكم عند الله شيئا ولا ينفعكم شيء منه في معادكم وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم، في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى لأهله لأنه دائم لا نفاد له [٣].

٢-الاغترار بالله:

يقول تعالى﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا تغرنكم بِاللَّه الْغَرُورُ ﴾ (لقمان: ٣٣). فلا تخدعنّكم الحياة الدنيا بزينتها وما تدعو إليه فتتكلوا عليها وتركنوا إليها، وتتركوا العمل للآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة [٤].

وهذا أمر واضح حيث إن الإنسان يسول لنفسه، ويسول له الشيطان الأمور حتى يظن أن الله سيرحمه ويتجاوز عنه، لكن هذا محال لأن الله قد أنذر وبعث الرسل، فمن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها، وليست الأمور بالتمني ولكن بالعمل والجد، وهذه دعوة القرآن الكريم بعدم الاغترار بالدنيا وملذاتها وعدم الركون إليها دون عمل وسعي، يقول تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (الجمعة: الآية٨).

---

(1) الغزالي، الإحياء، ٢٦٥/٣.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠٨ .

(3) انظر الطبري، جامع البيان، ١٠ / ٩١ .

(4)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤ / ٧٤، "بتصرف".

المطلب الخامس: الغضب والغيظ:

الغضب: "هو تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر" [(١)].

والغضب مرض خطير لأن صاحبه يصبح لا يعقل ما يفعل، ولا يدري ما يقول وبذلك تكون المهلكات. وكذلك الغيظ الذي هو شقيق الغضب، لذلك حرص القرآن الكريم على الكشف عن هذين المرضين، وتحقير صاحبهما وإذلاله. [(٢)]، كما في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١١٩)، فالكفار لا يحبون المؤمنين لما قد استحكم في صدورهم من الغيظ والحسد، حيث أن المسلمين يؤمنون بكتب الله سبحانه التي من جملتها كتابهم، ثم يخاطب الله المؤمنين فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخ لهم شديد لأن من بيده الحق أحق بالصلابة والشدة ممن هو على الباطل، فإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقاً وتقية، أما إذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ؛ تأسفاً وتحسراً، حيث عجزوا عن الانتقام منكم والعرب تصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان ثم أمره الله سبحانه بأن يدعو عليهم فقال ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ وهو يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة حتى يأتيهم الموت، وهم عليه فإن الله عليم بذات الصدور وهو يعلم ما في صدوركم وصدورهم، والمراد بذات الصدور: الخواطر القائمة بها [(٣)]. وهذه هي نتيجة الغيظ الحتمية التي تلازم صاحبها وهي دوام الضنك وسوء المنقلب وعسر في الحياة وظلمة في النفس الذي نسأل الله العافية منه.

ويقول تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الفتح: ٢٩)،فنلاحظ القرآن الكريم كثر المؤمنين، وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين، قال مالك بن أنس:

---

(1) الجرجاني، التعريفات، مادة عصب، ص٢٠٩.

(2) للمزيد من الإيضاح انظر كلاً من كيلاني، محمد أمين الصادق، من الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص١٠٤-١٠٦، قاروط، الإنسان والنفس، ص١٢٧، وما بعدها.

(3)الشوكاني، فتح القدير، ، ١ / ٥٦٧، "بتصرف".

من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية [(١)].

قال وهب بن المنبه: "للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والحقد، والطمع" [(٢)]. فجميع هذه المأثورات إنما هي من سبيل النصح لمن وقع في شباك هذا المرض وأمثاله.

ومن العلاج الذي كشفه القرآن الكريم لهذا المرض [(٣)]:

١. كظم الغيظ: يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

الكظم: هو مخرج النّفس في أصل اللغة وكظم الغيظ حبسه [(٤)].

والغيظ: هو أشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه [(٥)]. وهذا تعبير بليغ من القرآن الكريم، يبين مدى تحمل وصبر المسلم على أذى الآخرين، فلم يقل والكاتمين الغيظ وإنما قال والكاظمين الغيظ ليبين مدى الصبر حتى كأنه يحبس أنفاسه التي إن خرجت خرج معها الكلام والبطش الذي نهى الله عنه، "وهو عطف على الموصول والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار"[(٦)].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٧). فسجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس [(٧)]، فكظم الغيظ من الأمور العظيمة التي تورث صاحبها حسن الخلق وجميل الصبر وجزيل الثواب.

٢. الحلم:هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام[(٨)].

يقول تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (لأعراف: ١٩٩).

---

(1) انظر البغوي، معالم التنزيل، ١ / ٣٢٣ .

(2) قاروط، الإنسان والنفس، ص١٢٧.

(3) السويدي، غرائز النفس، ص٦٤١، عدس، خصائص النفس البشرية، ص٩٣، والقزويني، السيد عبدالحسين، رحلة الى أعماق النفس، بيروت، لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١/١٩٩٦م، ص١٧١.

(4) الراغب، المفردات،٤٣٤ .

(5) الراغب، المفردات، ٣٧١.

(6) أبو السعود، روح المعاني، ٢ / ٨٥ .

(7) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٧/٤.

(8) الراغب، المفردات، ١٣٦.

وهنا دعوة من القرآن الكريم إلى تطهير النفس وتحمل أذى الآخرين وكظم غيظهم، وهذا دليل على أن القرآن جاء معجزاً في تطهيره للنفوس وتجليته للصدور والقلوب من جميع شوائبها، ومن المعلوم أن غيظ المؤمن على انتهاك حرمات الله وعلى أعداءه من الشيء الممدوح الذي يرضاه الله تعالى ورسوله ويحث عليه القرآن، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لأخفى غضبه حياء من نفسه بل لوجد أن قبح باطنه أعظم من قبح ظاهره إذ أن الظهر عنوان الباطن [١].

قال رسول الله ﷺ: (إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا) [٢].

---

(1)الخراشي، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ص٩٥، "بتصرف".

(2) أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، مسند أبو يعلى، تحقيق: حسين إسليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، رقم١١٠١، ٣٥٢/٢.

ومن الآيات الدالة على هذا المرض قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، ويقول تعالى ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤)، ويقول تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

المطلب السادس: اليأس والقنوط:

اليأس هو قطع، وقد يئس من الشيء من باب فهم [١].

و**القنوط** هو اليأس من الخير فحسب واليأس يكون بانتفاء الطمع مطلقاً [٢].

ومما هو معلوم أن هذا المرض يدعو صاحبه لترك زمام العمل والتواكل والركون والكسل، وهذا مذموم لأنه ينافي حقيقة الاستخلاف الذي خلقنا لغايته.

وهو من الأمراض التي إذا أصابت النفس الإنسانية أودت بها إلى التخلف والرجوع والخمول والسكون المذموم [٣]، وقد ذم الله -تعالى- هذا المرض في خطاب الله عز وجل لسيدنا إبراهيم، يقول تعالى: ﴿فلا تكن من القانطين﴾ فأجاب إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦). فنلاحظ كيف أجاب إبراهيم سريعاً ونفى عن نفسه القنوط من رحمة الله، قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وبرزت كلمة الرحمة في حكاية قول إبراهيم تنسيقاً مع المقدمة في هذا السياق ؛ وبرزت معها الحقيقة الكلية أنه لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون عن طريق الله الذين لا يستروحون روحه ولا يحسون رحمته ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته فأما القلب الندي بالإيمان المتصل بالرحمن فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد ومهما ادلهمت حوله الخطوب ومهما غام الجو وتلبد وغاب وجه الأمل في ظلام الحاضر وثقل هذا الواقع الظاهر فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين وقدرة الله تنشيء الأسباب كما تنشيء النتائج وتغير الواقع كما تغير الموعود [٤].

---

(1) الرازي محمد بن أبي برك بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مادة يئس، ص٧٤١، وابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص١١٠٨.

(2) الراغب، المفردات، ٤١٥، ٥٥١.

(3) بتصرف وللمزيد انظر كيلاني، من الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم، ص١٠٧.

(4) انظر سيد، الظلال، ٢١٤٦/٤.ومن الآيات التي تبين أعراض هذا المرض وشناعته قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، ويقول تعالى ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾ (الاسراء: ٨٣)، ويقول تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: ٩)، ويقول تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ا لْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠)، ويقول تعالى ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (الحجر: ٥٥)، ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى: ٢٨)، ويقول تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا

فالقانط لا يقدر على تحمل صدمة من الصدمات أو مصيبة من المصائب لأنه عود نفسه على إشباعها بما تحتاج إليه دون التوفيق بما يعمله، ولم يأخذ نفسه بالرياضة والتربية حتى يقوي عزمه، وتشد همته لذا فهو فريسة سهلة للأمراض والآفات.

وعلاج مرض اليأس يكون بأمور منها:

١. الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله يدعو إلى عدم اليأس.

يقول تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)، أي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه، ثم حذرهم من ترك العمل بموجب نهيه ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾. ومن هدي الإسلام السعي بالمسلم نحو الرقي والتفاؤل وعدم اليأس، والتطلع إلى التفاؤل الذي من شأنه أن يجعل المسلم على درجة عالية من الطمأنينة والهدوء النفسي، وفي التاريخ الإسلامي كثير من قصص المؤمنين الذين آمنوا بالله حق الإيمان فسلمت نفوسهم من أسباب القلق والاضطراب بل كانت على درجة عالية من القوة .. ولم تسمع نفوسهم لوساوس الشيطان بالتدخل لتشيع فيها اليأس وذلك لأن نفوسهم كانت آمنة مطمئنة لإيمانهم العميق بأن الله معهم ومعينهم ومخرجهم من كل ضيق أو قلق [(١)].

٢. كما يكون الإيمان أيضاً بالرضى بالقضاء، وبما أصابك واحتساب الأجر من الله -تعالى-: فأهل العلم يؤكدون على أن الرضا وسيلة الإنسان لتحقيق الاطمئنان، وأن به تهدأ النفس ويطمئن القلب ويعم السرور والفرح لإحساسه بالرضا الذي طلبه العبد من ربه ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: (من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً غفر له ذنوبه، وفي رواية كان حقاً على الله أن يرضيه) [(٢)]. وبهذا القول تأكيد ذلك الرضا عن طريق رضا النفس بما جاء يخالف هواها، ومرادها فإنه يصل بذلك إلى غاية الهدوء والاطمئنان النفسي حيث غفر الله له.

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم: ٣٦)، ويقول تعالى ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)، ويقول تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦).

(1)إسماعيل، نبيه، أسس الصحة النفسية، بدون ناشر ولا دار نشر، ١٩٩٣م، ص٩٤، "بتصرف".

(2) ابن خزيمة، محمد بن إسحاق، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، وفي ذيله أحكام الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، رقم٤٢١، ٢٢٠/١.

٣. كما يكون بالثبات والتوازن الانفعالي الذي يمد الله به عباده الصالحين [١]:

يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧). روى البخاري عن براء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾" [٢].ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الفتح: ٤)، وهنا بيان لما أفاض عليهم من مبادىء الفتح من الثبات والطمأنينة أي أنزلها في قلوب المؤمنين بسبب الصلح والأمن إظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف وذلك ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم و يقيناً منضماً إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به عليه والصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا إيمانا بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر[٣].

فالآيات الكريمة تبين أثر تثبيت الله لعباده المؤمنين في سكينة قلوبهم وراحة بالهم، يقول الدكتور لطفي في هذا المعنى: "والنفس المطمئنة تكون أكثر قدرة على التكيف مع نفسها ومن حولها بعيدة عن الهلاوس والهواجس والمخاوف"[٤].

---

(1) للمزيد انظر أبو هندي، نحو طب نفسي إسلامي ص٢٣.

(2) البخاري، كتاب التفسير ، باب سورة إبراهيم، رقم ٤٤٢٢، الصابوني، مختصر ابن كثير، ٤٢٤/٢، ورواه مسلم أيضا وبقية الجماعة.

(3)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨ / ١٠٤، "بتصرف" .

(4) أحمد، د.لطفي بركات، الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، ، ص٤٦.

المطلب السابع: الغفلة والنسيان:

الغفلة "متابعة النفس على ما تشتهيه وقيل الغفلة عن الشيء هي ألا يخطر ذلك بباله" (1).

والنسيان هو "الغفلة عن معلوم في غير حالة السنة فلا ينافي الوجوب أي نفس الوجوب ولا وجوب الأداء" (2). وقد قال تعالى في بيان هذا المرض: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

كما كشف القرآن الكريم عن معالم هذا المرض حيث قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩)٠وهذا وصف من القرآن الكريم في هذه الآية لأهل الدنيا والمنكبين عليها بأن استولى عليهم، فأنساهم ذكر الله حتى أنهم لا يذكرونه بقلوبهم و لا بألسنتهم فأولئك حزب الشيطان وجنوده وأتباعه ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد (3).

وقد عالج القرآن هذا المرض بعدة وسائل:

١. الذكر:

قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾ (الكهف: ٢٤).فهذا توجيه من الله عز وجل بتمرين النفس على ذكر الله عز وجل، فمتى نسي الإنسان ذكر ربه فيجب عليه بمجرد التذكر المبادرة إلى الذكر والاستغفار تلبية لنداء الله عز وجل (4).

٢. معرفة العقاب الذي يترتب على النسيان وذلك يورث الخوف والوجل منه والحرص على الابتعاد عنه،ولا بد لنا في هذا المقام من التفريق بين النسيان الذي هو من طبيعة النفس البشرية وهذا النوع ليس محاسب عليه صاحبه، وبين النسيان الذي يعود سببه لتخلي عن منهج الله القويم، ولركون إلى الدنيا وشهواتها، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

---

(1) الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠٩ ٠

(2) الجرجاني، التعريفات، ص ٣٠٩ ٠

(3) انظر البيضاوي، تفسير البيضاوي، (١ / ٣١٤)

(4) سنعرض موضوع الذكر بشيء من التفصيل في الفصل الثالث.

لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (لأعراف: ١٧٩). فهذا تهديد من الله عز وجل غليظ لمن اتصف بالغفلة والاستغفال لأنه وقود وحطب وذرء لجهنم، وقد علل القرآن سبب ذلك لأنه لم يفقه بقلبه الهدى ولم يبصر بعينه الحق ولم يسمع بأذنه داعي الله عز وجل فكان حقاً عليه أن يكون من أصحاب النار [١].

---

(1) انظر سيد قطب، الظلال، ١٤٠١/٣.

المبحث الثالث: توجيهات قرآنية للنفس الإنسانية:

ويحوي مطلبين:

المطلب الأول: إرشادات القرآن للإيمان للوقاية من الأمراض النفسية.

المطلب الثاني: إرشادات القرآن الكريم العلاجية للنفس الإنسانية.

المطلب الأول: إرشادات القرآن للإيمان من أجل الوقاية من الأمراض النفسية:

لقد أرشد القرآن النفس الإنسانية للإيمان بالأركان الإيمانية كاملة وهو أسلوب وقائي للوقاية من الأمراض التي تلحق بالنفس الإنسانية.

فالتوجيه والإرشاد القرآني هو: "عملية تضمن مجموعة من الخدمات التي تقدم للأفراد كمساعدتهم على فهم أنفسهم وإدراك مشكلاتهم التي يعانون منها والانتفاع بقدراتهم وإمكاناتهم ومذاهبهم في التغلب على المشكلات التي تواجهها" [١].

ولا شك أن في القرآن طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه ويرهف أحاسيسه ومشاعره وتصقل روحه، ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً كأنه خلق خلقاً جديداً.

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٩)، وقوله تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ (الإسراء: ٨٢)، فهو شفاء لما في الصدور من أدواء الريب وأسقام الأوهام ورحمة للمؤمنين به العالمين بما في تضاعيفه أي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن: بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك [٢].

و يقول تعالى﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (لأعراف: ٢٠٣).

وقد تعرضنا في المبحث الماضي لنماذج لأمراض النفوس وكيفية علاجها، وفي هذا المبحث سنتعرض لأسلوب القرآن الوقائي لهذه الأمراض بمنهج عام.

أولاً: أثر الإيمان بالله في النفس الإنسانية:

إن للإيمان بالله عز وجل الأثر الواضح في علاج النفس الإنسانية، كيف لا وبذلك تزول جبال الهموم وتستقر وتطمئن النفوس من أمراضها وتصفو القلوب من أحقادها.

ولقد بذلت أخيراً جهود كثيرة في ميدان العلاج النفسي للأفراد الذين يعانون من

---

(1) مرسي، سيد عبد الحميد، الإرشاد النفسي والوجيه التربوي والمهني، مكتبة وهبه القاهرة، ١٩٨٧، ص٧١-٧٢.

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥ / ١٩١، "بتصرف بالعبارة".

الاضطرابات الشخصية والأمراض النفسية، غير أنها لم تحقق النجاح المرجو في القضاء على الأمراض النفسية، وقد بينت بعض الدراسات أن المرضى النفسيين الذين يعالجون بطريقة التحليل النفسي تتراوح بين ٦٠-٦٤% وهي معدلات غير مرضية إذا علم أن الذين تخلصوا من أعراض المرض تتراوح بين ٤٤-٦٦% [١].

وهذا علاج غير نافع في عصر التقدم والحضارة، ولقد أثبتت بعض الدراسات أن من هؤلاء الذين عولجوا قد ازدادت حالتهم سوءاً [٢].

وذكر هنري لينك العالم الفرنسي الأمريكي في كتابه (العودة للإيمان) أنه وجد نتيجة خبرته الطويلة في تطبيق الاختيارات النفسية على العمال في عملية الاختيار والتوجيه المهني أن الأشخاص الذين يترددون على دور العبادة يتمتعون بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين لهم ولا يقومون بأية عبادة [٣].

وفضلاً عن علماء النفس والملحدين النفسيين فقد أشار كثيرٌ من المفكرين الغربيين في العصر الحديث إلى أن أزمة الإنسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية، فقد أشار (أرنولد توميني) إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأورورببيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلى الدين [٤].

وهذا اعتراف صريح بأن البعد عن **الإيمان** هو أساس الأمراض النفسية، يقول الدكتور محمد عثمان: " تتفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن **القلق** هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية ولكنها تختلف في تحديد العوامل التي تسبب القلق" [٥].

أما الإيمان بالله فإنه يكسب المناعة والوقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، وقد وصف القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن بقوله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢)..

---

(1) لمزيد انظر نجاتي، د.محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢٤٦.

(2)ريتشارد، م. شوين، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة محمد سلامة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م، ص٨٦٤، "بتصرف".

(3) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، ط٦، ١٩٧٨، ص٣٤٢.

(4) الجندي، أنور، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٧٧، ص١٩٥.

(5) نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٤٩.

يقول هنري لينك: "إنني استعين بالعقائد الدينية في بيان مشكلات الناس التي تعترض حياتهم، حين أدركت عجز المعلومات النفسية العليمة عن تقديم النصيحة اللازمة كاملة في كل الأحوال، واقتنعت تماماً بأن كل مكتشفات علم النفس لتقويم الشخصية والوصول إلى سعادة النفس ورضاها تنتهي إلى التمسك بالحقيقة الدينية والتعلق بها" [١].

وهذه شهادة واضحة بأن المعتقدات هي السبيل الأول للراحة من أمراض النفس، وأول هذه المعتقدات بلا شك الإيمان بالله، وهذه شهادة أخرى من كارل يونج حيث يقول: "استشارني في خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاص من مختلف شعوب العالم المتحضرة، وعالجت مئات كثيرة من المرضى، فلم أجد مريضاً واحداً من مرضاي الذين كانوا في المنتصف الثاني من عمرهم أي جاوزوا سن الخامسة والثلاثين من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة...، وأستطيع القول إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض، لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنحه إياه الأديان القائمة في كل عصر، وإنه لم يتم شفاء أحد منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة...، ويقول أ.أ.بريل المحلل النفسي: "إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط من مرض نفسي" [٢].

أما وليم جيمس الفيلسوف والعالم الأمريكي فيقول: "إن أعظم علاج للقلق والشك هو الإيمان". ويقول أيضاً: " الإيمان من القوى التي لابد من توفرها لمعاونة المرء على العيش، وفقدها نذير بالعجز على معاناة الحياة. ويقول: "فإن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم، فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه تعالى تحققت كل أمنياتنا وآمالنا". وقال أيضاً: "إن أمواج المحيط المتخبطة المتقلبة لا تفكر قط في هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله تعالى، فالرجل المتدين حقاً عصي على القلق محتفظ باتزانه مستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن يأتي به الإيمان من أمور" [٣].

وهذه شهاداتٌ غربيةٌ عظيمةٌ في أثر التدين في صفاء الروح وطمأنينة النفس الإنسانية، ومعلوم أن القرآن الكريم قد أثبت ركائز الإيمان في العديد من آياته حتى تسقي النفس ماءها من هذا المورد العذب وتصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وإن الدين من العوامل المساعدة للإنسان على التغلب على التوترات الذي يتعرض لها،

---

(1) لنك، هنري، ص١٦-١٨، العودة إلى الإيمان، دار المعارف، ، ص٦٢.

(2) ديل كارينجي: دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة عبد المنعم الزيادي، ط٥، القاهرة ص٢٨٦.

(3) ديل كارينجي: دع القلق وابدأ الحياة، ص٢٩٨-٣٠٢.

فقد ساعد على مر العصور والأزمنة على مواجهة قوى العلم والاستبداد، من أجل هذا كله ظهرت محاولات عدة لصياغة الكثير من القواعد والمبادئ الحديثة في قوالب نفسية وتستطيع أن تعبر عن ذلك بالعبارة المشهورة على حد تعبير (مورد) وإن هذه المحاولات النفسية ذات أصول دينية سوف تنقذ البشرية [١].

فكل ما سبق ذكره من أقوال وعبارات فهي عامة في الإيمان ويدخل فيها إيمان الله ضمناً، ولكن هنالك عبارات خاصة في هذا الشأن حيث يقول الدكتور القرضاوي: "إذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، والقلب الإنساني، فإن الإيمان بالله تعالى هو ماؤها وغذاؤها، ولقد فجر الإيمان في قلب الإنسان ينابيع السعادة، ولا يمكن أن تتعلق بغيرها. وأهم ينابيعها السكينة والأمن والأمل والرضا والحب" [٢].

وهذا أمر طبيعي لا يخفى على كل من له فكر وتدبر كيف لا، وإن الإنسان مجبول على اللجوء للقوي ومحتاج للعظيم ومستغفر للغفار ومحل هذه الصفات تكمن بالله العزيز القهار. و في شأن الأثر النفسي المترتب على الأيمان بوحدانية الله يمكن القول: إذا استطاع الإنسان أن يحقق هذا المستوى الإجرائي من الإيمان، وهو قادر على ذلك دون أي شك، فإنه سيجني ثماره، ويشعر بالأثر النفسي الطيب، حيث يصبح للإنسان في حياته هدف وغاية ورسالة، فلا يضعف اتجاه مثيرات الحياة وتياراتها المتعارضة التي تحول دون تحقيق ما يطمع إليه .. [٣].

إن الإيمان بالله تعالى واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن وبينته السنة هو السبيل إلى تحقيق أمن الإنسان للتخلص من الهم والقلق، ويقول الأستاذ محمد عبد الرحيم عدس: "يعتبر الإيمان بالله عز وجل أنجح علاج نفسي يقي الإنسان من أمراض هذا العصر المتعددة والمتمثلة في أكثر مظاهر الخوف والقلق" [٤].

وهذه كلها شهادات في عظيم تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية حيث أدى بها إلى روضة الإيمان وبستان الاطمئنان.

أما الآيات القرآنية الداعية للإيمان بالله تعالى فهي كثيرة نذكر منها:

---

(1) فهمي، مصطفى، الصحة النفسية، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٧٦، ص٨.

(2) القرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٩٢.

(3) لمزيد انظر إسماعيل، أسس الصحة النفسية، ص٩٢.

(4) للمزيد انظر ابن غالب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، بيروت، لبنانا، دار الأخلاق الجديدة، ١٩٧٨، ص١٥-١٦. وعدس، محمد عبد الرحيم، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، ص٧١.

يقول تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، إن المراد من الإيمان بالله تعالى أن يعلموا أنه وحده مطلعاً على الغيب، و المراد من الإيمان بالله تعالى الإيمان بأنه سبحانه وتعالى لا يترك المخلصين على الاختلاط حتى يميز الخبيث من الطيب بنصب العلامات، وتحصيل العلم الاستدلالي بمعرفة المؤمن والمنافق[1].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء: ١٣٦)، إنه النداء للذين آمنوا بصفتهم هذه التي تفردهم عمن حولهم وتحدد وظيفتهم وتكاليفهم وتصلهم بالمصدر الذي يستمدون منه القوة والعون على هذه التكاليف، وهذا بيان لعناصر الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا وبيان للتصور الإسلامي الاعتقادي.

فهو إيمان بالله ورسوله يصل قلوب المؤمنين بربهم الذي خلقهم وأرسل إليهم من يهديهم إليه؛ وهو الرسول ﷺ وإيمان برسالة الرسول وتصديقه في كل ما ينقله لهم عن ربهم الذي أرسله، وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يربطهم بالمنهج الذي اختاره الله لحياتهم وبينه لهم في هذا الكتاب ؛ والأخذ بكل ما فيه بما أن مصدره واحد وطريقه واحد، وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله، وأساسها كذلك واحد هو إسلام الوجه لله، وإفراد الله سبحانه بالألوهية بكل خصائصها والإقرار بأن منهج الله وحده هو الذي تجب طاعته وتنفيذه في الحياة[2].

فهاتان الآيتان يدعوان كل من كان له قلب وعقل للإيمان بالله عز وجل، لأن بالإيمان حياة القلوب وركازة العقول والنجاة في الدنيا والهناء في الآخرة والرضا بالقدر، وهذا هو منبع الإعجاز النفسي وأصله، الذي جاء به القرآن الكريم ليركز معانيه ويحقق أهدافه. كما يشمل الإيمان بالله الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، فهي من مقتضيات الإيمان بالله تعالى.

---

(1)الألوسي، روح المعاني، ٤ / ٣٨، "بتصرف".

(2) سيد، الظلال، ٧٧٣/٢، "بتصرف". وهنالك كثير من الآيات التي تدعوا لا إيمان بالله تعالى فمنها: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١٠)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (لأعراف: ١٥٨)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

ثانياً: أثر الإيمان بالقدر في النفس الإنسانية:

إن الإيمان بالقدر من الأمور التي تعين على تحمل صعوبات الحياة الكثيرة ومصائبها، كما يساعد على الطمأنينة النفسية والسكون الروحي، وإن المؤمن لا يخاف شيئاً في هذه الحياة الدنيا، فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله -تعالى-، ولا يمكن لأي إنسان أو لأية قوة أخرى في هذه الحياة الدنيا أن تلحق به ضرراً، أو تمنع عنه خيراً إلّا بمشيئة الله -تعالى-.

فالمؤمن الصادق لا يخاف مصائب الدهر من موت أو فقدٍ أو مرض؛ لأنه يرى فيها ابتلاء الله -عز وجل- الذي يجب أن يصبر عليه.

وعن ابن عباس قال: " كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا غلام إني محدثك حديثاً: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد رفعت الأقلام وجفت الكتب فلو جاءت الأمة ينفعونك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لما استطاعت، ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك ما استطاعت"(١).

ومن الآيات التي تدعو للإيمان بالقدر: قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١)، فما يصيبنا من خير أو شر هو مقدر مكتوب علينا، وعلى الله يجب أن يتوكل المؤمنون وإليه فليفوضوا أمورهم على الرضا بتدبيره(٢)، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢). مَا أَصَابَ من مصيبة في الأرض من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ولا في أنفسكم من الأمراض وفقد الأولاد فهو في اللوح المحفوظ من قبل أن نبرا و نخلق الأنفس إن ذلك على الله يسير و إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم(٣).

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن القدر مكتوب ليس له من مغير سوى الله عز وجل، وبذلك تكون طمأنينة النفس وسكون القلب، حيث لا خوف من مخلوق، ولا من متجبر،

---

(1) أحمد، المسند، رقم٢٧٦٣.و مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، تحقيق الألباني، وعلق عليه فقال صحيح.

(2)انظر الواحدي، الوجيز، ٤٦٧/١.

(3) للمزيد انظر ابن الجوزي، زاد المسير، ١٧٣/٨.

فأمرك وقدرك كله بيد الله وبذلك تمام الإعجاز النفسي.

و إذا استسلم المؤمن لما قدر الله وقضى به من النوازل، فإنه يكون من تمام الرضا بالله ربا ومن رضي بالله الواحد الأحد رباً فإنه سبحانه وتعالى كافي عبده؛ بتهيئة نفسه لتقبل ما سيقع في حياته من الشدائد أو المصائب فلا يخرج بذلك عن كونه عبد الله رضياً بقضائه خيراً أو شراً.

ولقد عرف ابن قيم الجوزية الصبر فقال: "حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش" [١].

فالصبر هو الذي يجعل الإنسان صبوراً حال حدوث الابتلاء بحيث يكون على درجة من الاستعداد النفسي لتحمل الأعباء وهو على ثقة من أن الله -سبحانه وتعالى- سيأتي بالفرج القريب العاجل.

فالصبر ركيزة وخصيصة من خصائص النفس المطمئنة ومن ملامحه كظم الغيظ وتحمل الآلام وجهاد النفس ومخالفة الأهواء وشهواتها والسمو عن الأحداث والرضا بالقضاء وتقوى الله وصدق في الظاهر والباطن [٢].

ومما يلحق بالإيمان بالقدر وينتج عنه الإيمان بكل من:

١. الإيمان بالرزق:

إذا أيقن المسلم أن رزقه مقدر، وأنه لا يزيد ولا ينقص، يصبح آمناً مطمئناً، بل يصبح آمناً عليه، وهذا لا يعني عدم الأخذ بأسباب الرزق، ولكن يكون ذلك من دون تكالبٍ وانكباب على الدنيا مع التقصير في حقوق الآخرة.

فإن المؤمن الصادق ليعلم أن رزقه من الله -تعالى- وأنه سبحانه وتعالى، قد قسم الأرزاق بين الناس وقدرها، ولذلك فهو لا يخاف الفقر، وإذا قدر الله أن يكون قليل الرزق فهو راضٍ بما قدر الله له قنوع بالقليل الذي لديه، كثير الحمد والثناء لله تعالى على نعمه الأخرى الكثيرة عليه، نعمة الحياة ونعمة الإيمان ونعمة الصحة ونعمة راحة البال.

وإن المؤمن الصادق لا يعرف الخوف فيما يتعلق بالرزق، والآيات الدالة على الأمن

---

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٥٦/٢.

(2) أحمد، د.لطفي بركات، الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، ص٤٤، وأبو هندي، نحو طب نفسي إسلامي، ص٢٤.

الرزقي كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، فأسباب رزقكم و تقديره بالسماء ومن معاني الرزق في هذه الآية السحاب والمطر فإنه سبب الأقوات، وما توعدون من الثواب لأن الجنة في السماء السابعة أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء[1].

وهذا إعلان صريح من الخالق عز وجل أن الرزق مكتوب ومقدر من الله عز وجل وهو في السماء فلا مغير له ولا مبدل، وهذا يدفع بالنفس الإنسانية إلى الطمأنينة والرضا.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (العنكبوت: ١٧)، وهذه الآية واضحة الدلالة أن الرزق من عند الله فقط، "فإن قلت: لم نكر الرزق ثم عرفه ؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله . فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره" [2].

فمجموع هذه الآيات تحمل في ثناياها جزءاً من الإعجاز النفسي الذي يجعل النفس

---

(1)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨/ ١٣٩، "بتصرف".

(2)الزمخشري، الكشاف، ٩٤٩/١.

وهنالك مجموعة من الآيات تثبت هذا المعنى، يقول تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ (النساء: ٣٢)، ويقول تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ٨٨)، ويقول تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)، ويقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٦٠)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٤)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذريات: ٥٨)، ويقول تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود: ٥٦)، ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (الرعد: ٢٦). ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الرعد: ٢٦) ويقول تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

مطمئنة على رزق الله وقدره العظيم، وذلك بأن تعلم بأن رزقك مكتوب ومقدر من عند الله، فتطمئن نفسك حيث لا زيادة ولا نقصان.

ولقد حذر الله الإنسان من الخوف من العوز والفقر والجوع، يقول تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٣١)، ويقول تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وهكذا فإن يقين الإنسان المؤمن وتسليته بأن الأرزاق بيد الله، وأنها مقدرة عنده سبحانه وتعالى، يجعله على درجة من الإحساس بالأمن والاطمئنان، وإذا أخذ بالأسباب التي دعاه الله للأخذ بها في حياته واستثمار ما وهبه الله من قدرات عقلية وطاقات انفعالية وإرادة معرفية وما سخر له من مخلوقاته في الكون لتحقيق الأهداف التي حمله الله إياها وأوقع عليه مسؤولية تحقيقها في الحياة الدنيا مما يعينه على تحقيق مستوى أفضل من الأمن النفسي [(١)].

٢. الإيمان بالأجل والغيب:

إن المؤمن الصادق على يقين تام بأن أجله محدد قبل ولادته ولا يزيد هذا الأجل ولا ينقص، وبذلك تتحقق به الشجاعة والإقدام الذي حض عليه الإسلام، وبذلك يتحقق الأمن والطمأنينة التي أرادها القرآن والإسلام للنفس الإنسانية.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها [(٢)]:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، وإنما توفون أجوركم وتعطون أجزية أعمالكم وافية تامة يوم القيامة ووقت قيامكم من القبورة و في لفظ

---

(1) لمزيد انظر كلاً من: إسماعيل، أسس الصحة النفسية، ، ص٨٥، وعدس، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، ص١١٧، وقطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ط٢، بدون ناشر ودار نشر، ص١٥٨، والقرضاوي، يوسف، الإيمان والحياة، ص١٥٩.

(2) ينظرإسماعيل، من أسس الصحة النفسية، ص٨٨، وعدس، من خصائص النفس البشرية، ص٥٧، وأحمد، الطبيعة البشرية في القرآن الكريم، ص٣١-٣٢، والقرضاوي الإيمان والحياة، ص١٦٠-١٦١، وقطب، منهج التربية الإسلامية، ص١٥٨.

التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم من خير أو شر تصل إليهم قبل ذلك اليوم[1].

ويقول تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ (النساء: ٧٨)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

ويقول تعالى: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١)، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت فلا يؤخرون ما يهمهم عمله ومن سؤال ثوابه، فما من أحد يؤخر العمل الذي يسره أن يعمله وينال ثوابه إلا وهو معرض لأن يأتيه الموت عن قريب أو يفاجئه فعليه بالتحرز الشديد من هذا التفريط في كل وقت وحال فربما تعذر عليه التدارك بفجأة الفوات أو وهن المقدرة فإنه إن كان لم تطاوعه نفسه على العمل لصالح قبل الفوات فكيف يتمنى تأخير الأجل المحتوم[2].

فهذه الآيات تؤكد على أن الأجل مكتوب ومحدد وأنه لا يملك الأجل والموت إلا الله عز وجل، وهذا من تمام الإعجاز النفسي والأمن الروحي الذي هو قرين القرآن في كل آياته.

ثالثاً: ثمرات العبادات:

هناك العديد من العبادات العقدية التي أمر بها الله عز وجل، التي تؤدي إلى طمأنينة النفس الإنسانية وطهارة القلب من الأحقاد والأضغان.

أ-التقوى:

---

(1)الألوسي، روح المعاني، ٤ / ١٤٦، "بتصرف" .

(2) انظر، ابن عاشور،التحرير والتنوير، ٢٨/ ٢٥٦ .

وإليك مجموعة من الآيات تدل على هذا الجانب من الأمن: ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر: ١١)، ويقول تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨)، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦)، ويقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الانبياء: ٣٥)، ويقول تعالى: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١)، ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، ويقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

لقد حض القرآن الكريم على التقوى لما لها من ثمار على النفس الإنسانية، فهي عبادة عقدية من قام بها أصبح همه الآخرة، وبذلك يصبح مطمئناً على دنياه، وكاسباً لآخرته.

وعبادة التقوى من العبادات العقدية التي إذا قام بها العبد اطمأنت نفسه واستقرت حياته، والقرآن الكريم قد حض غلى التقوى وبين صفات المتقين وثمار هذه الخصلة الكريمة[1].

والآيات التي تحض على التقوى كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)، فعبدوا لكي تنجوا من العذاب و كونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله [٢].

وفي الآية دلالة واضحة على أن الله عز وجل يأمر بالعبادة لتتحقق التقوى التي هي ثمرة العبادة ومرادها، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، واتقوا الله في عدم نسيان نعمته ونقض ميثاقه و في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً أن الله عليم بذات الصدور وبخفياتها [٣].

---

(1) ولسنا بصدد شرح هذه الصفة وما قبلها وما بعدها من صفات، فهي تحتاج إلى بحث مستقل ولكني في دراستي هذه سأتناول أثرها بشيء يسير على النفس الإنسانية والإعجاز النفسي.

(2)البغوي، معالم التنزيل، ١ / ٧١، "بتصرف".

(3)انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ / ١٢ .

ومن الأمثلة على الآيات التي تدل على التقوى: يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)، ويقول تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، ويقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا

وهنا دلالة واضحة على أن الأحكام والمعاملات هي منبثقة عن التقوى التي أمر بها الله عز وجل كما في قوله ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ ثم ختم الآية بقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لتكون واضحة الدلالة على أن التقوى هي الأمر المراد من سائر الأحكام.

فقد بشر الله المتقين بالاطمئنان في حياتهم إذا اتقوا: يقول تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٥-١٢٦)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

فهذا الكم من الآيات يبين أن للتقوى ثمارها النافعة على الصحة النفسية، وتقويم السلوكيات البشرية، وقد أقر بذالك أهل الاختصاص فمن الأسس التي تعين الإنسان على تحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية السليمة التقوى التي تعتبر عامل الوقاية الأساس من القلق والاضطرابات النفسية وتسهل وصول الإنسان إلى الهدوء والاستقرار والطمأنينة النفسية، ذلك لأنها تحدد له اتجاهين أساسيين في حياته أحدهما اتجاه يهتم بالبعد عما نهى الله -تعالى- عنه، واتجاه يدعو إلى تقوية النفس بالإقبال على ممارسة أوامر الله وتنفيذها على خير وجه [١].فهذه الآيات، وهذه الشهادات من العلماء المختصين ذات دلالة ظاهرة على أثر التقوى في الإعجاز النفسي.

ب-الاستقامة:

وهي لزوم الإنسان للمنهج السليم [٢].

والمسلم الذي يلتزم بأمر ربه ويجتنب نواهيه سيحيا حياة طيبة خالية من المنغصات والشوائب الدينية، فهو صاحب هم واحد، هو هم الآخرة، وعنده الدنيا ليست بالشيء الثمين الذي يؤسف عليه، لذلك تراه مطمئن النفس مرتاح البال، وإن الباحث في كتب التراث الإسلامي يجد عدداً من العوامل والأسس التي يمكن أن تسهم في تحقيق قدر كبير من الصحة النفسية السليمة

إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ويقول تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن: ١٦)، ويقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١).

(1) انظر، إسماعيل، ، أسس الصحة النفسية، ص١٠١، وعدس، من خصائص النفس البشرية في القرآن الكريم، ص٤٧.

(2) الراغب، المفردات، ص٤١٩.

للإنسان ومن أهمها الاستقامة.

ومن الآيات القرآنية التي تحض على الالتزام بهذه الصفة الحميدة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠)، فالذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له و استقاموا على التوحيد ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، قد بشرهم الله عز وجل بالجنة في الآخرة والولاية بالدنيا، ومعنى الاستقامة في هذه الآية : إخلاص العمل لله [(١)].

وهذا بيان لعظيم أجر الاستقامة ومدح أهلها فمن الذي يملك أن ترافقه الملائكة ويبشر بالجنان التي وعد الله بها كما في هذه الآية لأصحاب الاستقامة، ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت: ٦)، ويقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ (الجــن: ١٦)، فلو آمن الخلق كلهم أجمعون الجن والإنس جميعاً لأسقاهم الله عز وجل ماءً غدقاً ولوسع عليهم في الدنيا وضرب المثل بالماء لأن غالب الخير في الرزق والمطر[(٢)].

والآية تبين أيضا بأسلوب مشوق بعضاً من ثمار الاستقامة، ألا وهو الرزق الذي به سعادة النفس، فعندما نقرأ مثل هذه الآيات تطمئن نفوسنا وترتاح قلوبنا وأرواحنا، وهذا محط الإعجاز النفسي الذي سعى القرآن لإيجاده.

ج- التوكل:

إن التوكل على الله من الأمور التي تساعد الإنسان على أن يعيش مطمئن النفس مرتاح البال، ومعناه الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله، وإن لم تأخذ بالأسباب كان ذلك تواكلاً وهو مما ذمه الإسلام والقرآن.

والتوكل الذي يحقق الأمن والاطمئنان للإنسان هو التوكل على أساس صحة التوحيد، أي الإيمان بالله الواحد الأحد والالتزام بمنهجه، والأخذ بالأسباب والاعتماد على المسبب لا الأسباب، بحيث يشوب قلب الإنسان شائبة أو يصاب بما يحدث العلق في نفسه، ليتحول الإنسان على الأسباب لا على المسبب بل يجب أن يكون اليقين على الله وحسن الظن به سبحانه وتعالى [(٣)].

---

(1)الشوكاني، فتح القدير، ٤ / ٧٣٣، "بتصرف".

(2) انظر، الوجيز للواحدي، ١ / ١١٤١ .

(3) للمزيد انظر،إسماعيل، أسس الصحة النفسية، ص١١٥.

أما الآيات التي تدعو إلى التوكل فمنها:

قوله تعالى﴿: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٢)، ويقول تعالى﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣)، ويقول تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: ٢)، فمن أهم صفات المؤمنين كما تبين الآيات السالفة أنهم على ربهم يتوكلون وإليه يفوضون أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه[(١)].

فمجموع هذه الآيات يبين أن التوكل على الله هو اطّراد الرشاد والسلوك القويم لمن سعى للنجاة في الدنيا والآخرة وبذلك تطمئن نفس المؤمن وتصبح آمنة على رزقها وعلى أقدارها وقد أعطت هذه الآيات من الإعجاز النفسي الشيء الكثير لمن يلتزم بها ويعمل بمضمونها.

د- التوبة:

وهي من الفعل تاب، وتدل على أصل واحد وهو الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه [(٢)]. وإن التوبة هي أحد العوامل التي تساعد على الطمأنينة والسكينة للنفس البشرية ومن ثم الهدوء والاستقرار الوجداني بأكمله، وجاء القرآن مدعماً لهذا المبدأ وداعياً إليه في كثير من الآيات القرآنية.

يقول تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢) ، فقد أمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالثبات والدوام على الاستقامة وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن

---

(1)البغوي، معالم التنزيل، ٣٢٦/١، "بتصرف".

ومن الآيات الأخرى يقول تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق: ٣)، و يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤)، ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ٨١)، ويقول تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢).

(2) ابن فارس، المقاييس، ١٧٤.

الطغيان وهو البغي فإنه مصرعه حتى ولو كان على مشرك وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء[1].

ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، فبعد عرض عدد من الأحكام الشرعية في هذه الآية التي تختص بالأخلاقيات والآداب يأمر الله عز وجل المؤمنين بالتوبة والإنابة والرجوع إليه عز وجل لأنه سبيل الفلاح.

يقول ابن عاشور: " أعقبت الأوامر والنواهي الموجهة إلى المؤمنين بأمر جميعهم بالتوبة إلى الله إيماءً إلى أن فيما أمروا به ونهوا عنه دفاعاً لداع تدعو إليه الجبلة البشرية من الاستحسان والشهوة، فيصدر ذلك من الإنسان عن غفلة ثم يتغلغل هو فيه فأمروا بالتوبة ليحاسبوا أنفسهم على ما يفلت منهم من ذلك اللمم المؤدي إلى ما هو أعظم"[2].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥).لقد بين الله عز وجل أنه واسع المغفرة لعباده العاصين وأرشدهم إلى عدم القنوط والمبادرة والإسراع إلى التوبة حيث أنه يغفر الذنوب جميعاً، كيف وإن علمنا أن الله عز وجل يكون شديد الفرح بتوبة عبده وإنابته إليه بعد أن كان عاصياً، ففي الحديث: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم . (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة)[3].

فقد شرع الله تعالى التوبة للإنسان حتى يفتح المجال للذي انحرف، لأننا إذا تصورنا أن

---

(1) انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٦٠٦ .

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ١٨/ ٢١٤ .

(3) مسلم ، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة، رقم ٢٧٤٧ (سقط على بعيره) صادفه من غير قصد، (أضله) أضاعه، (فلاة) صحراء.

الإنسان قد عصى الله ثم لم يجد باباً مفتوحاً للتوبة، فلابد أن الكون سيمتلئ بالانحلال والانحراف والطغيان والجبروت، فحين شرع التوبة، إنما يريد أن يجعل للإنسان العذر في الغفلة أو النسيان أو الضعف الممتزج بطبيعة البشرية، ولكن ذلك لا يعني أن يتمادى الإنسان في المعصية[١].

ومعلوم أن اعتراف المؤمن بذنبه يلعب دوراً رئيسياً في تمتعه بالصحة النفسية والعقلية، ويساعد هذا الاعتراف الطبيب النفسي على تحقيق شفاء المريض، وحتى إذا حاول الإنسان شعورياً أو لا شعورياً نسيان ذنوبه فإنها لا تموت، وإنما تكبت في اللاشعور وتظل الأفكار المكبوتة في اللاشعور، حية تتصارع مع غيرها من الأفكار والقيم حتى يؤدي بالإنسان إلى الشعور بالقلق، ومن ثم إصابته بالأمراض النفسية أو العقلية، ويبرز أحد علماء النفس المعاصرين هذه القيمة العلاجية لأثر التوبة في النفس البشرية المريضة بقوله: "إن شعور النفس بالإثم والخطيئة يجعلها في اضطراب و قلق ودوامة من الخطر، يهدد أمنها واطمئنانها، ويعتبر هذا الشعور من أسوأ ما تبتلى به النفس البشرية، ويقول في ذلك الشاعر الألماني (شلير) في مسرحيته (عروس مينا): "لا يمكن أن تكون الحياة أغلى ما يمتلكه الإنسان طالما تسيطر عليه مشاعر الإثم" [٢].

ومن شروط التوبة الصحيحة العزم على أن لا يعود في المستقبل إلى تلك الذنوب، ولا إلى أماكنها ويعزم على ذلك عزماً مؤكداً [٣]. ويضاف إلى ذلك رد الحقوق إلى أصحابها إذا كان الذنب متعلقاً بحقوق.

---

(1) انظر، الشعراوي، محمد متولي، مقالة: من فيض الرحمن في تربية الإنسان، ص١٠٥-١٠٧، إدارة شؤون المعنوية فرع الشؤون الدينية، العدد ٦١٧/٤٢م

(2)العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والعلاج النفسي، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي، ط١٩٨٦/١م، ص١٧٨-١٨٧، "بتصرف" وإسماعيل، أسس الصحة النفسية، ص١١.

(3) ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٩ هـ)، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، دار الفيحاء، عمان، الأردن، دار عمار، عمان الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص٣٢١، وانظر الغزالي، الإحياء، ٥٠٢/٣ .

المطلب الثاني: تقرير القرآن الكريم مسائل عقدية في النفس الإنسانية:

أولاً: القرآن يبين أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة [١]:

لقد بين الله عز وجل أن النفس الإنسانية هي نفس واحدة وأن الذكر والأنثى مخلوقان منها، وهذا له أثر عظيم في وحدة البشر وعدم تعاليهم على بعضهم، حيث إن أصل الخلقة واحد، والمنشأ واحد، والنهاية واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

لقد كشفت هذه الآية عن حقيقة النفس الإنسانية لجميع البشر، وأنهم مخلوقون من نفس واحدة، وهي نفس أبينا آدم، وأن الناس متساوون في جميع حقوقهم وما يترتب على ذلك من أمور، حيث إنه لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى وهذا لا يتعارض مع طبيعة كل منهم، سواءً كانت الأمور الجسمية أو العقلية، فالرجل ليس كالمرأة في طبيعته وعمله وتفكيره وحزمه، وإنما أرادت الآيات شيئاً أعظم وهو أصل الخِلقة والتكليف، وبذلك يتحقق الإعجاز النفسي حيث التساوي بالتكليف والحساب والميزان.

ولو تذكر الناس هذه الحقيقة لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة التي نشأت في حياتهم متأخرة، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة ومزقت وشائج الرحم الواحدة، وكلها ملابسات طارئة ما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم وحقها في الرعاية وصلة النفس وحقها في المودة وصلة الربوبية وحقها في التقوى واستقرار.

"هذه الحقيقة كانت كفيلةً باستبعاد الصراع العنصري الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت، وما تزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة ؛ والذي ما تزال الجاهلية الحديثة تعتبره قاعدة فلسفتها المذهبية ونقطة انطلاقها إلى تحطيم الطبقات كلها لتسويد طبقة واحدة ناسية النفس الواحدة التي انبثق منها الجميع والربوبية الواحدة التي يرجع إليها الجميع" [٢].

والحقيقة الأخرى التي تضمنتها الآية الإشارة إلى أن البشر مخلوقون من نفس واحدة خلق منها زوجها، وهذه الحقيقة كفيلة لو أدركتها البشرية أن توفر عليها تلك الأخطاء الأليمة التي تردت فيها وهي تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة وتراها منبع الرجس والنجاسة

---

(1) الخالدي، إعجاز القرآن البياني، ص٤٨٥.

(2) سيد قطب، الظلال، ٥٧٤/١.

وأصل الشر والبلاء وهي من النفس الأولى فطرة وطبعاً خلقها الله لتكون لها زوجاً وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، فلا فارق في الأصل والفطرة، إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة، والتوكل الذي يحقق الأمن والاطمئنان للإنسان هو التوكل على أساس صحة التوحيد، أي الإيمان بالله الواحد الأحد والالتزام بمنهجه، والأخذ بالأسباب والاعتماد على المسبب لا الأسباب.

ولقد تخبطت البشرية في هذا التيه طويلاً جردت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها فترة من الزمان تحت تأثير تصور سخيف لا أصل له فلما أن أرادت معالجة هذا الخطأ اشتطت في الضفة الأخرى وأطلقت للمرأة العنان، ونسيت أنها إنسان وشطر مكمل لشطر وأنهما ليسا فردين متماثلين إنما هما زوجان متكاملان والمنهج الرباني القويم يرد البشرية إلى هذه الحقيقة البسيطة.

ثانياً: القرآن يوضح فطرة النفس، وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد واللجوء إلى الله –تعالى-:

أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم أن النفس البشرية قد جبلت على التوحيد والإيمان بالله عز وجل واللجوء إليه في حالة الكرب والشدائد في عدد من الآيات، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم، ٣٠).

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه [١] وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ".وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٤٧.

عليهم ما أحللت لهم) "[١].

وهذا منبع التوحيد حيث أن كل فرد من البشر هو ربه وخالقه وأنه المعبود الحق، لكن أبت بعض النفوس إلا أن تشذ عن الفطرة السليمة وتضل الطريق بعد إذ هداها الله عز وجل، لكن القرآن الكريم يعود ليؤكد حقيقة الهداية وحقيقة التوحيد الذي ضل عنه كثير من الناس، وهذا من عظيم إعجاز القرآن الكريم، فمن من مقدوره أن يعرف مثل هذه المعلومات لو لم يخبر بها الله عز وجل كما أن هذه الآيات وأمثالها لها عظيم الأثر على سكون النفس الإنسانية التي تطمئن لمعتقدها وما تتبناه من أفكار حقة وصواب.

ثالثاً: القرآن يبين أن الله مطلع على أسرار النفس الإنسانية:

إن الله عز وجل يعلم السر وأخفى، وهو مطلع على كل ما في النفس من خفايا، فقد سبر غورها وبين خفاياها وفضح عيوبها في كتابه العزيز حتى ينيب المسلم إليه فلا يضمر ولا ينوي إلا خيراً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)،فالله يعلم ما يحدث الإنسان به نفسه وهو ما يخطر بالبال، والوسوسة الصوت الخفي ومنه الوسواس الخفي[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك: ١٣).يخاطب الله كفار قريش إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو جهرتم به فإنه عليم بذات الصدور و بما في القلوب من الخير والشر، عن ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ يعني: أسروا قولكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: في سائر الأقوال أو اجهروا به أعلنوه ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المرأة وهو جنين في بطنها[٣].

وهنا تتجلى عظمة الإعجاز النفسي حيث لا مجال للمداهنة والإخفاء لأن الله يعلم جميع

---

(1) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم ١٣١٩.ومسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة في الدنيا، رقم٢٨٦٥.

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٨ / ١٢٨، "بتصرف".

(3) انظر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ١٨ / ١٨٨، ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى:٢٠).

الأقوال والأفعال والنوايا دون مغادرة شيء منها، وبذلك يقوم المسلم نفسه ويصحح اعوجاجه فلا ينوي إلا خيراً ولا يعزم إلا على حق.

رابعاً: القرآن يبين أن الله يدعو الإنسان للتأمل في النفس ومكنوناتها:

يأمر الله عز وجل الإنسان بالتفكر في الكثير من آيات القرآن الكريم، ولكن في هذه الآية دعوة للتفكر بالنفس التي هي ذات الإنسان وحقيقته، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١)، فيبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أن النفس في خفاياها وعمقها ومكنوناتها مدعاة للتأمل والتفكر، فهي من عجيب خلق الله عز وجل، وهي سبيل للإنابة له جل في علاه، فعندما يجول الإنسان في نفسه لا يملك إلا العجز والتسليم لخالق هذه النفس العظيمة، هذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسراره الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان وحين يحرم نعمة اليقين.

"إنه عجيبة في تكوينه الجسماني، في أسرار هذا الجسد عجيبة في تكوينه الروحي في أسرار هذه النفس، وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه، وهو يمثل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر، وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير تكوين أعضائه وتوزيع وظائفها وطريقة أدائها ومن هذه الوظائف عملية الهضم والامتصاص عملية التنفس والاحتراق، ودورة الدم في القلب والعروق في الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم، والغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه، تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها وتجاوبها الكامل الدقيق.."[١]. وكل عجيبة من هذه تنطوي تحتها عجائب وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب فهذا من عظيم خلق الله فتبارك الله الخلاق العظيم.

خامساً: القرآن يبين طبيعة خلق النفس الإنسانية وأنها من طين وروح [٢]:

أخبر الله عز وجل في القرآن الكريم أن أصل الخلقة للناس أجمعين من طين وتراب وأن مردهم إلى التراب الذي خلقوا منه، فليس لأحد أن يعرف مثل هذه المعلومات عن النفس الإنسانية لولا إخبار الله عز وجل، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ

---

(1) سيد قطب، الظلال، ٣٣٧٩/٦.

(2) انظر قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ١٩٦٧م، باب: طبيعة الخلق الإنسانية (المزدوجة).

طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص، الآيات: ٧١-٧٢). أي خالق فيما سيأتي من الزمن بشراً: أي جسماً من جنس البشر، مأخوذ من مباشرته للأرض أو من كونه بادي البشرة[١].

فحين يعلم الإنسان أن أصله التراب وأن مرده إليه يعرف حقيقة ضعفه، وينيب إلى ربه ويستغفره ويسترجع ويتوب، وبذلك تتضح الطمأنينة النفسية وتسود في المجتمع كما أرادها الله عز وجل حيث لا تكبر لمن مرجعه إلى التراب.

سادساً: القرآن يبين ازدواجية الاستعداد في النفس الإنسانية:

إن من تمام عدل الله عز وجل أن جعل للإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر والشكر والكفر، وبذلك يكون مسؤولاً عن نفسه وما يترتب على ذلك من تبعات، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس، الآيات: ٧-١٠).فالله خلق النفوس سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ ثم أرشدها إلى فجورها وتقواها وبين لها الخير والشر وهداها إلى ما قدر لها [٢].

وعندما يعلم الإنسان أنه مخير في الخير والشر، والطاعة والمعصية، يصبح مدركاً أن كل ما يعمل ويقول سوف يكون مسؤولاً عنه؛ فيبذل قصارى جهده في الطاعات، طلباً لمرضاة الله تعالى ويبتعد عن كل المعاصي، حتى يكون من الناجين في يوم الفوز العظيم.

سابعاً: القرآن يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول:

لقد أبرز القرآن الكريم في العديد من آياته أموراً نفسية تخالف الظاهر من القول، ومن ذلك حديثه عن فعل الرسول ﷺ عندما أمر زيداً أن يمسك زوجه[٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب: ٣٧). نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وقال عمر و ابن مسعود وعائشة والحسن: ما أنزل

---

(1) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٤ / ٦٣٢ .

(2)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٦٦٥، "بتصرف".

(3) أشرنا لهذا النموذج فيما سبق وسنجلي هنا جانباً آخراً وهو مخالفة الظاهر

الله على رسوله آية أشد عليه من هذه الآية وقال الحسن وعائشة: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه [1]، وجاء زيد مرة بعد مرة يشكو إلى رسول الله ﷺ اضطراب حياته مع زينب ؛ وعدم استطاعته المضي معها والرسول صلوات الله وسلامه عليه على شجاعته في مواجهة قومه في أمر العقيدة دون لجلجة ولا خشية يحس ثقل التبعة فيما ألهمه الله من أمر زينب ؛ ويتردد في مواجهة القوم بتحطيم ذلك التقليد العميق ؛ فيقول لزيد الذي أنعم الله عليه بالإسلام وبالقرب من رسوله وبحب الرسول له ذلك الحب الذي يتقدم به في قلبه على كل أحد بلا استثناء والذي أنعم عليه الرسول بالعتق والتربية والحب يقول له أمسك عليك زوجك واتق الله ويؤخر بهذا مواجهة الأمر العظيم الذي يتردد في الخروج به على الناس كما قال الله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وهذا الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه وهو يعلم أن الله مبديه، هو ما ألهمه الله أن سيفعله ولم يكن أمراً صريحاً من الله و إلا ما تردد فيه ولا أخره، ولا حاول تأجيله، ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه ولكنه ﷺ كان أمام إلهام يجده في نفسه ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ومواجهة الناس به حتى أذن الله بكونه فطلق زيد زوجه في النهاية وهو لا يفكر فيما سيكون بعد لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن لمحمد لا تحل له حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها، ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الأدعياء، إنما كان حادث زواج النبي بها فيما بعد هو الذي قرر هذه القاعدة بعدما قوبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة والاستنكار، إنما كان الأمر كما قال الله تعالى ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا﴾ [2].

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على خفايا في نفس الرسول ﷺ مخالفة لظاهر قوله وليس في ذلك مذمة حيث إنه أراد تطبيق أمر الله عز وجل في بيان حكم تحريم التبني، وخشيته للناس كانت من باب الخوف من اللوم والعتاب في تطبيق ما أراد الله، ومع ذلك جاء القرآن الكريم مبيناً لما أخفاه الرسول ﷺ وهذا من تمام الأعجاز القرآني حتى يقوم المسلم نفسه ويجعل باطنه تبعاً لأمر الله تعالى.

---

(1) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب، برقم ٤٥٠٩ و٤٥١٣.

(2) وفي هذا التفسير ما يهدم كل الروايات التي رويت عن هذا الحادث ؛ والتي تشبث بها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات، انظر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ١٦٦/١٤، وسيد قطب، الظلال، ٢٨٦٨/٥.

ثامناً: القرآن الكريم يصحح المعتقدات:

لقد جاء القرآن الكريم مصححاً للعديد من الأفكار التي تجول في نفس المؤمن وخاطره وهذا من باب التصويب النفسي والفكري الذي حرص القرآن الكريم عليه في العديد من آياته ومن هذه الآيات، قوله تعالى﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (لأنفال: ١٧).أي فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به، وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فأضاف الرمي إلى نبي الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله [١].

ويقول تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾(النور: ١٥) وقرئ تألقونه من الولق والإلق وهو الكذب أي تتبعونه، وتقولون بأفواهكم قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب، كقوله تعالى ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ وتحسبونه هيناً وسهلاً لا تبع له و ليس له كثير عقوبة وهو عند الله عز وجل عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب فلو أنكم إذ سمعتموه من المشايعين قلتم تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه، ما يكون لنا ما يمكننا أن نتكلم بهذا، وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه!! [٢].

ولقد أبرز القرآن الكريم في العديد من آياته ما يضمره المنافقون، وفضح أمرهم مبيناً ما يجول في خواطرهم، وسنبين ذلك بالنقاط القادمة:

تاسعاً: القرآن يخبر عما قال المنافقون:

أبرز القرآن الكريم في بعض من آياته اعتذارات المنافقين الكاذبة وفضح ما في نفوسهم من خواطر، ومحال على أحد أن يعرف بمثل هذه المعتقدات لولا أن الله عز وجل قد أخبر بها

---

(1) انظر الطبري، جامع البيان ، ٦ / ٢٠٢ .

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦ / ١٦٢، "بتصرف".

في كتابه العزيز وهذا من تمام إعجاز القرآن الكريم وإليك بعضاً من هذه الأمثلة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٤-١٥).

فإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: آمنا وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة نفاقاً منهم للمؤمنين ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم[١].

لقد فضحت هذه الآية سريرة المنافقين، وبينت كيف أنهم يسرون الكفر والنفاق ويظهرون الإيمان ومحبة المسلمين، وكانوا إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وإذا خلوا إلى أوليائهم ومن هم على شاكلتهم من أصحاب الكفر والنفاق ويعترفون بحقيقة ما في نفوسهم من كفر ونفاق، وهذا من إعجاز القرآن الكريم في إخباره بحقيقة أقوال المنافقين وصفاتهم.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤). هذه من جملة ما فضحته هذه السورة من دخائلهم ومطاوي نفوسهم، فالمنافقون لسوء ما يضمرونه للمسلمين من العداوة، لا يزالون يتوجسون خيفة من أن ينكشف أمرهم عند المسلمين، فهم في خوف وهلع إذا سمعوا صيحة في خصومة أو أنشدت ضالة خشوا أن يكون ذلك غارة من المسلمين عليهم للإيقاع بهم، ولفظة (كل) بمعنى الأكثر لأنهم إنما يتوجسون خوفاً من صيحات لا يعلمون أسبابها [٢]، فهذه الآية تبين مدى الرعب في نفوس المنافقين عند سماع أي صوت ظناً أنهم هم المقصودون من هذا الصوت، لأن حقيقة أنفسهم الكفر الذي يقتضي الخوف والعقاب، وهذا فضح من القرآن الكريم لنفوس المنافقين وأحوالهم .

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ٤٢). يخاطب الله عز وجل رسوله ﷺ فاضحاً ما يجول في نفوس المنافقين من تفكير، فلو كان من وراء الجهاد معه ﷺ مغنماً سهل المأخذ قريب المنال وأصل العرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها، وسفراً متوسطاً بين القرب والبعد لوافقوك في النفير طمعاً في الفوز بالغنيمة[٣]، ولقد بينت هذه الآية حقيقة تفكير المنافقين وضوابط قياسهم للأمور، حيث أن ضابط القتال عندهم

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٨٠.

(2)انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ٢٤١.

(3)للمزيد انظر الألوسي، روح المعاني، ١٠ / ١٠٦ .

اليسر والسهولة والمغنم والكسب لا رضا الله والفوز بالجنة، وهذا من إعجاز القرآن في بيان كيفية تفكير المنافقين في نفوسهم .

ففي هذه الأمثلة بين الله عز وجل حقيقة ما يخفي المنافقون في نفوسهم وفيما بينهم فإذا لقوا المؤمنين يظهرون الإيمان وإذا خلوا فيما بينهم أظهروا ما في سرائرهم وهذا من تمام إعجاز القرآن عما في نفوس المنافقين .

وقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِ﴾ (التوبة: ٩٥-٩٦)، إن هؤلاء المعتذرين بالباطل سيؤكدون ما جاءوا به من الأعذار الباطلة بالحلف، عند رجوع المؤمنين إليهم من الغزو، وغرضهم من هذا التأكيد هو أن يعرض المؤمنون عنهم فلا يوبخونهم ولا يؤاخذونهم بالتخلف ويظهرون الرضا عنهم، كما يفيده ذكر الرضا من بعد وحذف المحلوف عليه لكون الكلام يدل عليه، وهو اعتذارهم الباطل وأمر المؤمنين بالإعراض عنهم المراد به تركهم والمهاجرة لهم لا الرضا عنهم والصفح عن ذنوبهم [١].

ففي هذا المثال بين الله عز وجل حجج المنافقين الباطلة، في عدم خروجهم للجهاد وأن هذه الحجج ليست من الصواب بشيء ووجه الله رسوله للإعراض عنهم وعدم الاستغفار لهم حيث إنهم رجس لا يستحقون المغفرة.

ويقول تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)

وهنا نموذج آخر من أحقاد الكافرين النفسية على المؤمنين حيث إن عبد الله بن أبي بن سلول يظهر حبه واتباعه للرسول ﷺ ويخفي في نفسه الحقد والحسد ولكن الله عز وجل فضح أمره وأخبر الرسول ﷺ بهذه الأقاويل بل ويؤكد أن حقيقة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون، وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه، ففي الحديث أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر

---

(1)الشوكاني، فتح القدير، ٢ / ٥٧٤، "بتصرف".

فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"[١].

وهذا نموذج آخر في بيان أحقاد المنافقين على الإسلام ورسوله ﷺ قد كشفها القرآن الكريم .

عاشراً: القرآن يكشف أحقاد أهل الكتاب ضد المسلمين:

لم يكتف القرآن الكريم بعرض أحقاد المنافقين فحسب بل أضاف إلى ذلك أمر آخر وهو الإخبار عما يجول في نفوس أهل الكتاب وما يتآمرون به وما يخفونه من حقد على الإسلام ونبيه وهذا من تمام الإعجاز النفسي الذي حظي به المسلمون في القرآن الكريم ومن الأمثلة على هذا المكر والتآمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٤١).

فالآيات توحي بمعناها بأنها مما نزل في السنوات الأولى للهجرة ؛ حيث كان اليهود ما يزالون بالمدينة أي قبل غزوة الأحزاب على الأقل وقبل التنكيل ببني قريظة إن لم يكن قبل ذلك أيام أن كان هناك بنو النضير وبنو قينقاع وأولاهما أجليت بعد أحد والثانية أجليت قبلها ففي هذه الفترة كان اليهود يقومون بمناوراتهم هذه ؛ وإن المنافقين يأرزون إليهم كما تأرز الحية إلى الجحر وكان هؤلاء وهؤلاء يسارعون في الكفر [٢].

فمثل هذه الآيات يدل دلالة جلية على أعذار الكافرين من أهل الكتاب الكاذبة، وأنهم إن أظهروا الإيمان بألسنتهم فإن نفوسهم رافضة له ولمضمونه، وقال تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (المائدة: ٨٢).وهذه جملة مستأنفة مسوقة

---

(1) أصل الحديث موجود في البخاري ومسلم والترمذي، ولكن قدوم عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لرسول الله ﷺ وخبر ما جرى بينهم ليس موجوداً فيها فأكتفي بذكر بعض كتب التفسير التي ذكرته انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤ / ٤٧٣، والبغوي، تفسير البغوي، ١٣٠/١، والطبري، جامع البيان، ١٠٥/١٢، والعلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، ط٥، ٢٠٠٠م، ص٣٤٠.

(2) انظر، سيد، الظلال، ٨٨٩/٢.

لتقرير قبائح اليهود، وعراقتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين، أكدت بالتوكيد القسمي؛ إعتناء ببيان تحقق مضمونها، والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد صالح له إيذاناً بأن حالهم مما لا يخفى على أحد من الناس والوجدان متعد إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود والذين أشركوا، والمقصود بيان كون أي الطائفتين أشد الناس عداوة للمؤمنين[١].

وهذا نموذج آخر من أحقاد أهل الكتاب ضد الرسول ﷺوالمؤمنين حيث وصفهم عز وجل بأشد الناس عداوة، وهذا غوص في أعماق نفوسهم، وإبراز لمكنوناتها، وإفشاء لأسرارهم التي كانوا يأتمرون بها.

---

(1) انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ / ٧١ .

الفصل الثالث

الإعجاز النفسي في أحكام الشريعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز النفسي في العبادات.

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب والعقوبات.

المبحث الأول: الإعجاز النفسي في العبادات:

وفيه سبعة مطالب: -

المطلب الأول: الصلاة.

المطلب الثاني: الدعاء.

المطلب الثالث: الصوم.

المطلب الرابع: الزكاة.

المطلب الخامس: الحج.

المطلب السادس: الصبر.

المطلب السابع: الذكر.

المطلب الأول: الصلاة:

إن للعبادات في الإسلام الأثر الواضح في تهذيب نفس الإنسان وتقويم اعوجاجه كما لها الأثر الواضح على الطمأنينة والسكون والأمن النفسي.

فيتناول هذا المبحث الحديث عن نماذج من عبادات إسلامية لها ملامح في الإعجاز النفسي والعلاج النفسي، حيث لا يكفي لشفاء المريض أن يعرف حقيقة مشكلاته وأن تتغير أفكاره عنها وتتغير نظرته للحياة، بل من الضروري أيضاً أن يمر المريض النفسي بخبرات جديدة في الحياة يطبق فيها أفكاره الجديدة عن نفسه وعن الناس وأن يرى بنفسه كيف أن سلوكه الجديد قد حقق نجاحاً في علاقاته الإنسانية[١].

ومعلوم أن الصلاة تكون مسبوقة بالوضوء، وعلاوة على أن الوضوء استعداد للصلاة فهو ليس فقط لتطهير الجسم مما علق به من الأوساخ والأدران، وإنما هو أيضاً تطهير للنفس من أدرانها، فالوضوء إذا ما تم كما ينبغي يشعر المؤمن بالنظافة البدنية والنفسية معاً، ويشعر بأنه يتطهر من أدران أخطائه وذنوبه، وإن هذا الشعور بالطهارة البدنية والنفسية يهيئ الإنسان للاتصال الروحي بالله تعالى، والدخول في حالة استرخاء جسمي ونفسي أثناء الصلاة.

أما الآيات القرآنية التي تدعو إلى الصلاة وإقامتها وتأمر بها وتمدح المصلين وتذم التاركين والمتأخرين عنها فهي كثيرة جداً منها: يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين والمساكين وأما قوله ﴿وهم راكعون﴾ "فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى "[٢].

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة لمن تكون ولاية الله عز وجل، وأول شرط من شروط هذه الولاية إقامة الصلاة، والمقصود الإتيان بها بجميع أركانها وشروطها، لا مجرد الأداء

---

(1) انظر مرسي، د.سعيد عبد المجيد، الإيمان والصحة النفسية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٢٠٠.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٩٧ .

الشكلي، لما يترتب على ذلك من آثار نفسية وصحية، وهذا من تمام إعجاز القرآن الكريم في عباداته.

و يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤)، ويقول تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠)، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ (مريم: ٣١)، ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة و المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها [١].

فالصلاة يجب أن تقام بأركانها وشروطها حتى تؤدي هذه الصلاة في نفس الإنسان السكينة والطمأنينة التي أرادها الله منها.

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طـه: ١٣٢)، ففي هذه الآية يخاطب الله رسوله ﷺ فأمر قومك ومن كان على دينك بالصلاة، واصبر عليها فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر [٢].

فالصلاة عندما تقام صحيحة فإنها تعلم النفس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإضافة إلى أن لصلاة الجماعة الأثر النفسي كما يشيع حاجاته إلى الانتماء الاجتماعي مما يؤدي إلى الوقاية من القلق والشعور بالوحدة والعزلة.

فمجموع هذه الآيات تدل على أن الصلاة ذات أثر نفسي يعود بالطمأنينة وراحة البال على القائم بها، ناهيك ما عرف من آثار صحية مترتبة على القيام بها، يدخل في هذا الجانب ما يتعلق بصلاة الخوف ذات الإعجاز النفسي الظاهر، فالمسلمون حتى في حال الحرب يتمسكون بالصلاة، لما لها من أثر في سكون نفوسهم، وطمأنة قلوبهم، وهذا من عظيم تشريع القرآن الكريم لعباداته.

ومعلوم أن الصلاة هي عمود الدين ومن أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، وهي أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة، ولهذه الصلاة أهمية كبرى في حياة المسلمين لما تحدثه في النفس من طمأنينة وراحة في البال والبدن، وقد شهد علماء الغرب بأهمية الصلاة فضلاً عن علماء الإسلام، ومن علماء الغرب الذين شهدوا بأهمية الصلاة، الطبيب توماس هاسلوب إذ يقول: "إن أهم مقومات التوجه التي عرفتها من خلال سنين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب

---

(1) الطبري، جامع البيان، ٨ / ٣٣٨ .

(2) البغوي، معالم التنزيل، ٣٠٤/١ .

هي الصلاة، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيباً، إن الصلاة أهم أداة عرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب" [١].

وهذه شهادة من عالم غربي تخبرنا عن أهمية الصلاة وما تحققه من طمأنينة وكيف بعلماء المسلمين الذين يمارسون الصلاة كل يوم خمس مرات حيث يشعرون بالطمأنينة وهدوء البال وراحة العقل ! لأن الصلاة تبعد الإنسان عن التفكير في أي شيء سوى الصلاة .

إن هذا الإعراض التام عن المشكلات الحياتية وهمومها وعدم التفكير فيها أثناء الصلاة ووقوف العبد أمام ربه في خشوع تام من شأنه أن يبعث في الإنسان الاسترخاء التام وهدوء النفس وراحة العقل [٢].

ومن علماء الغرب الذين شهدوا بفضل الصلاة وأهميتها وما تحدثه هذه الصلاة من نشاط وراحة الطبيب الفرنسي الكسيس كاريل حيث لاحظ هذا الطبيب: "أن الصلاة تحدث نشاطاً روحياً معيناً يمكن أن يؤدي إلى الشفاء السريع لبعض المرضى في أماكن الحج والعبادات" [٣].

وعلماء الغرب يؤيدون قول علمائهم السابقين بالقول بأهمية الصلاة، ومن الذين رددوا القول بأهمية الصلاة سيرل بيرت، عالم النفس الإنجليزي، فقد أكد فيما بعد رأي وليم جميس في تأثير الصلاة فقال: "إننا بالصلاة نستطيع أن نلج باب ذخائر كبير من النشاط العقلي لا نستطيع إليها وصولاً في الظروف العادية ولقد كانت هذه فكرة واحد من أشهر علماء النفس "[٤].

والصلاة في حياة المسلم تؤدي أهميتها لأنها تحرك أعضاء الجسم فتجعل الإنسان نشيطاً وحركات الصلاة تعود الجسم على ممارسة الرياضة وعلى تغيير عاداته وسلوكياته يقول سيد مرسي: "وقد اتبع القرآن الكريم في منهجه وتربيته لشخصيات الناس وفي تغيير سلوكهم أسلوب الممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغرسها في نفوسهم، ولذلك فرض الله تعالى العبادات المختلفة: الصلاة، والصيام، والزكاة، ... [٥].

ويشير اسم الصلاة أن فيها صلة بين الإنسان وربه، ففي الصلاة يقف الإنسان في خشوع

---

(1) ديل كارينجي، دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة عبد المنعم الزيّاد، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٦م، ص٣٥٩، ٣٦٠.

(2) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط١٩٨٥/٣م، ص٢٦٤.

(3) الكسسيس كارل، الإنسان ذلك المجهول، ط٣، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٠م، ص١٧٠.

(4) سيرل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة: سمير عبده، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، د.ت ط٢١.

(5) مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠٠.

وتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق الكون كله الذي بيده الحياة والموت، والموزع للأرزاق بين الناس مما يمد الإنسان بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان والأمن النفسي.

والصلاة تعطي صاحبها هيبة وشخصية قوية لمؤديها لأنها تزيد من تحمله للمسؤولية وقد اعترف بهذا الكلام العالم الغربي هنري لنك حيث يقول: "إن كل من يعتنق ديناً أو يتردد على دار عبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له أو لا يزاول أي عبادة" [١].

ومعلوم أنه يدخل في أداء الصلاة كل أعضاء الجسم، والصلاة تحدث في هذه الأعضاء الخشوع التام وتحدث أثراً في كل عضو، يقول محمد شريف: "فالصلاة كعبادة تشمل كياننا البشري كله في وقت واحد، تشمله وتحتويه وجدانياً وإدراكياً ونزوعياً.

وجدانياً: لأننا نصلي للوصول إلى حالة من الروحانية بأرواحنا وأنفسنا.

وإدراكياً: لأننا نصلي ولابد أن نعي وندرك ما نقوله ونردده في صلواتنا.

ونزوعياً: لأننا نتحرك في ركوعنا وسجودنا وننزع نحو القيام والسكون" [٢].

ويؤكد الكلام د.مرسي حيث يقول: "ففي الصلاة إذا ما أداها الإنسان كما ينبغي أن تؤدى، يتوجه الفرد بكل حواسه وجوارحه إلى الله تعالى، وينصرف عن التفكير في مشكلة الحياة وهمومها، وهذا من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام والهدوء النفسي وراحة العقل" [٣].

وأكد القول بتأثير الصلاة على النفس العالم الغربي ديل كارنيجي حيث يقول: "وإن وقوف الإنسان في الصلاة أمام الله تعالى في خشوع وتضرع يمده بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي والاطمئنان القلبي والأمن النفسي" [٤].

وقد استعمل بعض العلماء الصلاة علاجاً لبعض الأمراض النفسية، وذلك لما تؤديه هذه الصلاة من استرخاء للأعضاء والأعصاب، مما يخلصها من أمراض التوتر العصبي والنفسي، يقول د.مرسي: "الاسترخاء من الوسائل التي يستخدمها بعض المعالجين النفسيين المحدثين في

---

(1) لنك، هنري، العودة إلى الإيمان، دار المعارف، ص٢٦.

(2) شريف، محمد بديع، المساواة في الإسلام، سلسلة كتابك، العدد ١٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٦٧.

(3) مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠١.

(4) ديل كارينجي، دع القلق، ص٣٥٩.

علاج الأمراض النفسية، ويسمون هذا الأسلوب "بالكف المتبادل" أو "العلاج الاسترخائي"[١]. ... وتمدنا الصلاة خمس مرات في اليوم بأحسن نظام للتدريب على الاسترخاء وتعلمه، إذ تعلم الإنسان الاسترخاء فإنه يستطيع أن يتخلص من التوتر العصبي الذي تسببه ضغوط الحياة، ولقد كان رسول الله ﷺ يقول لبلال: (أرحنا بها يا بلال) [٢]. وفي الحديث (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى) [٣].

وللصلاة أقوال وأفعال، ومن أهم هذه الأقوال قراءة الفاتحة، التي فيها محض التوحيد والتوكل، ولهذه المبادئ من الأثر الواضح على النفس الإنسانية الشيء الكثير وكذلك على الروح [٤].

---

(1) مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠١.

(2) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم٤٩٨٥، قال الألباني: صحيح.

(3) رواه أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين، مذيلاً بأحكام الألباني، دار الفكر، كتاب الأدب،باب في صلاة العتمة،رقم ٤٩٨٥، قال الألباني: حديث صحيح.

(4) انظر الخراشي، ناهد عبد العال، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، دار الكتاب الحديث، ط١٩٩٩/٣م، ص١٦٦-١٧١. وشديد، محمد، منهج القرآن في التربية، دار الأرقم، بيروت، ص٢٢٥.

المطلب الثاني: الدعاء:

لغة: هو النداء ويضاف إلى الدعاء يا أو أيا ونحو ذلك [١].

وإن الدعاء من العبادات التي رغب الله عز وجل بها، بل هو العبادة كما ورد في الحديث النبوي الشريف: (الدعاء هو العبادة) [٢].

فإن الناظر في شأن الدعاء يرى أن له الأثر البارز في الأمن النفسي، حيث من خلاله يشكو المسلم همه لله عز وجل ويبوح بسره ويعلن لجوءه إلى الله عز وجل.

ومن أفضل الأوقات للدعاء حين يكون المسلم بين يدي ربه في صلاته في السجود، وبعد الصلاة مباشرة، حيث يقوم الإنسان عقب الصلاة مباشرة بالتسبيح والدعاء إلى الله -تعالى-، وهذا يساعد على استمرار حالة الاسترخاء والهدوء النفسي لفترة عقب الصلاة وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ويبث إليه ما يعانيه في حياته من مشكلات تزعجه وتقلقه، ويطلب من الخالق أن يعينه على حل مشكلاته وقضاء حاجاته، وإن مجرد تعبير الإنسان عن المشكلات التي تقلقه وهو في صلاته يؤدي إلى التخلص من القلق والمشكلات.

والإنسان عندما تكون لديه مشكلة أو سر يفضي به إلى صديقه يرتاح ضميره وباله، هذا إذا كان مع صديق، فكيف إذا كان قد أفضى بذلك والتجأ ودعا الله عز وجل فإنه حتماً سيؤدي إلى راحة البال والطمأنينة وسكون النفس.

وهو معروف بين المعالجين النفسيين أن تذكير المريض النفسي بمشكلاته وتحدثه عنها يؤدي إلى تخفيف حدة قلقه، وإذا كانت حالة الإنسان النفسية تتحسن إذا أفضى بمشكلاته لصديق يرتاح إليه أو معالج نفسي، فما بالك بمقدار التحسن الذي يمكن أن يطرأ على الإنسان إذا أفضى بمشكلاته لله سبحانه وتعالى [٣].

أما الآيات التي تأمرنا بالدعاء وتدعونا إليه وتحببنا فيه فمنها:

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). يخاطب الله عز وجل عباده بأسلوب يتغلغل في صميم النفس، فيقول ادعوني استجب لكم وأثبكم، فالدعاء بمعنى العباده كثير في القرآن ويدل عليه قوله ﴿إن

---

(1) الراغب، المفردات، ١٧٧.

(2) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم١٤٧٩.

(3) للمزيد انظر مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠٢.

الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم [١].

وهذا من عظيم ترغيب القرآن الكريم للإقبال على هذه العبادة، فإن علمت أن الله عز وجل هو الداعي لك للدعاء ومؤكد لك الإجابة، فإنك حتماً ستقبل داعياً راجياً مما يجعل نفسك مطمئنة متيقنة بإجابة هذا الدعاء.

فالدعاء فيه معنى العبادة والعبادة كما عرفنا فيها تأثير في النفس بأن تجعلها آمنة مطمئنة.

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)، ففي الآية من تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ما لا يخفى من تشريفه ورفع محلة، ثم يخطب رسوله ﷺ فيقول له: قل لهم إني قريب، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روى أن أعرابياً قال لرسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت ﴿أجيب دعوة﴾[٢].

وترك الفاصل (قل) في هذا الموضع لإبراز أهمية الدعاء، فلم يقل قل: يا محمد ﷺ إني قريب، بل أجاب مباشرة ودون واسطة، وهذا من باب ترغيب النفس للدعاء وتحبيبها به.

ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (لأعراف: ٢٩)).

وعندما يلتجئ الإنسان إلى الله بالدعاء عند الشدة فإنه سيلاحظ بعد فترة أن الهموم قد انزاحت عن صدره، لأنه اتصل بالله القادر على قضاء الحوائج مما يؤدي إلى شعور الإنسان بالأمن والبعد عن الجزع والخوف، ذلك أن دعاء الله بعكس دعاء الناس، فإن الإنسان إذا التجأ إلى إنسان مثله فإنه قد يضره بدل أن يساعده، وليس الأمر كذلك بالنسبة لله عز وجل، فإذا التجأت إلى الله فهو يبشرك بأنك قريب وسيجيب دعائك ويفرج كربك.

والطب النفسي الإسلامي يقوم على أساس اللجوء إلى الله عند الشدة، وهذه طبيعة النفس البشرية وإن في اتصال الإنسان بفاطره القوي العليم الخبير رابطة وثيقة تقود حتماً إلى الأمن

---

(1)النسفي، تفسير النسفي، ٤ / ٧٨، "بتصرف".

(2) انظر للمزيد أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١ / ٢٠٠ .

النفسي.

فإذا أفضى إلى الله بمخاوفه ووساوسه وقلقه ولجأ إليه تعالى، اطمأنت نفسه وشعر بالسكينة وبذلك يشفى من الجزع والفزع والخوف والحزن.

"وإن الاطمئنان إلى رحمة الله وعدله والإقبال على الله بالوقوف والصلاة والاستغفار والدعاء يعد من النصائح الثمينة التي إذا جربت أتت بنتائج باهرة في علاج الحزن والهم والغم والقلق والكرب وشدة المصيبة" [١].

ومن خلال ما تقدم نجد القرآن معجزاً في تأثيره في الإنسان، فهذا مجال الدعاء عندما يقول سبحانه: ﴿ادعوني استجب لكم﴾، يجد الإنسان أن له رباً قادراً على قضاء حوائجه فيلتجئ إليه بالدعاء والتضرع فلا يدعو إلا الله ولا يلتجأ إلا إليه وبذلك تطمئن نفسه ويتحقق الهدوء لباله.

ومن دعاء الأنبياء الذي بينه القرآن الكريم مثلاً، دعاء يونس في بطن الحوت، قال تعالى: ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ (الصافات:١٤٣-١٤٤)، فلولا أن كان يونس عليه السلام من الداعين المستغفرين الذاكرين لله أو المصلين له، لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم البعث وقيل للبث في بطنه حياً[٢].

وفي قصة غزوة بدر، لما رأى رسول الله ﷺ المشركين، مد يده وجعل يهتف بربه، فما زال يهتف ويدعو، حتى سقط رداؤه عن منكبه[٣]، وفي ذلك دليل على أهمية الدعاء، وضرورة الالتزام به لما له من أثر في الطمأنينة والسكون النفسي.

---

(1) انظر الشرقاوي، د٠حسن، الطب النفسي النبوي، ص١٦٩، الخراشي، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ص٣٣

(2) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٤ / ٥٨٤.

(3) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم ١٧٦٣، وللمزيد انظر البدر،عبد الرزاق بن عبد المحسن، فقه الأدعية والأذكار، دار ابن القيم، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص١٧٩.

المطلب الثالث: الصوم:

الصوم في اللغة هو الإمساك والركون إلى مكان، ومن ذلك: وصام الفرس أي موقفه [١]، وهذه العبادة التي فيها من دليل الإيمان الشيء الكثير، ومن تربية النفس الأثر الواضح مما يساعد على الاستقرار النفسي في حياة المسلم، حين يشعر مع أخيه الفقير ويحرم نفسه من لذة الأكل والشرب والشهوة لفترة فهو يشعر مع كل محروم وكل محتاج مما يحمله على الإحسان لهم ومد يد العون والمساعدة لهم، وبذلك يتحقق التكامل والأمن في المجتمع الإسلامي.

وعن الصوم من الناحية النفسية يقول د.عزت الطويل: "وبالصيام تتجدد طاقات الإنسان النفسية، وتسعى دائماً نحو الصيام ليكون حافزاً لها، ففيه تحقيق رسالتها التي من أجلها خلقت" [٢]. كما نلاحظ بأن الصوم يؤثر في النفس فيجعل الإنسان في صراع مع نفسه وشهواتها، فهو يجاهد نفسه على الصبر، وهذا يعلمنا كيف نكون صابرين على الامتناع عن الشهوات والمعاصي، كما علمنا الصبر عن الامتناع عن المباحات، وهي الأكل والشرب والجماع.

ذلك أن الصيام لا يعني فقط الإمساك عن تناول الطعام والشراب وإنما أيضاً الإمساك والامتناع عن كل فعل حرام، وعن كل قولٍ مكروه، وعن كل نية سوء، فهو صوم جامع للناس في أنفسهم وحقوقهم .. ومنه أن تصوم نفسه عن الشهوات والنزوات فيغمر الإيمان القلب وترتاح الأنفس وتطيب، فأي أمن واطمئنان ينعم به مجتمع مثل مجتمع أهل الصيام [٣].

فالصيام نوعان: صوم عن المحسوسات، وصوم عن المعنويات. فالمحسوسات مثل: الطعام والماء، والمعنويات مثل الكلام البذيء وغيره.

وعن تأثير الصوم في النفس البشرية، يقول د.محمد عثمان نجاتي: "إن استمرار تدريب النفس وضبط شهواتها والسيطرة عليها مدة شهر كل عام، لا ريب سيؤدي إلى تعليمها قوة الإرادة، وصلابة العزيمة، لا في التحكم في غرائزها فقط، وإنما في سلوكها العام ومسؤولياتها في الحياة، وفي ذلك أيضاً تربية للوجدان "القلب والضمير فتصبح ملتزمة بالسلوك الحسن بوازع

---

(1) ابن فارس، معجم المقاييس، ٥٨٢.

(2)الطويل، عزت، النفس والقرآن الكريم، ص٤٣، "بتصرف".

(3) انظر القريوتي، طارق، الأمن النفسي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م، ص١٦١.

وجدانها من غير حاجة إلى رقابة من أحد من البشر عليها [١].

فكما أن الصوم يعلمنا الصبر فهو يعلم أيضاً النفس على الترتيب وضبط السلوك، فنستعمل السلوك الحسن بغض النظر عن الانفعالات العصبية، بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امرئ صائم) [٢]، وهذا من ضبط سلوك النفس الإنسانية حتى وإن تعرضت لأي موقف مذموم، فيجب أن تعامل الناس بأخلاقك لا بأخلاقهم.

ويحدثنا الدكتور أحمد عكاشة عن أثر الصيام في النفس البشرية، وأنه علاج لأمراض نفسية فيقول: من الضروري أن تصوم؛ لأن للصيام فوائده الروحية والجسدية والنفسية، ...، وللصيام فوائدة النفسية العديدة، وأولها: إنماء الشخصية، وهنا يجب أن نتحدث عن هذه الظواهر التي تتكون منها الشخصية فهناك الظاهرة الذاتية، وهي ما يعتقده الشخص في نفسه، وهناك الظاهرة الاجتماعية وهي ما يعتقده المجتمع في نفس هذا الشخص، وهناك الصورة المثالية وهي ما يحاول الإنسان أن يصل إليه، والصحة النفسية هي التوازن بين هذه الصور الثلاث، وإنه كلما كان التوازن بين هذه الظواهر واضحاً، كانت الصحة النفسية متكاملة ونمو الشخصية مؤكداً، ونمو الشخصية معناه النضج وتحمل المسؤولية والراحة النفسية، والصيام يدرّب الإنسان وينمي قدرته على التحكم في الذات، كما أنه يخضع كل غريزة نفسيه، وكل ميل دنيوي تحت سيطرة الإرادة، وكل ذلك يتم بقوة الإيمان، والصيام يعطي السكينة والهدوء والخشوع والتغلب على الملذات والاتجاه إلى الله تعالى [٣].

ومن الفوائد النفسية أيضاً للصيام: أنه يشعر بآلام الجوع ويبعث في نفسه عواطف الرحمة والشفقة بأهل الصدقات، فيدفعه ذلك إلى البر بهم والإحسان إليهم، مما يقوي في المجتمع روح التعاون والتضامن والتكامل الاجتماعي [٤].

ومن فوائد الصيام أيضاً أنه يجعل النفس والروح تعيش في راحة بال، وطمأنينة لما

---

(1) نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٧٣.

(2) البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم١٨٠٥، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصوم، رقم١١٥١.

(3) انظر عكاشة، ، د.أحمد، مقالة، (تحت عنوان الصيام علاج لأمراض نفسية) في كتاب اليوم الطبي، (ص٥-٩)، العدد ٥٠ لسنة ١٩٨٦م.

(4)نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٧٣ "بتصرف". وانظر الخراشي، أثر القرآن في الأمن النفسي، ص١٧١-١٧٢. وشديد، منهج القرآن في التربية، ص٢٣١، ومرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠٥، والسويدي، غرائز النفس البشرية، ص٧٦٠.

يترتب على الصوم من أجر عظيم يدخل الجنان، هذا إن أحسن الصائم صيامه وقام بواجبات الصيام وأركانه على أكمل وجه فيشعر الإنسان، أنه فعل شيئاً عظيماً يؤجر عليه ويدخل الجنة بسببه، وهو كذلك يحث أيضاً على فعل الخيرات، وتكرار الصيام، فليس الصيام فقط في شهر رمضان، بل في جميع شهور السنة.

أما الآيات التي تحض على الصوم فمنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (البقرة: ١٨٣)، فالصيام يطهر النفوس مما علق بها من بدع وشركيات فيقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الآية وآمراً لهم بالصيام وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الردئية والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك [١].

أما من الناحية البلاغية النفسية فنلاحظ استخدام القرآن الكريم النداء بـــ (يا) لتدل على الإعلام وإبراز أهمية الصيام، وما ينتج عنه من ثمار وحسنات، وكذلك قد استخدم القرآن الكريم في معرض حديثه عن الصيام (كتب) للدلالة على فرضيته ولزومه وعدم التهاون في أمره، فاستخدم صيغة الماضي للدلالة على الثبات.

ويقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

ومن فوائد الصيام المساواة بين الأغنياء والفقراء فهو نظام عملي من أقوى وأبدع الأنظمة الصحيحة فهذا الصوم فقر إجباري يفرضه الإسلام فرضاً ليتساوى الجميع في بواطنهم ويتعاطفون بإحساس الألم الواحد[٢].

فعندما فرض الله –عز وجل- الصيام، فرضه لغاية عظيمة وهي تحقيق التقوى في نفس كل مؤمن، وليس مجرد امتناع وحبس وكبح للشهوات، بل هدفه أسمى وغايته أعلى وهي تطهير النفس وتقويمها على أساس التقوى الذي هو من الإعجاز النفسي.

---

(1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٢٨٩، "بتصرف في العبارة" .

(2) للمزيد انظر طبارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٣، ١٩٧٦م، ص٢٥٦.

المطلب الرابع: الزكاة:

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، لحديث عمر رضي الله عنه[1]، وللزكاة أهمية كبيرة في تطهير النفس الإنسانية مما علق بها من محرمات في اقتناء الأموال حتى وإن لم يشعر مالك المال بهذا الشيء فجاءت الزكاة لتطهره وتنمي ماله وتنقيه من هذه الشوائب حتى يلقى الله عز وجل بريء الذمة من الآثام وبذلك تطهر نفسه ويطمئن قلبه، والآيات جاءت كثيرة معالجة في هذا الجانب، يقول الدكتور السويدي في هذا المعنى: "إن من الأمراض النفسية التي عنى بها الإسلام الأنانية والأثرة والطمع والجشع وغيرها والتي تجمعها غريزة حب الذات، قد دلت بعض الدارسات الميدانية (العلمية الحديثة) على انتشارها بين المرضى النفسيين، لذلك حرص الإسلام على تطهير النفس البشرية منها، وتعويدها صفات البر والإحسان والإنفاق في سبيل الله تعالى، ومن ثم فرض الإسلام فريضة الزكاة وجعلها ركناً من أركانه، لكي تتمو مشاعر المشاركة الوجدانية بين طبيعة النفوس البشرية" [2].

ومن الآيات التي تدل على وجوب أداء الزكاة وعلى أثرها في النفس قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سواء السبيل﴾ (المائدة: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (لأعراف: ١٥٦).

فوصف الله –عز وجل- المؤمنين بإقام الصلاة وقرن معها في أغلب الآيات إيتاء الزكاة لما لهذه الزكاة من آثار عظيمة على المجتمع والنفس، وأكد الفعل بالإتيان بصيغة الاسم بقوله: ﴿للزكاة فاعلون﴾ أي دأبهم، وسجيتهم القيام بالزكاة لا بأنها أمر، بل لأنها شيء نفسي قد اعتاده الإنسان مبتغياً الأجر من الله –عز وجل-، مطمئن النفس لهذا السلوك[3].

ويحتمل أن يكون المراد بالزكاة ها هنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله تعالى: ﴿قد

---

(1) حديث جبريل الطويل، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ١.

(2) السويدي، غرائز النفس البشرية، ص٧٦٦.

(3)الطبري، جامع البيان، ٦ / ٧٨، "بتصرف".

أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس:١٠) وكقوله: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ (فصلت:٦-٧) على أحد القولين في تفسيرهما، وقد يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم [١].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

والزكاة تجعل المزكي يثق بالله تعالى أكثر من ثقته بما في يده، وأن ما يزرعه في أرض الخير ينمو، وأن حاجات المحتاجين هي أرض خصبة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

وفي الزكاة تذكير للنفس بنعم الله تعالى عليها، وعهدها في هذه النعم أن تأكل منها في غير إسراف ولا تقتير، وأن تنفق منها في غير من ولا أذى، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣)، وبذلك يهذب الإسلام النفس البشرية استجابة لمشاعر الإنسانية وفطرتها السوية التي خلقها الله تعالى عليها.

وللزكاة أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع، وقد اعترف بهذه الأهمية علماء الغرب والمستشرقون فضلاً عن علماء المسلمين، وعن أهميتها يحدثنا الدكتور (ماسينيون): "إن لدى الإسلام من الكفاية ما يجعله يتشدد في تحقيق فكرة المساواة وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد قادر لبيت المال، وهو يناهض عمليات المبادلة التي لا ضابط لها، وحسب الثروات، كما يناهض عمليات الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية، ويقف في نفس الوقت إلى جانب الملكية الفردية ورأس المال التجاري، وبذا يحل الإسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بين النظريات الرأسمالية البرجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية، وقد تكرر ذكرها في القرآن مما يؤكد أهميتها في الإسلام" [٢].

والزكاة تحرر المسلم من سيطرة حب المال على نفسه تلك السيطرة التي قد تؤدي به

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٣١٩ .

(2) القاضي، علي، أضواء على التربية الإسلامية، ص١٦٨-١٦٩.

إلى مشكلات تفقده لذة الحياة وسعادتها، وحب المال -كما أسلفت- غريزة من غرائز النفس البشرية وذلك لكي يحافظ على بقائها، وهذه الغريزة تدفع الإنسان إلى العمل والسعي والتحصيل للمال وتنمية ادخاره بالطرق المشروعة، كما أسلفت في علاج منهج الإسلام لهذه الغريزة، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء: ١٢٨)، ولكن الإسلام دعا إلى مقاومتها لما فيه مصلحة للفرد والجماعة فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ (النساء: ١٢٨)، وقد أكد علماء الدراسات النفسية هذه الحقيقة وقرروا أن الزكاة وسيلة إيجابية لتحرير المسلم المزكي من سيطرة المال وحبه إذ أنها تزيد ما عند الإنسان من مال فيظل بذلك في مأمن من سيطرة المال على نفسه دائماً، وهذا يؤدي إلى غرس الأمانة المطلقة في نفوس المسلمين، فالإنسان يقدر بنفسه زكاة ماله ولا حسيب عليه غير قلبه، ولكن إحساسه بأن الله رقيب عليه يجعله أميناً في التقدير، سخياً في الإنفاق، عادلاً مع نفسه ومع الآخرين.

وتؤكد السنة النبوية هذه الحقيقة العلمية النفيسة، قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [(١)].

وبالزكاة تقضي للفقير حاجاته المادية وغرائزه كالمأكل والمشرب والملبس، وحاجته النفسية الحيوية كالزواج، وحاجته المعنوية الفكرية كطلب العلم وبذلك يحس الفقير عن طريق هذه العبادة النفسية والروحية أنه في مجتمع يهتم به ويرعاه، وهذا الشعور يخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والشح والطمع، بل يدفعه إلى الأمن والاستقرار والتكيف النفسي [(٢)].

وهذا يدفع المجتمع إلى التكافل والتعاون فيما بينهم، فإذا احتاج الفقير هب الأغنياء لنجدته بإعطاءه وإمداده من زكاة أموالهم، مما يولد عند هذا الفقير الراحة النفسية، ويربي عند الغني الشعور بالمسؤولية وعدم حب الذات بل يدفعه إلى بذل الخير في كل وقت.

وقد أكد أحد علماء الغرب واعترف بتفوق النظام الإسلامي في هذا الميدان على غيره من الأنظمة الأخرى، فقال: "ما زال الإسلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المتقابلين في العالم فهو يوائم من الاشتراكية القومية وشيوعية روسيا، فلم يهو بالجانب الاقتصادي من الحياة إلى ذلك النطاق الضيق الذي أصبح من مميزات أوربا في الوقت الحالي، وكذلك من مميزات روسيا، وإنما فرض الزكاة وجعلها الوسيلة الإيجابية لسد غلة الفقير وتحاب أفراد المجتمع والتي

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، مسلم، كتاب الإيمان، باب من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ٤٥.

(2) نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٧٤، "بتصرف".

تكفل التكامل الاجتماعي" [١].

كما أثبتت الدراسات العلمية أن الزكاة من أقوى الوسائل في معالجة أمراض النفس البشرية كالقلق الذي يرجع إليه سائر الأمراض النفسية، وفي هذا الشأن يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل: "لقد أثبتت الدراسات العلمية أن معظم حالات القلق إن لم تكن جميعها ترجع إلى حب النفس للمال، كما تفيد الإحصاءات إلى أن حوادث الانتحار والاعتدال وغيرها من الانحرافات كالسرقة والغصب يرجع أغلبها إلى سيطرة المال على نفوس مرتكبيها، وقد قرر العلماء أن أخطر ما يصيب الإنسان هو إصابته بحب المال فيبذل كل جهده لتنميته ولا يبالي من حرام كان أو من حلال، وبذلك يكون قد وصل إلى حالة مرضية يستعصي علاجها، وقد احتار العلماء في سبيل العلاج ممن أصابه هذا الداء إلا أنهم أجمعوا على أنه ليس كالزكاة من سبيل لوقاية الإنسان من ذلك المرض المدمر للنفس البشرية" [٢].

ومن ثم تبدو الحكمة من مشروعية الزكاة في الإسلام أنها تحقق الطاعة النفسية للمسلم، وتحرره من سيطرة رأس المال، وتحقق الرباط الاجتماعي بين المسلمين، وتساعد على إيجاد التوازن الاقتصادي، وخير أسلوب للوقاية والعلاج من الأمراض النفسية التي تعتري النفس البشرية، وأحسن طريق لتعديل السلوك البشري من شبح غريزة حب المال في طبيعة النفس البشرية [٣].

ومن الحكم التي شرعت الزكاة من أجلها كما يقول الشيخ الشعراوي: "الزكاة وهي من جانب آخر طهارة لنفس الفقير فقد تتحرك في نفسه قوة الغيرة والحقد والكراهية والغل، ولكنه حين يرى إنساناً أنعم الله عليه مد يده إليه بالمعونة فيقول: إن النعمة عنده نفعتني فلن يؤثر الغل والحقد على النعمة فيكون قد طهر نفسه ولم يتعب روحه" [٤].

وأضاف الدكتور القرضاوي إلى هذا الحكم أنها تدل على النماء والزيادة فيقول: "ثم هي بعد معنى الطهارة نماء وزيادة، نماء لشخصية الغني وكيانه فالإنسان الذي يسدي الخير ويضع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية وليقوم بحق الله عليه ويشعر بامتداد في نفسه وانشراح واتساع في صدره ويحس بما يحس به من انتصر في معركته

---

(1) القاضي، أضواء على التربية الإسلامية، ص١٧٦-١٧٧، "بتصرف".

(2)انظر نوفل، عبد الرزاق، الإسلام تربية بالأكمل ونحو سلوك أفضل، ط١، ١٩٨٣م، ص٦٤-٦٥.

(3) السويدي، غرائز النفس البشرية، ص٧٧٠، وانظر: عدس، من خصائص النفس البشرية، ص١٢٠، والطويل، قي النفس وفي القرآن، ص٤٢-٤٣.

(4) الشعراوي، محمد، عقيدة المسلم، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، ص١٠١.

وهو فعلاً قد انتصر على ضعفه وأثرته وشيطانه فهذا هو النمو النفسي والزكاة المعدية" [١].

لقد فرض الله الزكاة على أغنياء المسلمين لتعطى لفقرائهم، وهذا يعود براحة النفس والخير على الطرفين، فأما الغني فهو يشعر بالأمن النفسي من جانب ربه، لأنه أدى حق ماله الذي أمر به الله عز وجل ويشعر بالأمن أيضاً من جانب الفقير لأنه عطف عليه.

والفقير يشعر بالأمن النفسي لأنه أخذ ما يسد حاجته ويكفيه شر المسألة وبذلك يتحقق الإعجاز النفسي والأمن النفسي لكلا الطرفين [٢].

والزكاة تعلم أفراد المجتمع على الحب فيما بينهم والتعاون، فإذا وجد الغني أن هنالك فقيراً أصابته محنة وشدة دفع إليه من زكاة ماله ما يعينه على قضاء شدته ويفرج كربته، يقول في هذا المعنى الدكتور مرسي: "الزكاة، إنها تقوي بالمسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين، وتثبت فيه الشعور بالمسؤولية نحوهم وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والترفيه عنهم وتعلم المسلم حب الآخرين وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع" [٣].

ومن أهداف الزكاة أنها توفر الصحة النفسية للإنسان، وترفع من معنوياته وتحارب فيه أية بادرة من بوادر الانعزالية والانطوائية (الشعور بالوحدة)، إذ أن المزكي يشعر بأنه يسهم في بناء مجتمعه وإسعاده، كما يحس بأن المجتمع يستفيد من وجوه من الناحية النفسية والاجتماعية، وفي الوقت نفسه يحس بأنه في مجتمع مترابط متحاب، فيطمئن هو ويستريح، ويصبح بعيداً عن القلق والاضطراب النفسي، وفي هذا الشأن يقول أحد علماء النفس: "إذا شاء الرجل أن يستخلص من الحياة المتعة فعليه أن يسهم في اجتلاب المنفعة للآخرين فإن متعة الشخص تعتمد على متعة الآخرين ومتعة الآخرين تعتمد على متعته" [٤].

---

(1) القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٩٧٩م، ص٢٥٩.

(2) انظر: شديد، منهج القرآن في التربية، ص٢٣٣. والخراشي، أثر القرآن في الأمن النفسي، ص١٧٤-١٧٥.

(3) مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠٧.

(4) القاضي، علي، أضواء على التربية الإسلامية، ط١، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٧٣.

المطلب الخامس: الحج:

يعد الحج الذي هو أحد أركان الإسلام من أهم الأسباب للأمن والطمأنينة النفسية الذي من شأنه توحيد صف المسلمين وتوطيد علاقاتهم وصلاتهم.

الحج:فيه زيارة المسلم لبيت الله الحرام في مكة المكرمة وفي الأغلب زيارة لمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، ولمنازل الوحي عند المسلمين بطاقة روحية عظيمة، تزيل عنه كروب الحياة وهمومها وتحسسه بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة.

والحجيج عندما يجتمعون في بيت الله الحرام، فإنهم يلاقون من التعب والمشقة التي لا تحتمل عند أداء المناسك، ولهذا الشيء أثر عظيم في نفسهم، يقول الدكتور مرسي: "وفضلاً على ذلك فإن في الحج تدريباً للإنسان على تحمل المشاق والتواضع حيث يخلع الإنسان ملابسه الفاخرة ويرتدي ملابس الحج البسيطة التي يتساوى فيها جميع الناس الغني والفقير والسيد والمسود والحاكم والمحكوم، وهو يثري روابط الأخوة بين جميع المسلمين في مختلف الأجناس والأمم والطبقات الاجتماعية حيث يجتمعون جمعياً في مكان واحد يعبدون الله تعالى ويبتهلون إليه ويتضرعون، فهو يحقق للمسلمين من مختلف الشعوب الإسلامية فرص التآلف والتعارف وتكوين العلاقات والصداقات بينهم [(١)].

والحج أيضاً تدريب للإنسان على ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها إذ يتنزه الحاج وهو محرم عن مباشرة النساء وعن الجدل والخصام والشحناء والسباب وعن المعاصي وكل ما نهى الله تعالى عنه حتى إذا عاد المسلم من الحج مغفوراً ذنبه يجعل المسلم يعود منشرح الصدر سعيداً يغمره الشعور بالأمن والطمأنينة وراحة البال، ويمده هذا الشعور القاصر بالسعادة والأمن بطاقة روحية هائلة تنسيه هموم الحياة ومتاعبها [(٢)].

كما يبعث الحج في النفس معاني الحنين إلى أيام الدعوة الأولى دعوة الرسول ﷺ في إبلاغه رسالة ربه وتحمل أذى قومه، ومن قبله الأنبياء السابقين، فتذكر عندما ترك إبراهيم -عليه السلام- زوجه عند البيت استجابة لأمر ربه، فكل هذه المعاني تبعث في النفس راحة وطمأنينة واستسلاماً وعبادة وخشوعاً لا مثيل له[(٣)].

---

(1) انظر مرسي، الإيمان والصحة النفسية، ص٢٠٩، مرسي، سيد عبد الحميد، الشخصية السوية، ط١، مكتبة وهبة، ١٩٨٥م، ص٢٠٥

(2) انظر نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٧٤.

(3)حوى، سعيد، الإسلام، راجعه وهبي القاوجي، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٩٣، "بتصرف"، للمزيد

أما الآيات القرآنية التي تذكر الحج فمنها:

يقول تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧)، لام في لله: هي التي يقال لها لام الإيجاب والإلزام ثم زاد هذا المعنى تأكيداً حرف﴿على﴾ فإنه من أوضح الدلالات على الوجوب عند العرب كما إذا قال القائل لفلان علي كذا فذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ما يدل على الوجوب تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمته.

وهذا الخطاب شامل لجميع الناس لا يخرج عنه إلا من خصصه الدليل كالصبي والعبد وقوله ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ ومن مثاله الخائف على نفسه أو ماله لم يستطع إليه سبيلاً بلا شك ولا شبهة ثم قال: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فقد عبر بلفظ الكفر عن ترك الحج تأكيداً لوجوبه وتشديداً على تاركه وقيل المعنى: ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجباً وقيل: إن من استحل ترك الحج فهو كافر وفي قوله﴿فإن الله غني عن العالمين﴾ من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه وبعده من الله سبحانه ما يتعاظمه سامعه ويرجف له قلبه فإن الله سبحانه إنما شرع لعباده هذه الشرائع لنفعهم ومصلحتهم وهو تعالى شأنه وتقدس سلطانه غني لا تعود إليه طاعات عباده بأسرها بنفع[١].

ومن فوائده أيضاً تدريب الإنسان على ضبط النفس والتحكم في شهواتها وغرائزها، إذ يتنـــزه الحاج وهو محرم عن مباشرة النساء، والجدل والخصام والشحناء والسباب وعن المعاصي وكل ما نهى الله عنه، وفي ذلك تدريب للإنسان على ضبط نفسه، وعلى السلوك المهذب ومعاملة الناس بالحسنى، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ويقول ﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) [٢]،فلا فحش من الكلام في الحج، ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات و لا مراء مع الخدم والرفقة[٣].

انظر: الخراشي، أثر القرآن في الأمن النفسي، ص١٧٣-١٧٤. والطويل، في النفس والقرآن، ص٤٢-٤٣.

(1) انظر الشوكاني، فتح القدير ، ١ / ٥٤٧ .

(2) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، رقم ١٣٥٠.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١ / ٢٠٧ .

وسئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله ورسوله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (جهاد في سبيل الله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور) [١].

فهذه الأدلة بالغة الأهمية في إبراز معاني الحج وتأثيراته في النفس لأنها تعلم ضبط النفس والتحكم بها، كما مر معنا سابقاً.

ولا ريب في أن معرفة المسلم بحكمة الحج المبرور وأن ثوابه غفران الذنوب يجعله يعود من حجه منشرح الصدر، يغمره الشعور بالأمن والطمأنينة وراحة البال، هذا الشعور يمده بطاقة روحية تنسيه متاعب الحياة وهمومها، وما تؤدي إليه من توترات عصبية واضطرابات نفسية تعوقه عن مواجهة هذه الأعباء.

فالحج بهذه الآثار النفسية والاجتماعية والروحية شحنة تتزود منها النفس البشرية، وتملأ جوانبها خشية وتقى لله، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، كما أن للحج أثراً مادياً يتيح للإنسان تبادل المنفعة التجارية على نطاق واسع بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٧-٢٩).

وفي الحج نرى معنى الوحدة والألفة والاتحاد، وحدة في المشاعر والشعائر والهدف والعمل والقول فلا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة إنما هم جميعاً مسلمون برب واحد، وبيت واحد، ولكتاب واحد، ولرسول واحد، ولأعمال واحدة يؤدونها، ففي الحج تكمن روح السلام والأمن النفسي.

ومن الآثار النفسية في الحج ما نراها عند ذبح الأضاحي يوم النحر، فعندما يذبح الحجاج الهدي فإن ذلك يؤدي إلى راحة نفسية لامتثال أمر الله عز وجل، وفعل نبيه ﷺ تأسياً واقتداءً بسيدنا إبراهيم عليه السلام عندما فدى ابنه بذبح عظيم.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان هو العمل، رقم ٢٦، ومسلم كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم ٣٨، ولمزيد انظر نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص٢٧٦.

المطلب السادس: الصبر:

الصبر خلق إسلامي رفيع، كما أنه يدعو لنيل الأشياء الصعبة التي لا تنال إلا به. ولقد حثنا القرآن الكريم على الصبر وعدم اليأس، يقول الخراشي: "يدعو القرآن المؤمن إلى التحلي بالصبر لما فيه من فائدة عظيمة في تربية النفوس وتقوية الشخصية وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق وتجديد طاقته لمواجهة مشكلات الحياة وأعبائها" [١].

وأما الآيات التي تدعوا إلى الصبر وتمدح أهله فهي كثيرة حيث يبلغ عددها في القرآن الكريم (١٤٠آية) ومن أهمها: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، فحض على الصبر على الطاعات والشهوات "والصبر: الحبس والمصابرة: مصابرة الأعداء، أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب وخص المصابرة بالذكر بعد أن ذكر الصبر لكونها أشد منه وأشق، وقيل: المعنى صابروا على الصلوات وقيل: صابروا الأنفس عن شهواتها وقيل: صابروا الوعد الذي وعدتم ولا تيأسوا [٢].

و يقول تعالى: ﴿اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)، ويقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، و يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)، وهذا خطاب للمؤمنين بأفضل ما وصفوا به يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على الذكر والشكر وسائر الطاعات من الصوم والجهاد، وترك المبالاة بطعن المعاندين في أمر القبلة والصلاة التي هي الأصل والموجب لكمال التقرب إليه تعالى، ﴿إن الله مع الصابرين﴾ معية خاصة بالعون والنصر ولم يقل مع المصلين لأنه إذا كان مع الصابرين كان مع المصلين من باب أولى لإشتمال الصلاة

---

(1) الخراشي، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ص١٥٧-١٥٨.

(2) انظر الشوكاني، فتح القدير، ٦٢٣/١ .

على الصبر[١].

وحيث أمر الله بالصبر وحث عليه وأمر بالاستعانة به على قضاء الحوائج وتفريج الكربات، بين عز وجل أن معيته سوف تكون للصابرين اللاجئين إلى الله –عز وجل- المتصبرين، وهذا يدفع في النفس معاني الراحة والطمأنينة، لأن معية الله تقتضي النصر، وتقتضي النجاح، وتقتضي تفريج الكرب لأنه على كل شيء قدير، وبهذا يتحقق لون من ألوان الإعجاز النفسي.

---

(1) انظر الآلوسي، روح المعاني، ٢ / ١٩ .

ومن الآيات التي تدعو إلى التزام الصبر في العديد من الأحكام والآداب العامة:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ المُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المُحْصَنَاتِ مِنَ العَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النساء: ٢٥)، و يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ﴾ (النحل: ١٢٦)، و يقول تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦)، و يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠)، و يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)، و يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، و يقول تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣-٢٤)، و يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (ابراهيم: ٥).

المطلب السابع: الذكر:

الذكر في اللغة هو حضور الشيء في القلب والقول [١]، وهذه العبادة التي تدخل في معظم العبادات الإسلامية حتى في أركان الإسلام وتشمل جميع أوقات المسلم وتلازمه في كل أحواله.

ولقد كان الصوم والصلاة والاستعاذة والاستغفار، وكظم الغيظ والصبر والذكر الدائم، عبارة عن طب وقائي يمنع تراكم الأمراض النفسية من الخواطر الشيطانية وتمنعها من النفاذ إلى قلب الإنسان، ومن ثم يصبح قلب المسلم على الدوام مستفرغاً ومحصناً من ولوج الأوقات والأمراض التي تسبب له تراكما وأزمات نفسية [٢]، وذكر الله عز وجل يؤثر في النفس الإنسانية؛ لأنه يجعل لديها طمأنينة وسكوناً كما أخبر الحق سبحانه وتعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد، الآية: ٢٨).

فهذه الآية هي المنبع الذي يستقي القلب منه ماءه، وتنهل منه النفس أمنها، فتحرص على المداومة على الذكر بجميع صوره من دعاء ،وتلاوة للقرآن، وتسبيح ومدارسة، وصلاة، وغيرها من العادات التي تحقق هذه المعاني.

وعلى هذا فالمؤمن الذي يريد أن يسير في طريق التقرب إلى الله تعالى لا يكتفي بذكر الله كل يوم أثناء الصلاة فقط، وإنما يقوم أيضاً بذكر الله كثيراً خارج الصلاة وذلك بالإكثار من التسبيح والتكبير والابتهال والدعاء وأن التقرب إلى الله تعالى عن طريق العبادات بتلاوة القرآن والأوراد والأدعية إنما يعمل على تعميق الإيمان في القلب وبث الشعور بالأمن والسكينة والنصر.

ومن الآيات التي تحض على الذكر: يقول تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وحقيقة ذكر الله تعالى أن ينسى كل شيء سواه، وأذكركم أي: أجازكم بالثواب وعبر عن ذلك بالذكر للمشاكلة ولأنه نتيجته ومنشؤه [٣].

وفي شأن من لم يلتزم هذه العبادة الفاضلة، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طــه: ١٢٤)، إذ يترتب على الإعراض عن هدي

---

(1) الراغب، المفردات، ١٨٤.

(2) الخراشي، أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ص٣٢.

(3) انظر الآلوسي، روح المعاني، ٢ / ١٩ .

الله اختلال حاله في الدنيا والآخرة فالمعيشة مراد بها مدة المعيشة ومدة الحياة، والضنك: الضيق يقال: مكان ضنك أي ضيق، وهذه عقوبة مستحقة لمن أعرض عن ذكر ربه، وهجر سبيله، وأبعد عن أمره وبذلك يكون الجزع والخوف والحسرة والشقاوة، فلا أمن للنفس ولا راحة للبال [(١)].

ويقول تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، و يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، فذكر الله من علامات القلوب العامرة بالإيمان إذ أنه يبدل الخوف أمناً والعداوة محبة ويحول القلق والجزع والاضطراب إلى سكينة والفزع والرعب إلى طمأنينة.

وفي ختام هذا المبحث يتبين لنا أن مجموع هذه العبادات لها أثر نفسي واضح في النفس الإنسانية وفي الشعور الوجداني، حيث تكسب صاحبها طمأنينة وراحة بالٍ، وتجعل الإنسان مقبلاً على الله عز وجل وعلى التزام عباداته، وهذا مراد الشارع جل في علاه في ترغيب عباده بالقيام بما أمر.

---

(1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٦ / ٣٣١، "بتصرف".

المبحث الثاني: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب والعقوبات:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب.

المطلب الثاني:الإعجاز النفسي في العقوبات.

المطلب الأول: الإعجاز النفسي في الأخلاق والآداب.

أولاً: المسلم يراعي نفسية أخيه المسلم:

لقد خاطب القرآن النفس الإنسانية ووجه سلوكها بأسلوب تربوي وسلس، وتغلل في أعماقها وأخذ يقوم اعوجاجها، ويلقنها قواعد تربوية حتى تسمو عن كل نقص وعن كل رذيلة، يقول الأستاذ جمال ماضي أبو العزائم: "لقد حوى القرآن الكريم حياة حافلة بالحركة والحيوية لأنواع عديدة من النفوس البشرية عرضها الله عز وجل بإعجاز باهر وبعلمه سبحانه وتعالى بأغوار النفس البشرية، يقول تعالى: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤) [1].

ومن النماذج التي أسهم القرآن في تربيتها، مراعاة نفسية الأخوة المسلمة، فقد حرص القرآن الكريم على الحفاظ على مشاعر الأخوة لما له من أثر في استقرار النفوس وطمأنينة القلوب، فنهى عن كل ما يخدش هذه العلاقة الطيبة من غيبة ونميمة وحسد وحقد وكره وغل .. ودعا إلى المحبة والتعاون وإفشاء السلام وحفظ السر، ومن الآيات التي تراعي نفسية الأخوة المسلمة، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة: ١٠) فلا نجوى بالإثم والعدوان مما يزين الشيطان للمؤمنين ليحزنهم ويوقع العداوة فيما بينهم، وليس بضارهم الشيطان شيئاً إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وإليه فليكلوا أمورهم [2].

ففي هذا المثال حرم القرآن التناجي لما له من آثار سيئة في تعميق الخلاف بين المسلمين، وتمزيق أواصرهم ومن ثم تفكك المجتمع، حيث حرم الإسلام التناجي لما له من أثر سلوكي على النفس الإنسانية.

وإذا تأملنا في سورة يوسف سنجد أنها تضم في توجيهاتها آداباً نفسية، وقواعد تربوية كثيرةً جداً، ومن أهم هذه القواعد ما يتعلق بالأخوة المسلمة، يقول تعالى على لسان يوسف –عليه السلام-: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١)، فاستخدم أسلوب التعميم مع أنه يعلم من

---

(1) السويدي، د.مرسي، غرائز النفس الإنسانية وأمراضها ومنهج الإسلام في معالجتها، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. ماضي، جمال، فقه النفوس في ضوء القرآن والسنة، دار الدعوة، ط١، ١٩٨٣م، ص٩.

(2)الواحدي، الوجيز، ١ / ١٠٧٦، "بتصرف" .

الذي سوف يسقي الملك الخمر، ومن الذي سوف يقتل، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٢)، فنلاحظ أن يوسف عليه السلام استخدم أسلوب التعميم في ذكر الذي سوف ينجو من السجن والذي سوف يقتل مع أنه يعلم من هو كل واحد منهما، مراعياً نفسية الذي سوف يقتل، ثم انحاز جانباً وقال: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤٢)، وهذا دليل على معرفته للناجي منهما، ولكنه أبهمه مراعاة لنفسية الذي سوف يقتل.

وهكذا نلاحظ كيف عالج القرآن الأخوة، وحرص على توطيد العلاقات حتى عند النـــزاع لما لذلك من أثر عظيم في النفس، وهو من إعجاز القرآن الكريم، يقول سيد قطب واصفاً هذا المشهد: "لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة كل معالم هذا الدين وكل مقومات هذه العقيدة، ...، ومن ثم فهو يؤول لهما الرؤيا في نهاية الدرس ليزيدهما ثقة في قوله كله وتعلقا به يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ولم يعين من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفاً وتحرجاً من المواجهة بالشر والسوء ولكنه أكد لهما الأمر واثقا من العلم الذي وهبه الله له قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وانتهى" [(١)].

وقوله تعالى على لسانه أيضاً: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ١٠٠).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ قال: السرير [(٢)].﴿ورفع أبويه على العرش﴾ يعني أباه وخالته وكانت أمه قد ماتت [(٣)]، ثم قال: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ فنلاحظ كيف نسب يوسف الأمر إلى الله عز وجل مع أنه هو الواسطة في قدومهم، فكان وزيراً على خزائن الأرض، وبيده خزائن

---

(1) سيد، الظلال، ١٩٩١/٤.

(2) السيوطي، الدر المنثور، ٤ / ٥٨٨ .

(3) المصري، أحمد بن محمد الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، طنطا-القاهرة، ط١، ١٩٩٢، ١/ ١١١.

مصر، ومع ذلك نراه ينفي نفسه ويجرد أمر قدومهم، وإبقاء الأمر بإرادة الله فقط، وهو أيضاً من باب مراعاة نفوس إخوته، ولم يصرح عليه السلام بقصة الجب حذراً من تثريب إخوته ومتناسياً لما جرى منهم، لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجداً ولأن الإحسان إنما تم بعد خروجه من السجن لوصوله للملك وخلوصه من الرق والتهمة واكتفاء بما يتضمنه أما قوله تعالى: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ أي البادية وأصله البسيط من الأرض، وإنما سمي بذلك لأن ما فيه يبدو للناظر لعدم ما يواريه ثم أطلق على البرية مطلقا وكان منزلهم على ماقيل: بأطراف الشام ببادية فلسطين وكانوا أصحاب إبل وغنم [١].فنسب الفعل لله، وهذا صواب، لكنه لم يذكر نفسه –وهو الوسيلة- حيث كان وزير الأرض في وقته مراعاة لمشاعر إخوته.

ثم قال ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ أي أفسد بيننا بالإغواء، ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان، نعم لقد كان للشيطان أثر في تحريض إخوة يوسف، ولكن يوسف بأسلوبه الحكيم ومراعاته لنفسية إخوته علق كل الأمر على عاتق الشيطان، ولم يجعل لهم أي أثر فيما حدث معه، بل أدخل نفسه معهم في النزغ مع أن الأمر ليس كذلك، وهذا من باب مراعاة نفسيتهم ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾ أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل، إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة [٢].

---

(1) انظر الآلوسي، روح المعاني، ١٣ / ٦٠ .

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤ / ٣٠٧، "بتصرف".

ثانياً: مراعاة نفسية الضيف وكيفية التعامل معها و مراعاة الضيوف لنفسية صاحب البيت:

١. مراعاة نفسية الضيف وكيفية التعامل معها:

إن من هدي القرآن الكريم في العديد من آياته توثيق الصلات والعلاقات في المجتمع وتعزيز ما يزيد هذه العلاقات متانة، لما لذلك من أثر على نفس المتلقي لمثل هذه العلاقات، ومن أهم هذه العلاقات علاقة الضيافة، وقد حرص القرآن الكريم على مراعاة نفسية الضيف وإشعاره بالسكون والأمن وطمأنينة النفس، حال نزوله ضيفاً. ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم –عليه السلام-: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ (الذاريات: ٢٦-٢٧).

ففي هذا المثال نلاحظ كيف أن إبراهيم عليه السلام كان حريصاً على إكرام ضيفه وعدم إشعاره بالحرج والضيق، بل قدم له أفضل ما يملك، وهذا من تمام الإكرام المعنوي والمادي، وفي الآية تنويه وتشويق للحديث وتهيئة للأذهان مع وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين؛ إما لأنهم كذلك عند الله ؛ وإما إشارة إلى إكرام إبراهيم لهم كما ورد في القصة ويبدو كرم إبراهيم وسخاؤه للمال واضحاً.

فما يكاد ضيفه يدخلون عليه ويقولون سلاماً ويرد عليهم السلام وهو ينكرهم ولا يعرفهم ما يكاد يتلقى السلام ويرده حتى يذهب إلى أهله أي زوجه مسارعاً ليهيئ لهم الطعام ويجيء به طعاما وفيرا يكفي عشرات فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين وهم كانوا ثلاثة فيما يقال تكفيهم كتف من هذا العجل السمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون وجاء هذا السؤال بعد أن رأى أيديهم لا تصل إليه ولا يبدو عليهم أنهم سيأكلون طعامه" [1].

إن الملاحظ لهاتين الآيتين يجل حق الضيف للدلالات الآتية:

﴿سلاماً قال سلامٌ﴾ بدأ بالتسليم، فبدأوه بحالة النصب، فأجابهم بحالة الرفع، ومعلوم أن الرفع في النحو أبلغ و أقوى من النصب، والتوجيه النحوي يكون على المفعول المطلق أو على الابتداء.

﴿فراغ﴾ دل على الذهاب خفية للمحافظة على نفسية ضيفه.

﴿عجل﴾ دل على إكرام الضيف بلحم جيد.

---

(1) سيد، الظلال، ٣٣٨٢/٦، "بتصرف".

﴿سمين﴾ وفي آية أخرى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (هود: ٦٩). يدل على صفة هذا اللحم وما لها من أثر على نفسية الضيف.

﴿فقربه﴾ يدل على إكرام الضيف والتودد لهم.

﴿قال ألا تأكلون﴾ فيه إلحاح على الضيف وتكريم له.

ويبين لنا هذا الشرح الموجز كيف أن القرآن الكريم حرص على مدى إكرامه ومراعاة نفسية الضيف، وإبراز المسببات لهذه الطمأنينة والحض على السلوكيات المدعمة لهذه الصفة.

٢. مراعاة الضيوف لنفسية صاحب البيت:

تحدثنا في البداية عن مراعاة نفسية الضيف وما له من أثر على النفس، وهنا سنتناول جانباً آخر من هذا الإعجاز النفسي وهو مراعاة نفسية صاحب البيت (المَضِيف) وكيف أن لمراعاة نفسية هذا الشخص من أثر في طمأنينته، وكيف أبرز القرآن هذا اللون من الإعجاز.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٣٥)، عن أنس بن مالك: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾الآية[1].

فقد حظرت الآية الكريمة على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الأمة، فأخبرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة، ثم استثنى من ذلك فقال تعالى:

---

(1) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب، رقم٤٥١٣.

﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ أي: غير متحينين نضجه واستواءه فلا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفل، ثم قال تعالى: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره"[١].ولهذا قال تعالى: ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾ المراد أن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره أن ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى: ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه [٢].

فهذا توجيه من الله –عز وجل- لمراعاة نفسية صاحب البيت أياً كان والتأدب بأدب الضيافة، فقد حوت هذه الآيات مع قصر حجمها العديد من الآداب التي يجب أن يتأدب بها الضيف، والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها عند زيارة غيره، وكيف يراعي نفسية صاحب البيت الذي سوف يقدم إليه، وأول هذه الآداب الاستئذان والاستئناس كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧)، ومن ثم اختيار وقت الزيارة، فلا قدوم في وقت راحة أو وقت تناول طعام، وأن لا يطيل وقت الزيارة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ (الأحزاب: الآية٥٣)، ومجموع هذه الآداب تعد ركيزة لمراعاة نفسية صاحب البيت، وإدخال السكون والطمأنينة إلى نفسه حال الزيارة، وهذا من تمام إعجاز القرآن الكريم.

---

(1) مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، رقم١٤٢٩.

(2) انظر الصابوني، مختصر ابن كثير، ، ٣ / ١٣٣ .

ثالثاً: مراعاة نفسية المدعو و مراعاة نفسية المخطئ:

١. مراعاة نفسية المدعو.

القرآن الكريم في الكثير من آياته يتحدث عن الدعوة إلى الله وآداب الداعية ومراعاة نفسية المدعو، لما لذلك من الأثر الواضح في تقبل الدعوة والاقتناع بها، فالمدعو إنسان له نفسية وشعور يجب الحرص عليهما.

ومن الأمثلة على الآيات القرآنية التي تحض على مراعاة نفسية المدعو قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

فالحكمة: هي المعرفة المحكمة أي الصائبة المجردة عن الخطأ فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم . ولذلك عرفوا الحكمة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية، بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطئ في العلل والأسباب، وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغير، والموعظة: القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير . وهي أخص من الحكمة؛ لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها."وقيدت الموعظة بالحسنة ولم تقيد الحكمة بمثل ذلك لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة أو عن توقع ذلك منه كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ أرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة أي بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير قال تعالى مخطاباً لموسى وهارون ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا بيناً لعله يتذكر أو يخشى﴾(طه: ٤٤)" [(١)].

وهذا نموذج في كيفية مراعاة نفسية المدعو، فالدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، المقصود بالموعظة الحسنة اللين في القول، وعدم التصادم مع المدعو لما لذلك من أثر واضح الدلالة على نفسيته ورفضه للدعوة وإن كانت على حق بل لم يكتف القرآن بذكر الموعظة وحدها، بل وصفها بالحسنة لتأكيد صفة اللين فيها، وإزالة أي إبهام يوهم التنازل والتخلي عن المبادئ، ومن هاتين الآيتين يتبين لنا مدى أهمية مراعاة نفسية المدعو حتى يكون قابلاً للدعوة إلى الله.

---

(1) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٧/١٤.

وهاك نموذجاً آخر في مراعاة الأنبياء لنفسية أقوامهم، يقول تعالى على لسان سيدنا هود: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (هود: ٤٩ -٥٢)، فما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شانهم النصيحة وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع أفلا تعقلون، إذ يردون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك، ثم يخاطبهم بأسلوب لينٍ ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه؛ من عبادة غيره يرسل السماء بالمطر عليكم مدراراً، ويزدكم قوة إلى قوتكم، وهذا أيضاً من باب قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء، وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد على الإيمان والاستغفار [١].

وهنا نموذج آخر يبين كيف كان الأنبياء رضوان الله عليهم حريصين أشد الحرص على مراعاة الجوانب النفسية للمدعو، والتركيز على الجوانب التي تقنع المدعو بصدق الدعوة التي بعث فيها النبي، فمن ذلك التلطف بالنداء ﴿يا قوم﴾ فهذه العبارة لها مدلولات نفسية واسعة في تقريب الفجوة بين النبي المؤمن وبين المدعو، لما تبدي من التوافق والمحبة والتآخي ولا يخفى ما لهذه العبارات من أثر في نفسية المدعو وجعله قابلاً ومسلماً لدعوة نبيه.

وكذلك استخدام أسلوب الإقناع النفسي والعقلي بعدم سؤالهم الأجر، حيث إن المدعو إذا أيقن أن هذه الدعوة ليست منبثقة عن طمع وحب مال، وإنما منبعها الصدق والإخلاص كان لهذا الشيء مدلول على نفسه في قبول الدعوة والإقبال عليها.

وهكذا يتبين لنا أن مراعاة نفسية المدعو من الأهمية بمكان في قبول الحق وقبول دعوة الأنبياء، وهذا من عظيم إعجاز القرآن الكريم في وصف أساليب الأنبياء النفسية في الدعوة إلى الله حتى يقتدي بها المسلم في شؤون حياته.

٢. مراعاة نفسية المخطئ:

سعى القرآن الكريم في منهجه ودستوره لمنع وقوع الجرائم، وكان من هدي المنهج الرباني أن يعالج الجرائم أيضاً إذا وقعت ويصحح المخطئ؛ لأنه لا يتصور أن لا يكون علاج

---

(1) انظر النسفي، تفسير النسفي، ٢ / ١٥٩ .

لهذا المخطئ، ومن أهم الجوانب العلاجية علاج نفسية المخطئ، ومراعاتها، فصحيح أن هذا الفرد قد وقع في الخطأ ولعله يستحق عليه عقاباً قد يكون حداً، ولكن يجب أن لا ننسى أنه إنسان وله شعور وكيان، وإن هدفنا إصلاحه وتقويم اعوجاجه، وليس المقصود من وراء ذلك الشتم والتعيير ودوام السخط، فتعالوا بنا نذهب لنرى نماذج لاهتمام القرآن الكريم بنفسية المخطئ، وكيف حرص على إصلاحها.

فقال تعالى: ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ (يوسف: ٩٢)

يقول تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق، وقلة الطعام وعموم الجدب وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته وبدره البكاء فتعرف إليهم فيقال: إنه رفع التاج عن جبهته وكان فيها شامة وقال ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾يعني كيف فرقوا بينه وبين أخيه حيث أنتم جاهلون، وإنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه كما قال بعض السلف: كل من عصى الله فهو جاهل والظاهر ــ والله أعلم ــ أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه بإذن الله تعالى له في ذلك كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك والله أعلم ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر فرج الله تعالى من ذلك الضيق [1].

ففي هذا المثال نرى يوسف -عليه السلام- يسارع في نفي الحرج، وإزالة الإثم عن إخوته، مع أنهم كانوا قد أعظموا الخطأ في حقه فبادر بالقول: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ أي لا عتاب ولا مراجعة ولما سبق أن أخطأتم به، وهذا من حلم يوسف وكظم غيظه الذي دعا القرآن له، وبذلك تكون طمأنينة النفوس حتى لهؤلاء المخطئين. والله تعالى أعلم.

ولم يكتف القرآن بالذب عن نفسية المخطئ إن كان من عامة البشر، بل حتى مع الأنبياء والرسل فنرى أنه يقدم العفو على العتاب في حق رسول الله ﷺ عندما قدم أمر الوفود على مقابلة عبد الله بن أم مكتوم، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة: ٤٣)، ولا يخفى حسنه وفي تصدير الخطاب بما صدر به تعظيم لقدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقير له وتوفير لحرمته عليه الصلاة والسلام وكثيراً ما يصدر الخطاب بنحو ما ذكر لتعظيم المخاطب، فيقال: عفا الله تعالى عنك ما صنعت في أمري

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٦٤٢ .

ورضي الله سبحانه عنك ما جوابك عن كلامي والغرض التعظيم.

ومما ينظم في هذا السلك "ما روي من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: لقد عجبت من يوسف عليه السلام وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني وأخرج ابن المنذر وغيره عن عون بن عبد الله قال: سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا بدأ بالعفو قبل المعاتبة، وفيه تعليم تعظيم النبي صلوات الله سبحانه عليه وسلامه ولولا تصدير العفو في العتاب لما قام بصولة الخطاب وعن سفيان بن عيينة أنه قال: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو عنه"(١).

فنلاحظ كيف بشره الله –عز وجل- بالمغفرة والعفو قبل العتاب لم أذنت لهم.

وهنا تتجلى عظمة القرآن الكريم، حيث إن رسول الله ﷺ قد فعل أمراً خلاف الأولى، وهذا في حق الأنبياء يستحق العتاب، فليسوا كعامة البشر، ومع ذلك نرى القرآن الكريم يقدم العفو على العتاب الذي كان القرآن الكريم حريصاً على عرضه لتقويم الدعوة وإبراز حقيقتها ومضمونها وهو لتساوي وعدم الاغترار بالكثرة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم في إحدى جوانبه، وهو الجانب النفسي.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني، ١٠ / ١٠٨ .

رابعاً: مراعاة نفسية المجاهد:

سطر القرآن الكريم آيات عديدة تتحدث عن الجهاد، وتبين أهدافه ومضمونه، حتى عدّ ذروة سنام الإسلام، فكان لابد من التركيز على هذا العنصر الذي يقوم بالمعركة (المجاهد)، ومراعاة نفسيته، حتى يتسنى له القيام بدوره على أكمل وجه، ومن أهم هذه الجوانب الجانب النفسي للمقاتل، والحرص على بقاء نفسيته سليمة من أي خدش (١)، ولقد كان للقرآن الكريم قدم السبق في مراعاته لنفسية المجاهد، يقول تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: ١٠٤).

ففي الآية خطاب للمؤمنين، زيادة في تشجيعهم على قتال الأعداء وفي تهوين الأعداء في قلوب المسلمين لأن المشركين كانوا أكثر عددا من المسلمين وأتم عدة وما كان شرع قصر الصلاة وأحوال صلاة الخوف إلا تحقيقا لنفي الوهن في الجهاد، والمراد به هنا المبادأة بالغزو وأن لا يتقاعسوا حتى يكون المشركون هم المبتدئين بالغزو.

تقول العرب: طلبنا بني فلان أي غزوناهم . والمبادئ بالغزو له رعب في قلوب أعدائه . وزادهم تشجيعاً على طلب العدو بأن تألم الفريقين المتحاربين واحداً، إذ كل يخشى بأس الآخر وبأن للمؤمنين مزية على الكافرين وهي أنهم يرجون من الله ما لا يرجوه الكفار وذلك رجاء الشهادة إن قتلوا ورجاء ظهور دينه على أيديهم إذا انتصروا ورجاء الثواب في الأحوال كلها .﴿ما لا يرجون﴾ هو النصر فيكون وعدا للمسلمين بأن الله ناصرهم وبشارة بأن المشركين لا يرجون أنفسهم نصرا وأنهم آيسون منه بما قذف الله في قلوبهم من الرعب وهذا مما يفت في ساعدهم (٢).

ففي هذا المثال يشبع القرآن الكريم نفسية المجاهد بالحماس، وهو مشهد من مشاهد القوة والحرص على الجهاد، ويبين له أن ما يلاقيه من ألم إنما يلاقي الكفار مثله، ولكنهم ليس لهم من أجر ولا ثواب ولا جنان، بل مصيرهم إلى النار، ويطالبه بعدم الوهن والضعف بل الشدة والعزيمة، وهذا من عظيم صنيع القرآن الكريم في نفسية المجاهد وهو مشهد من مشاهد القوة والحماسة التي إذا تحلى بها المجاهد أدى به ذلك للتفاؤل والقوة والنصر والعزيمة والتوكل

---

(1) ألف في هذا الموضوع مصنفات عديدة ولعل من أبرزها كتاب الدكتور أحمد نوفل، الحرب النفسية من منظور إسلامي، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٧م.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٥ / ١٨٩-١٩٠ .

والاحتساب.

بل وبعد ذلك فقد تعدى القرآن ليعالج نفسية المجاهد خلال المعركة عند حدوث أي موقف طارئ يضعف نفسيته لما لذلك من أثر عظيم، وقال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٣)، نزلت هذه الآية في سياق الحديث عن غزوة أحد، حيث شاع خبر وفاة رسول الله ﷺ بعد التفاف خالد بالجيش وانكسار المسلمين، فأثابهم الله غماً بخبر وفاة الرسول ﷺ وإن لم يكن حقيقة ولكن حتى يستبسلوا في الجهاد وتكون النصرة بعد ذلك، وهو حليفهم، فعندما انتشر خبر وفاة الرسول ﷺ أخذت المسلمون الحمية، لله تعالى ولم تطب لنفوسهم الحياة بعد هذا الخبر فقاتلوا حتى كان النصر هو حليفهم، فنلاحظ كيف كان الغم ثواباً لتزداد قوتهم، وهذا من حسن اهتمام القرآن بالجانب النفسي، حتى يتسنى له القيام بدوره على أكمل وجه.

وقوله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾ أي صرفكم عنهم إذ تصعدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم، وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب، وقد كان الرسول ﷺ يدعوكم في أخراكم حيث قد خلفتموه وراء ظهوركم وهو يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكرة فأثابكم الله غماً وكرباً بعد كرب وقتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وما وقع في أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم فكان ذلك متتابعا عليكم غما بغم وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول سماعهم قتل محمد والثاني ما أصابهم من القتل والجراح وعن قتادة والربيع بن أنس عكسه وعن السدي: الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والثاني إشراف العدو عليهم [1].

ومن الأمثلة أيضاً على مراعاة نفسية المجاهد، قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ (الفتح: ١)، إنا حكمنا لك يا محمد حكماً لمن سمعه أو بلغه على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنصر والظفر؛ لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم وفتحه ما فتح لك ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعالك ربك ما تقدم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح وما تأخر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته، وذكر أن هذه السورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الحديبية بعد الهدنة التي جرت بينه وبين قومه[2].

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٥٤٥.

(2) الطبري، جامع البيان، ١١ / ٣٣١ .

فقد نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وكان حال المسلمين في وضع لا يحسدون عليه، حيث أحرموا وساقوا الهدي ثم منعوا من أداء العمرة، فبشرهم الله بالفتح والنصرة بعد الخيبة والحسرة وهذا أيضاً من باب لحرص على نفسية المجاهد وتسليتها وتعزيز قوائمها.

ويقول تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ (آل عمران، ١٥٤)، يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذي غشيهم، وهم متقلدوا السلاح في حال همهم وغمهم والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال تعالى في سورة الأنفال في قصة بدر ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ عن عبد الله بن مسعود قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان"[1].

وهنا تتجلى عظمة الخلق جل في علاه، حيث يكرم جنده بإنزال السكينة في قلوبهم حتى في حال الحرب والجهاد،ومعلوم أن مثل هذا الحال يصعب فيه هدوء النفس وطمأنينة القلب، ولكن الله عز وجل يثبت المؤمنين في مثل هذا الموقف، وهذا من باب الإعجاز النفسي الذي بينه القرآن الكريم.

ومعلوم إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة ولكنها فريضة واجبة الأداء واجبة الأداء لأن فيها خيراً كثيراً للفرد المسلم وللجماعة المسلمة وللبشرية كلها وللحق والخير والصلاح والإسلام يحسب حساب الفطرة، فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ولا يهون من أمرها ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها، فالإسلام لا يماري في الفطرة، ولا يصادمها ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل، ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر ويسلط عليه نوراً جديداً.

فانطلاقاً من هذا المبدأ،وحرصاً على تحقيق الغايات التي سعى الجهاد لتحقيقها جاء قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة:٢١٦)، فتقرر هذه الآية أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق، ولكن وراءه حكمة تهون مشقته وتسيغ مرارته وتحقق به خيراً مخبوءاً، قد لا يراه النظر الإنساني القصير عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر، ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور، إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيراً ووراء

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١ / ٥٥٤.

المحبوب شراً إن العليم بالغايات البعيدة المطلع على العواقب المستورة هو الذي يعلم وحده حيث لا يعلم الناس شيئا من الحقيقة وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة وتتفتح منافذ الرجاء ويستروح القلب في الهاجرة ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء[1].

هكذا يواجه القرآن الكريم الفطرة والنفس لا منكراً عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية، ولا مريداً لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف، ولكن مربياً لها على الطاعة ومفسحاً لها في الرجاء لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير، ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة ولتحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها ويعترف بمشقة ما كتب عليها ويعذرها ويقدرها، ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء.

فالقرآن الكريم وبصراحته الواسعة يقرر الحقائق النفسية المتعلقة بالجهاد، ويوجه النفس الإنسانية نحو الضبط والقياس الصحيح لحقيقة الأمور، فلا يعني مراعاة نفسية المجاهد المداهنة والتخيل والإيهام وإنما لابد من الصراحة والوضوح في قياس الأمور وهذا هو حال القرآن الكريم في جميع آياته.

خامساً: مراعاة النفسية بين الأبوة والبنوة:

١. مراعاة نفسية الأب:

أعطى الإسلام للآباء حقوقاً على أبنائهم، حتى وإن كان هؤلاء الآباء على غير دين الإسلام، لما لهم من فضل في سبب الإيجاد والتربية، فحرص الإسلام على مراعاة الجوانب النفسية لهؤلاء الآباء، وحرص على حسن التعامل معهم، لما يعود بالخير على المجتمع، وقد طبق هذا المنهاج سيدنا إبراهيم –عليه السلام- قال الله –تعالى- على لسانه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ (مريم: ٤٢-٤٥)، فإبراهيم قال لأبيه مهجناً له عبادة الأوثان، لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر ولا تملك لعابدها، نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع. فهذا برهان جلي دال، على أن عبادة الناقص، في ذاته، وأفعاله، مستقبحة، عقلا وشرعا.

---

(1) انظر سيد قطب، الظلال، ٢١٩/١.

ودل تنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال الذي، لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة، إلا هو، وهو الله تعالى، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ " أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك، فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا مستقيماً معتدلاً، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال.

وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى؛ فإنه لم يقل " يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل " أو " ليس عندك من العلم شيء " .وإنما أتى بصيغة أن عندي وعندك علماً، وهذا من باب مراعاة نفسيته، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك، ولم يأتك.

فينبغي لك أن تتبع الحجة، وتنقاد لها، ثم قال ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لأن من عبد غير الله، فقد عبد الشيطان ، فمن اتبع خطواته، فقد اتخذه ولياً وكان عاصياً لله. وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي، تمنع العبد من رحمة الله وتغلق عليه.كما أن الطاعة، أكبر الأسباب لنيل رحمته، ولهذا قال: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ فبسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ في الدنيا والآخرة، فتنزل بمنازله الذميمة، وترتع معه. فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل. فأخبره بعلمه، وأن ذلك، موجب لاتباعك إياي وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم. ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار. ثم حذره عقاب الله ونقمته، إن أقام على حاله، وأنه يكون ولياً للشيطان. فلم يرجع هذا الدعاء، بذلك الشقي [1].

ونلاحظ كيف كان أسلوب إبراهيم سلساً في اختيار الكلمات مع والده الذي هو مدعو في نفس الوقت بما يعود بالأثر النفسي على قبول الدعوة، وهذا من تأدبه في التعامل مع والده الذي جاء الإسلام وحض عليه أيضاً، وهو نوع من أنواع التفسير النفسي للتعامل.

فهذه صورة من صور كثيرة تبين أن الداعية يكثر الألفاظ التي تقرب النفوس وتجلب قلوب المدعوين، لذلك اختار إبراهيم -عليه السلام- لفظة يا أبت وفيه تلطف مع المدعو وإن كان كافراً، وكذلك اختار أسلوب الوعيد ليدل على اهتمامه وحبه للخير له.

---

(1) انظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٤٩٤.

٢. مراعاة نفسية الأبناء:

لم يكتف القرآن الكريم بعرض نفسية الآباء ومراعاتها ولكن تعدى ذلك ليراعي نفسية الأبناء وشعورهم، وحرص على عدم إشعار أواصر العداوة فيما بينهم لما يترتب على ذلك من أضرار.

وإن سورة يوسف حافلة بهذه المعاني السامية واللفتات التربوية التي ترسخ هذا المفهوم الذي ينجلي في مواقف عدة منها طبيعة حوار سيدنا يعقوب مع يوسف وإخوته، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف: ٥)، ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف: ٦٧)، ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧) [١].

وقد ضرب لنا غير مثال في مراعاته لنفسية أبنائه في أكثر من آية، ومن ذلك قول تعالى على لسان يعقوب: ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ (يوسف: ٥). وفي الآية تصغير ابن، للشفقة أو لصغر السن فقال له لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ويحتالوا لإهلاكك حيلة، فلقد فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم، حيث إن الشيطان للإنسان ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد [٢]. وهذا مثال واضح يبين كيف كان يعقوب عليه السلام حكيماً في تلطفه مع ولده يوسف بأسلوب التصغير ﴿يا بني﴾ وكيف كان مراعياً لنفسية أبناءه الآخرين فقال ليوسف: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ لأن مثل هذا الخبر سيشحن العداوة في نفوسهم، حيث إن النفوس جبلت على الغيرة من الأقران، خاصة إذا كان هذا القرين

---

(1) عثمان، أكرم مصباح، ١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص٤٠، "بتصرف".

(2) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ، ١/ ٢٧٤، ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى قصة نوح عليه السلام مع ولده، يقول تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود:٤٢-٤٣).

أخاً، فأمره بكتم الخبر مراعاة لنفسية إخوته، وهذا من تمام إعجاز القرآن الكريم، [١]. وقال تعالى: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف: ٨٧) فأمرهم أن يتعرفوا من يوسف وأخيه ومن خبرهما وحضهم وبأن لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه.

وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أبهم في قوله ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [٢]، فبعد ذلك نرى يعقوب يطمئن أولاده وقد قرب كشف أمرهم فيأمرهم بالذهاب والتحسس من يوسف وأخيه، ويوجههم بأسلوب نفسي رقيق إلى عدم اليأس والقنوط من روح الله، وهذا من عظيم حلمه وحكمته، فهو في موقف لا يحسد عليه قد فقد ولديه من قِبَل أبناءه، ومع ذلك نراه يختار عبارات لطيفة في تعامله مع هؤلاء الأبناء الذين كانوا ظلمة فيما فعلوه يوسف وأخيه، وهو من تمام مراعاته لنفسيتهم وشعورهم، فحري بنا في مثل هذه الأوقات أن نتحلى في مثل هذه الصفات فيما بيننا في تعاملنا مع بعضنا، وبذلك يكون هدينا تعباً للقرآن الكريم، يقول سيد قطب معلقاً على هذا المشهد: "أدرك أبوه يعقوب بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأنا عظيما لهذا الغلام لم يفصح هو عنه ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك ولا تظهر بوادره إلا بعد حلقتين منها أما تمامه فلا يظهر إلا في نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب ولهذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير غير الشقيق فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم فتمتليء نفوسهم بالحقد فيدبروا له أمراً يسوؤه، ثم علل هذا بقوله إن الشيطان للإنسان عدو مبين ومن ثم فهو يوغر صدور الناس بعضهم على بعض ويزين لهم الخطيئة والشر ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وقد أحس من رؤيا ابنه يوسف أن سيكون له شأن يتجه خاطره إلى أن هذا الشأن في وادي الدين والصلاح والمعرفة" [٣].

فالقرآن كله كتاب هداية، ولا غرابة أن نجد اسم الإنسان عنوان حياته وصاحبه طوال حياته فبه يشعر بالاحترام والتقدير ولذا حرص الإسلام أن يسمى المولود بأحسن الأسماء وأن تكون كنيته لطيفة ومحببة إليه ولها وقعها على نفسه حين يسمعها من الآخرين [٤]، فقد لاحظ كريستوفر ولويس (في عام ١٩٩٤م) "أن أغلب الطلاب الذين يترددون على العيادة النفسية من

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٩ / ١٩١ .

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤ / ٣٠٢.

(3) سيد قطب، الظلال، ٢٠٢٧/٤ .

(4) للمزيد انظر عثمان، أكرم مصباح، فن التعامل مع الطلاب، جمعية المعلمين، الشارقة، ١٩٩٨م، ص٣٩.

ذوي الأسماء الغريبة مما دفعهما إلى إجراء دراسة حول موضوع الأسماء الشاذة وأثرها في حياة أصحابها، وأسفرت الدراسة عن أن أغلبهم يتعرضون في طفولتهم لمتاعب ومضايقات لا يحتملها بعضهم فيصابون في الأمراض النفسية والاضطرابات العقلية" [١].

(1) الكاشف، جمال، كيف تتعامل مع أبنائك، دار الطلائع، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٦.

سادساً: مراعاة نفسية كلا الزوجين لبعضهما:

يبرز القرآن الكريم في غير آية من آياته حقيقة العلاقة بين الزوجين، ومدى التوافق الذي يجب أن يكون، ومدى الاختلاف الكائن بين الزوجين، ويبين أن كلا الزوجين إنما هو نفس واحدة مترابطة في ما بينها ومجتمعة لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، فالرجل نفس المرأة والمرأة نفس الرجل، وهذا مدعاة ليراعي كل منهما نفسية شطره، فهل يعقل من شخص أن يؤذي نفسه، وهل يعقل منه أن يشتم نفسه، وكذلك فإن زوجك هي نفسك.

يقول تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم، ٢١) هذه آية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ.

وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل وأن جعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر، لأن التأنس لا يحصل بصنف مخالف وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين ولم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان من قبل التزواج متجاهلين فيصبحان بعد التزواج متحابين وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزواج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة في قوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

والسكون: هنا مستعار للتأنس وفرح النفس لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد والسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم كما قالوا: اطمأن إلى كذا وانقطع إلى كذا وضمن (لتسكنوا) معنى لتميلوا فعدي بحرف (إلى) وإن كان حقه أن يعلق ب (عند) ونحوها من الظروف

والمودة: المحبة . والرحمة: صفة تبعث على حسن المعاملة[١].

وقال تعالى مبيناً حقيقة العلاقة بين الزوجين: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/٧٠-٧٢.

وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (البقرة:١٨٧)

فنلاحظ كيف أن القرآن الكريم قد وجه هذه الحقيقة بأسلوب مشوق وهو في أن يشعر كل من الزوجين بأن زوجه هي نفسه ولم يكتف بذلك بل يبين أنها سكنه، فقال ﴿لتسكنوا إليها﴾ ومعلوم أن السكن يحوي في داخله المحبة والطمأنينة والهدوء والإقامة وغير ذلك من المعاني النفسية الجميلة المحسوسة التي يجب على كل زوج التحلي بها مما يبعث في المجتمع الإسلامي أبرز ألوان الجمال الأسري الاجتماعي.

يقول سيد قطب واصفاً هذا المشهد: "والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الأخر وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا وأودعت في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب وراحة للجسم والقلب واستقرارا للحياة والمعاش وأنسا للأرواح والضمائر واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر ملبيا لحاجته الفطرية نفسية وعقلية وجسدية بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ؛ ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد" (١).

وقال تعالى واصفاً حقيقة العلاقة النفسية بين الزوجين: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧).

فمن المظاهر التي احتواها النص القرآني للتدليل على الإعجاز النفسي في هذه الآية اختيار الألفاظ التي تدل على العاطفة الزوجية وعاطفة المحبة والألفة بين الزوجين مثل كلمة (نفس) وكلمة (تسكن)، واستخدام الظرف في (إليها)، فجميع هذه الألفاظ تدل على عاطفة المحبة والألفة التي يجب أن تكون بين الزوجين، كما احتوى النص على استعارات متعددة للدلالة على

---

(1) سيد قطب، الظلال، ٢٧٦٣/٥.

الحقائق النفسية، فاستعار (اللباس) للدلالة على الكرامة الآدمية، وستر العورة، وما يترتب عن ذلك من عفة عن المحرمات والقناعة بالنعمة الإلهية التي منحنا إياها الزواج، والإحصان للفرج عن الوقوع في الزنا. كما استعار (السكن) بين الزوجين للدلالة على الألفة والمحبة التي تحصل من السكن.

فنلاحظ كيف أن القرآن لا يمر على هذا الآية دون لمسة حانية رفافة تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته وتوقظ معنى الستر في تيسير هذه العلاقة هن لباس لكم وأنتم لباس لهن واللباس ساتر وواق.

وكذلك هذه الصلة بين الزوجين تستر كلاً منهما وتقيه، فالإسلام هو الذي يأخذ هذا الكائن الإنساني بواقعه كله ويرتضي تكوينه وفطرته كما هي ويأخذ بيده إلى معارج الارتفاع بكليته الإسلام، وهذه نظرته يلبي دفعة اللحم والدم وينسم عليها هذه النسمة اللطيفة ويدثرها بهذا الدثار اللطيف في آن، ويكشف لهم عن خبيئة مشاعرهم وهو يكشف لهم عن رحمته بالاستجابة لهواتف فطرتهم.

المطلب الثاني: الإعجاز النفسي في العقوبات:

إن العقوبة في الشريعة الإسلامية هي ما يعاقب عليه الشخص بسبب ارتكاب جرم في الحياة.

فالعقوبة بتعريفها الاصطلاحي: هي "الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع" [١]. وللعقوبة أثرها في الحياة البشرية لأنها تردع الإنسان عما فعله في الحياة وتضبط أعماله جيداً. وهي عقوبة لا تكون إلا على الشخص الجاني فقط مما يؤثر في نفسه. يقول الدكتور نبيه إبراهيم: "هذا ويتضح لنا أن العقوبة في الشريعة الإسلامية عقوبة شخصية لا تلحق إلا بالجاني كما أن حد العقوبات قد تبدوا في بعضها أنها مضرة بالمجتمع ولكنها في حقيقة الأمر على غير ما يظنه بعض الذين لا يدققون النظر في الآثار المترتبة على فرض مثل هذه العقوبات[٢].

وهذه العقوبة إذا عوقب بها الجاني وحده فإنها لابد أن تترك عند هذا الجاني أثراً نفسياً عميقاً يبقى يؤثر به، وهو يتذكر وقت جريمته وأكثر منها تفكيراً وقت العقوبة التي تناولها، فالسارق حين يسرق وتقطع يده فلا بد أن يبقى متأثراً بتلك العقوبة، و الزانية أو الزاني حين يرجمان أمام الناس فلا بد أن تؤثر تلك العقوبة من شنيع ما فعلا، ويترك أثراً نفسياً في نفوس من شاهد تطبيق هذه العقوبة.

فعلى سبيل المثال: إن قتل القاتل المتعمد وقطع يد السارق ورجم الزاني وجلد كلها عقوبات تهدف إلى ترك أثر نفسي يعود على كل من الجاني وأفراد المجتمع بهدف تحقيق مناخ نفسي مستقر يشعر كل فرد من أفراد المجتمع بقدر كبير من الراحة والهدوء النفسي، الأمر الذي يدفعهم إلى ممارسة أعمالهم وهم في حالة نفسية هادئة. فضلاً عما يتركه العقاب من أثر نفسي في شخصية الجاني أو أفراد المجتمع بما يدعوهم إلى عدم الإقبال على ارتكاب مثل هذه الجرائم [٣].

والإسلام شرع العقوبة لحكم وأغراض إنسانية ونفسية نذكر من أهمها:

---

(1) براج، د.جمعة محمد محمد، العقوبات في الإسلام، دار يافا العلمية، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٢٧، "بتصرف".

(2) انظر إسماعيل، د.نبيه إبراهيم، من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي، دار ابتراك، مصر الجديدة، ط١، ٢٠٠١م، ص١٩٤.

(3) المرجع السابق.

١. تكوين مجتمع تسوده الفضيلة[1]: فالقرآن الكريم والسنة النبوية لم تجيئا إلا لتقويم وتصحيح أفكار الناس، وجعلهم يتحلون بالأخلاق والفضائل الحسنة، وذلك كله لكي يصل بالمجتمع إلى الإنسانية الكاملة. ثم شرع القرآن والسنة بوضع عقوبة لكل من يقوم بعمل الفوضى في المجتمع ولكل من يعمل على تخريبه حتى تسود الفوضى في هذا المجتمع، فشرعت العقوبة لتردع هؤلاء المثيرين للفوضى وليبقى المجتمع مجتمعاً آمناً تسوده المحبة والفضيلة. ومن الآيات التي تحث على التخلق بآداب القرآن في المجتمع قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(الضحى: ٩-١١). وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الاحقاف: ١٥)، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(فصلت: ٤٦)، وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (لأعراف: ٢٠٠).

٢. تكوين المؤمن القوي الأمين: الإيمان بالله واليوم الآخر نور يضيء القلوب التي في الصدور، يدفع عنها الرذيلة، ويهديها طريق الخير والصواب، والنفس المطمئنة بنور الإيمان تستحضر أن لها رباً يحصي أعمالها ويراقب تصرفاتها، فإن لم تكن تراه فإنه يراها ويجزيها ما عملت، ومن مقومات الإيمان وشعائر الله وفرائضه من الصلاة والصوم والزكاة والحج، فإذا أقامها المسلم فقد أقام الدين.

٣. إعادة المجرم إلى باحة الإيمان: تعمل الشريعة الإسلامية على محو الحقد من نفوس الناس وذلك حتى تجتث روح الإجرام والثأر من المجتمع، فكثيراً ما يقع المجرم في الجريمة بفعل الحقد الذي يعتمل في النفس ولا يحسب برابطة من الرحمة والتآلف تربطه بمجتمعنا، فالشرعية الإسلامية تعمل على إيقاظ الضمير الديني في المجرم ليحسب أن العقوبة التي فرضت عليه عقوبة من الله -تعالى- ليزول بنفسه من أدران وخطايا ويفكر بها عنه. ومن ذلك ندرك أهمية العقوبة في الشريعة الإسلامية لما تتركه من أثر في النفس من عدم فعل الجريمة، وعدم العودة إليها مرة أخرى.

---

(1)هبة، أحمد، موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التحريم والعقاب، دار عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص١٦٢-١٦٥، "بتصرف".

أولاً: أثر الحدود في النفس الإنسانية:

الحد لغة: يطلق على المنع وعلى الحاجز بين الشيئين، وقيل للبواب حدّاد، وللسجان أيضاً، إما لأنه يمنع عن الخروج أو لأنه يعالج الحديد من القيود (وحدّه) أقام عليه الحدّ، من باب ردّ أيضاً وإنما سمي حداً لأنه يمنع عن المعاودة [١].

والحد في الشرع: عقوبة مقدرة شرعاً حقاً لله -تعالى- والعقوبة المقدرة المفروضة من قبل الشارع بسبب الاعتداء أو على حق من حقوق الله -تعالى-، بمعنى أنه لا يجوز التنازل عن هذه العقوبة أو العفو عنها [٢].

والذي يرتكب الجريمة ويصر عليها دون توبة فإنه سيتعرض إلى حرمانه من رحمة الله. وقد حذرت الشرعية من ارتكاب المحرمات على وجه العموم منذرة بغضب الله على مقترفيها وحرمانهم من رحمته ونعمه متوعدة بعقوبة في الآخرة بصورة تثير في نفوس المؤمنين شدة الخوف والرهبة من الإقدام على شيء منها وفي الوقت نفسه تدفع عن المجتمع كثيراً من شرورها ومفاسدها وتصونها عن الشذوذ والانحراف [٣].

ولكي تترك العقوبة أثراً على الجاني فلا بد أن تكون شديدة حتى لا يرجع للذنب مرة أخرى، فإنزال العقاب بالجاني نظير ما جنت يداه ردعاً له وعبرة لأمثاله وهو في ذاته حق طبيعي، لأن الجريمة تثير في النفس عاملين: عامل الرعب والفزع وخوف الإنسان على حياته والانتقام والاقتصاص من الجاني فلولا القصاص لساد في الأرض الفساد ولعمها الظلم والجور.

والعقوبة لا تكون فقط فردية وإنما تتناول مجموعات من الناس التي تثير الفتن والشذوذ في المجتمع فشرعت العقوبة لكبح جماحهم وحماية المجتمع من شرورهم وتحقيق الأمن النفسي للمجتمع.

لذلك لم يقف الإسلام عند حد العقوبة الأخروية، بل كان من مقتضيات الحكمة في السلامة من المحرمات والأمن منها لاتخاذ علاج ناجح لكبح جماع النفوس وصدها عن نوازع الشر صيانة للمجتمع من شيوع الفساد وتفشي الجرائم والإجرام فوضع عقوبات دنيوية على الحاكم تنفيذها بجانب العقوبات الأخروية لتكون سيفاً مسلطاً على مرتكبي الجرائم [٤].

---

(1) الرازي، مختار الصحاح، ص١٢٦.

(2) براج، العقوبات في الإسلام، ص٤١.

(3) انظر العكازي، عبد الله، الفقه الإسلامي في الحدود والقصاص، ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، ص٩٦.

(4) المرجع السابق، ص٩٧.

ونظام التحريم والعقاب يجب أن يكون نظاماً عادلاً وثابتاً لا يتغير بتغير الجاني بل هو من تشريع الله وله قواعد وضوابط يجب أن لا تختل، يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: "والحق أن العدل والاستقرار يقتضيان وجود موازين وقواعد ثابتة في التجريم والعقاب لا تتغير بتغير الحاكمين ليظل الناس على علم بما يجب فعله أو تركه وما يجوز وما لا يجوز وما يعاقب عليه وما لا يعاقب عليه إذ لا استقرار ولا طمأنينة مع غياب الموازيين والقواعد الثابتة وصلاحية أي قانون تقاس بمقدار ما يبث من الطمأنينة في نفوس العباد [١].

أما الحِكم من تشريع الحدود التي بينها القرآن فهي كثيرة نذكر منها:

١. المحافظة على حياة الناس وأنفسهم، لأنه إذا علم مريد القتل أنه سيقتل دفعه ذلك للامتناع عن القتل خوفاً من العقوبة التي ستوقع عليه، وبهذا يحفظ حياته وحياة من كان يريد قتله [٢].
٢. ردع الجاني ومنعه من العود إلى اقتراف الذنوب والمعاصي التي وقع فيها لشدة العقوبة وتأثيرها
٣. زجر غير الجاني ممن تسول له نفسه الوقوع في المعاصي والحرمات وهذا أيضاً من الإعجاز النفسي.
٤. صيانة المجتمع من الفساد، وذلك بحماية الفضيلة ونشرها ومحاربة الرذيلة ومن يشيعها في المجتمع.
٥. تطهير الجاني من الذنوب في الدنيا وذالك أسمى معاني الإعجاز النفسي للقرآن الكريم.
٦. حماية المصلحة العامة للمجتمع من حيث نشر الأمن والاستقرار والطمأنينة على النفوس والأعراض [٣].

فالقرآن الكريم عندما شرع الحدود وشرع لها الحكم الكثيرة التي ذكرنا آنفاً، فإن هذا التشريع للحدود لكي يترك أثراً في النفس ويؤثر فيها تأثيراً يحثها على الابتعاد عن الجريمة.

وهذا من إعجاز القرآن الكريم، في ردع الجاني وتخويف نفسيته، وهو نوع من الإعجاز النفسي الذي هو حديثنا .

---

(1) ياسين، محمد نعيم، الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الفرقان، عمــان، ط١، ١٤٠٤هــــ-١٩٨٣م، ص٢٧-٢٨.

(2) دوكروي، عثمان، التدابير الواقية من القتل في الإسلام، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هــ-١٩٩٩م، ص٢٤٧.

(3) انظر هذه الحكم: براج، العقوبات في الإسلام، ص٤٣.

والحدود في الإسلام (كما أشار إليها القرآن الكريم) هي:

١-حد الزنا:

الزنا فاحشة عظيمة وهي من كبائر الذنوب التي نهى عنها الإسلام أشد النهي وقد شرع الإسلام لهذه الفاحشة العظيمة عقوبة ملائمة لهذا الفعل الشنيع قد تصل إلى الرجم حتى الموت إذا كان الرجل محصناً، أما إذا لم يكن محصناً فحده الجلد.

والإسلام عندما جعل الزنا من الجرائم الكبيرة جعلها لحكم وهي أنها تقوض بنيان الأسرة وتهدمه، ولأنها تشيع الفاحشة في المجتمع مما يؤدي إلى الفوضى وعدم انتشار الفضيلة، وبذلك كله يؤدي إلى انهيار المجتمع وأن الزنا يولد لنا في المجتمع أبناء لا يعرفون آباءهم ولا أمهاتهم مما يحقرهم في عيون الناس ويترك الأثر الكبير في نفوس هؤلاء الأولاد.

وقد حث القرآن الكريم على عدم الاقتراب من الزنا، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢)، يخاطب المولى عباده منفراً لهم من هذه الفاحشة العظيمة،ولا تقربوا الزنى بالعزم والإتيان بالمقدمات فضلاً عن أن تباشروه فإنه كان فاحشة وفعلة ظاهرة القبح وساء سبيلاً وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الإبضاع المؤدي إلى قطع الأنساب وهيج الفتن[١].

وهنا تحذير وترويع من المشرع جل في علاه من اقتراف أيٍ من الأمور المؤدية إلى هذه الفاحشة العظيمة بأسلوب يبعث في النفس الخوف والوجل من هذه الفاحشة العظيمة والنظر في أعقابها الوخيمة .

وقد عد القرآن أيضاً أن من صفات المؤمنين أنهم لا يقربون الزنا ويسدون كل ذريعة توصل إلى هذا الفعل القبيح، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾ (الفرقان: ٦٨-٦٩). فالذين لا يفعلون شيئاً من هذه العظائم القبيحة التي يجمعهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة، ومكبين على الزنا لا يرعوون عنه أصلاً ومن يفعل ذلك أي ما ذكر كما هو دأب الكفرة سيلاقي عذاباً شديداً مضاعفاً[٢].

ففي هذه الآية وصف لمن صدق إيمانه وصفت سريرته واستعد لآخرته ومن أهم هذه

---

(1) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ١ / ٤٤٣ .

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦ / ٢٢٩ .

الصفات عدم الاقتراب من فاحشة الزنا وفي ذلك ترويع للنفس من مثل هذه الفاحشة.

فالإنسان عندما يريد أن يرتكب فاحشة الزنا ثم يسمع قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢). فلا بد أن تؤثر هذه الآيات في قلوب من يريد أن يرتكب هذه الفاحشة العظيمة وعندما يحس الشخص أنه سيعاقب على فعله هذا عقاباً شديداً في الدنيا وأنه سيشهد عذابه جمع كثير من الناس مما سيؤثر في نفسه ويدفعه عن فعل هذه الجريمة بناءً على ما سمع من القرآن وكذلك المرأة إذا أرادت أن تفعل هذه الفاحشة فستفكر ملياً في الآيات الكريمة قبل الإقدام على هذا الفعل الشنيع مما سيؤثر في نفسها ويدفعها عن فعل هذه الفاحشة.

٢-حد القذف:

القذف فاحشة عظيمة جداً لأنها تقع في حق الأبرياء وتتهمهم في أعراضهم مما يجرح مشاعرهم ويدمر حياتهم تدميراً كاملاً لأنه قام يقذف عرض الرجل والمرأة واتهامهما بالزنا فكان لهذه الجريمة الشنعاء عقوبة تتناسب مع هذا الجرم. أما حكمة تشريع حد القذف في الإسلام فهي تظهر في أربعة أمور أو مفاسد وكلها ذات علاقة نفسية بارزة، وهي [1]:

١.مفسدة شيوع الفاحشة في المجتمع فإنه كلما ترامى الناس بالفاحشة من غير بينة شاع القول فيها فتفسد الجماعة.

٢. مفسدة رمي الأبرياء بالباطل ظلم لهم لما فيه من إضرار وربما يكونون على غير علم به فكان لابد من حماية سمعتهم بحكم رادع يقطع الألسن عن مقالة السوء.

٣. مفسدة خدش الحياء العام فإن الحياء يوجب على المسلم أن لا ينطق برفث القول وساقطه، بل يترفع عن ذلك حيث إن الحياء خير كله والحياء رباط المجتمع وهو وقايته من الفساد.

٤. مفسدة سهولة جريمة الزنا في نفوس الضعفاء فالذين يقذفون غالباً هم الكبراء وذوو المكانة في المجتمع.

ومن خلال ذلك نرى أن القرآن شرع لهذه الجريمة عقوبة مناسبة فلهذه الجريمة عقوبتان عقوبة بدنية وعقوبة أدبية نفسيه، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤)، هذه

---

(1) انظر براج، العقوبات في الإسلام، ص٧٠.

الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة هي الحرة البالغة العفيفة فإذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا وليس في هذا نزاع بين العلماء فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأ عنه الحد ولهذا قال تعالى: ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام: (أحدها) أن يجلد ثمانين جلدة (الثاني) أنه ترد شهادته أبداً (الثالث) أن يكون فاسقاً ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس

ثم قال تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ الآية واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما وإن تاب أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة ؟ أما الجلد فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الإمام مالك وأحمد والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضا وقال الإمام أبو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبدا وممن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد بن جابر وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته[١].

فالقاذف إذا لم يتب سيظل مستحقراً في أعين الناس بعيداً عن المجتمع مما يولد في نفسه آثاراً مروعة وهذه الحكمة ارادها الشرع لينفر من هذه الجريمة البشعة.

فالعقوبة البدنية هي الجلد ثمانين جلدة والعقوبة النفسية هي رد شهادة المحدود في القذف وما فيه عقوبة أخرى وهي وصفه بالفسق ما لم يتب [٢].

٣-حد الشرب:

الشرب جريمة بشعة لما فيه من أضرار تضر بالإنسان وتظهر أضرار الخمر بصورة واضحة على الإنسان ومن أهم هذه الأضرار: أنها تهدر كرامة السلوك الإنساني كما هي سبب للأمراض والاضطرابات العقلية والأمراض النفسية المستعصية [٣]، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(1) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٣٥٤ .

(2) انظر: براج، العقوبات في الإسلام، ص٧٠، و الغزالي، عيد، الحدود الشرعية، مكتبة المعارف، طبعة ١٩٨١م، ص٣٢.

(3) أبو غزالة، محمد حلمي، يسألونك عن الخمر، ص٣٦، دار الأرقم، ط١، ١٩٨٣م، عمان-الأردن.

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

قوله تعالى: ﴿رجس﴾ قال ابن عباس في هذه الآية رجس: سخط وقد يقال للنتن والعذرة والأقذار رجس والرجز بالزاي العذاب لا غير والرجس يقال للآمرين ومعنى ﴿من عمل الشيطان﴾ أي بحمله عليه وتزيينه وقيل هو الذي كان عمل مبادئ هذه الأمور بنفسه حتى اقتدى به فيها، و قوله تعالى: ﴿فاجتنبوه﴾ يرد أن أبعدوه واجعلوه ناحية فأمر الله تعالى باجتناب هذه الأمور واقترنت بصيغة الأمر مع نصوص الأحاديث وإجماع الأمة فحصل الاجتناب في جهة التحريم فبهذا حرمت الخمر ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سورة المائدة نزلت بتحريم الخمر وهي مدنية[١].

فالآية الكريمة توجهنا بأسلوب نفسي وبلاغي للابتعاد عن كل ما يؤدي للوقوع في شباك جريمة شرب الخمر.

٤-حد السرقة:

السرقة جريمة اعتداء على ملك الغير فإذا كان كل سارق مسموح له الاعتداء على ملك غيره وسرقته لشاع في المجتمع الفوضى والدمار، ولأدى ذلك إلى انهيار الفضيلة في المجتمع.

فناسب لهذا الفعل عقوبة مناسبة شرعها الله -تعالى- لتزجر هذا السارق وهذه السارقة عن فعلها، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨). إن المجتمع المسلم يوفر لأهل دار الإسلام على اختلاف عقائدهم ما يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية إنه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية وضمانات التربية والتقويم وضمانات العدالة في التوزيع وفي الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنبت من حلال ؛ ويجعل الملكية الفردية وظيفة اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذيه ومن أجل هذا كله يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية فمن حقه إذن أن يشدد في عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتداء على أمن الجماعة ومع تشديده فهو يدرأ الحد بالشبهة ؛ ويوفر الضمانات كاملة للمتهم حتى لا يؤخذ بغير الدليل الثابت ولعله من المناسب أن نفصل شيئا في هذا الإجمال إن النظام الإسلامي كل متكامل فلا تفهم حكمة الجزئيات التشريعية فيه حق فهمها إلا أن ينظر في طبيعة النظام وأصوله ومبادئه وضماناته كذلك لا تصلح هذه الجزئيات فيه للتطبيق إلا أن

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦ / ٢٦٦ .

يؤخذ النظام كاملا؛ ويعمل به جملة [١].

أما عن الأثر النفسي في هذا الحد، فإذا وقعت جريمة السرقة تشيع في محيطها جو كئيب من الرعب والفزع خاصة إذا كانت في صورة سطو على بيوت الآخرين بعد أن يكونوا قد فعلوا كل ما في وسعهم من إحكام الإغلاق عليهم فجريمة كهذه تجعل الكل خائفاً وجلاً إذ لا يعرف أي منهم متى ومن أين يأتيه الخطر الذي يتربص به ومن ثم فهي وإن كانت واقعة على الفرد إلا أن خطرها يرهم الجماعة كلها فتصبح وكأنها واقعة على المجتمع بأسره.

ومعنى ذلك أيضاً أن السارق لا يسرق المال فقط وإنما يسرق معه أمن المجتمع وأمانه ويكاد بفعله يحقق آية الليل فبعد أن كان الليل آمناً سكناً للناس ولباس فلا يلبث أن يتحول إلى سهر واستيقاظ [٢].

هذا بالإضافة إلى الأثر النفسي الذي يحيط بالسارقة والسارق نفسهما فسيؤثر قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨) في نفسيهما فإن عرف أنهما إذا سرقا وثبتت التهمة عليهما أن يد السارق ستقطع فإنه يربي في نفس السارق الخوف والرعب مما يزجره عن فعل السرقة، وهذا من عظيم إعجاز القرآن النفسي في ردع الجريمة ومنع وقوعها.

٥-حد الحرابة:

حد الحرابة له علاقة بحد السرقة لأنهما يتفقان بأن فيه أخذ مال الغير كما يقول الفقهاء وفي تعريف حد الحرابة ولكن الحرابة تختلف عن السرقة بأن المال يؤخذ على وجه القوة أي بالغصب مع تعذر الاستغاثة من قبل المأخوذ منه المال.

ولذلك ناسب لهذه الجريمة البشعة عقوبة تغليظية توثر في المحارب تأثيراً قويا، وهذه العقوبة جاءت غليظة لما فيها من أخذ المال من غير حق ولما فيها من تخويف للناس وغيرها من أسباب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣).

وإن موقف الحرابة هنا يتصل بأمن الجماعة كلها وبهيبة سلطانها وسلطاتها الشرعية

---

(1) انظر سيد قطب، الظلال، ٨٨٣/٢.

(2)أبو العينين، عبد الفتاح محمد، عقوبة السرقة في الفقه الإسلامي، بدون ناشر ولا دار نشر، ص١٣-١٤، "بتصرف".

وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد ومن هنا رأينا التطبيق في هذا الباب اتسم بحزم حازم وتغليظ مغلظ إلى أقصى الآماد [١]، فبعد هذا النص القرآني المروع للسامع من هذه الجريمة فلا بد للنفس من البعد عنها وهو مراد الله عز وجل من تشريع العقوبات وبذلك تتحقق الحكمة.

أما الأثر النفسي للسرقة والحرابة معاً استناداً لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣)، يقول الدكتور فهمي: "حدد الله عز وجل وهو العالم لصلاح عباده عقوبة للسرقة وهي قطع اليد وعقوبة لقطع الطريق ومما لا شك فيه أن هذه العقوبات لها فائدة عظيمة وهي منع الجريمة ونرى أن الأمثال التي تذكر من الفقهاء تقريباً واحدة، وهذا دليل على ندرة تطبيق الحد كما أن الدول التي تجعل الشريعة الإسلامية قانونها الأساسي ترى أن عدد جرائم الحدود تعد على الأصابع وهذا يؤكد صلاحية هذه العقوبات في الردع والتقليل من الجرائم، أما القوانين الحديثة فلا ترى لها أثراً في منع الجريمة رغم تعدد وسائل العلم الحديث في منع الجرائم" [٢].

ويزيد الأمر وضوحاً الدكتور الذهبي حيث يقول: "وهل يبقى مع تطبيق حد الحرابة ما نسمع عنه مما يرتكب جهاراً نهاراً وفي حد ظاهر للمجتمع بأهله ونظمه وأجهزته من سرقة بالإكراه في المواصلات العامة واغتصاب يمهد له الخطف من الطرق الممتلئة بالبشر في رائعة النهار إن الحق أحق أن يتبع ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، لقد كان تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً هو أساس الصلاح وما حدث مرة يمكن أن يتكرر من جديد" [٣].

٦-البغي:

البغي كما يعرفه الفقهاء الامتناع من طاعة الإمام العادل في غير معصية بمغالبة ولو تأولاً [٤]. فالبغي جريمة لأن البغاة خالفوا الإمام بتأويل جائز في اعتقادهم لكنهم مخطئون فلهم

---

(1) انظر الذهبي، محمد حسين، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، القاهرة، ص٥٧.

(2) فهمي، الحدود بين الشريعة والقانون، ص١٤٧-١٤٨.

(3) الذهبي، محمد حسين، أثر إقامة الحدود، ص٧٤.

(4) براج، جمعه محمد محمد، العقوبات في الإسلام، ص١٧٧، وعيد الغزالي خليل، الحدود الشرعية، مكتبة المعارف، ١٩٨١م، ص٣٤، أحمد، موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التجريم والعقاب ، دار عالم

نوع عذر لما فيه من أهلية الاجتهاد. فلذلك ناسب أن يكون لهم عقوبة مناسبة لهم راجعة إلى ما يراه الإمام، قال تعالى-: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).فسماهم مؤمنين مع الاقتتال وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج والمعتزلة وقوله تعالى: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه[١].

فالبغي كما تبين الآية الكريمة جريمة يجب قتال مرتكبها حتى يعود إلى جادة الصواب لما لها من أثر في ترويع الأنفس وإشاعة للاضطراب في المجتمع، لذلك أوجب الشارع مقاتلة الواقع بمثل هذه الجريمة.

ففي تطبيق العقوبة على البغاة يتحقق الأثر النفسي، حيث أن القتال ليس المقصود به الانتقام أو إنزال الأذى، لأنهم قوم متأولون يزعمون أنهم يقاتلون لإنقاذ الأمة من ولي الأمر والمقصود هو منع الفتنة واضطراب النظام واضطراب في الأمن والسكينة [٢].

٧-حد الردة:

الردة هي الخروج عن الدين، فالذي دخل الإسلام بإرادته دون إكراه ثم ارتد عن الإسلام فهذا لابد له من عقوبة لأنه جعل الدين الإسلامي لا يصلح للحياة وأن الديانة التي ارتد إليها أفضل من الإسلام فناسب له عقوبة مناسبة وهي القتل لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦)، وقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء: ٤٨) ولقوله عليه السلام " لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إسلام أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس "[٣].

الكتب، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٠٠.

(1) الصابوني، مختصر ابن كثير ٣ / ٤٠٠ .

(2)هبة، أحمد، موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التحريم والعقاب، ص١٨٦، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥م، "بتصرف".

(3) أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو عن الدم، رقم٤٥٠٢، قال الألباني: حديث صحيح.

ومثل المرتد في نظر الإسلام مثل من يترك وطنه وينحاز إلى وطن معاد وهي خيانة عظمى للجماعة التي ينتمي إليها، وقد قلنا أن الإسلام هو وطن المسلم الحقيقي وانتماؤه إنما هو إليه بالدرجة الأولى فهل تغفر الأمم والشعوب لبنيها جريمة الخيانة العظمى؟ وهل يتسامح مجتمع معاصر مع من يتخذ موقفاً معادياً من وطنه، ومعروف أن حد الردة يغلق باباً خطيراً في وجه من يريدون إفساد الإسلام من داخله أو التجسس عليه وقد عانى المجتمع المسلم كثيراً ممن تبطنوا الكفر والتحقوا بالإسلام [١].

وهذا كلام ينطبق على عصرنا وواقعنا المعاصر حيث نرى كثيراً من المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام يكيدون من هذا الدين ونرى بعضاً من المسلمين (المنصاعين للحملات التبشيرية) يتسابقون في الارتداد عن الإسلام لكي ينالوا جنسيات أجنبية بزعمهم أن الإسلام دين إرهاب ودين لا يصلح لهذا العصر المتحضر الذي كثرت فيه التكنولوجيا والتي قد تكون من أسباب دمار المجتمع؛ لأن كثيراً منهم استعمل هذه التكنولوجيا في الشر وليس في نشر الأمن والفضيلة، فلو طبق حد الردة على هؤلاء الذين يتسابقون على ترك هويتهم الإسلامية لما أراد أحد ترك هذا الدين ولما أدى هذا الارتداد إلى زعزعة أمن واستقرار المجتمع ولأدى تطبيق هذا الحد إلى التزام الحدود الشرعية وعدم التنازل عن الدين الإسلامي.

ثانياً: أثر القصاص في النفس الإنسانية:

القصاص عقوبة شرعها الإسلام لأهل الإنسان المقتول حتى لا يتأثر المجتمع بقضية الثأر فتثور الفوضى ويخرب المجتمع، وعقوبة القصاص جاءت متعلقة بنفس القاتل وقد فصل القرآن الكريم أحكام القصاص في عدة آيات:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٨). وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

فهذه الآيات تبين عظيم العدل الرباني في أحكامه الشرعية، بأن يقتص من الجاني نفسه، وبالمقدار الذي ارتكبه من الجريمة، فهي بذلك تردع المجرم وتروع نفسه من الإعتداء على

---

(1) انظر الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص٥٨، ٥٩، وعودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٠٣.

الآخرين، وهذا ما سعى القرآن لتحقيقه.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾(الإسراء: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الأخروية .ثم خاطبهم بيا أولى الألباب ويا ذوى العقول الخالصة عن شوب الأوهام، وخوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الإيمان تنشيطاً لهم إلى التأمل في حكمة القصاص، لعلكم تتقون وتقون أنفسكم من المساهلة في أمره والإهمال في المحافظة عليه والحكم به والإذعان أو في القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى إليه[1].

ففي هذه الآية منبع البلاغة النفسيّة حيث جعل القصاص الذي ظاهره القتل حياة وطمأنينة نفسيّة وهذا سرّ من أسرار إعجاز القرآن الكريم في إيقاعه على النفس الإنسانيّة .

والحكمة من تشريع القصاص:

١. المحافظة على حياة الناس لأنه إذا علم مريد القتل أنه سوف يقتل دفعه ذلك للامتناع عن القتل خوفاً من العقوبة التي ستوقع عليه وبهذا يحفظ حياته وحياة من كان يريد قتله [2]، وهذا من مقاصد الشريعة في حماية النفس الإنسانية.

٢. وتتجلى الحكمة أيضاً في تحقيق العدالة بين الجاني والمجني عليه عند إيقاع العقوبة فكما أن الجاني حرم المجني عليه من التمتع بحياته وجب أن يحرم كذلك من التمتع بالحياة مثله.

٣. في القصاص أيضاً يتم شفاء صدور أولياء المجني عليه ومراعاة الجانب النفسي لورثة المقتول أمر لابد منه لتهدأ نفوسهم ويزول غيظ صدورهم فيمتنعوا من الانتقام الذي قد

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١ / ١٩٦ .

(2) انظر دوكوري، عثمان، التدابير الوقائية من القتل في الإسلام، ص٢٤٧، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

يتجاوز الجاني إلى كل من له صلة [١].

فالأصل في الشريعة أن حياة الإنسان مصونة محرمة فلا تباح إلا بحق طارئ على ذاتها لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ (الإسراء: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣).

إن تدخل الشارع الأعظم في التقدير يرجع لسبب من الجاني ولسبب من المجني عليه فالذي يدفع الجاني للقتل والجرح هو تنازع البقاء وحب التغلب والاستعلاء، فأراد الشارع أن يعلم هذا الجاني أنه لن يبقى بعد القضاء على فريسته، فليبقى على ثقة بإبقائه على فريسته وإحجامه عن القتل فالعقوبة من جنس الجريمة.

ولذلك نلاحظ أن الله -تعالى- تولى وضع عقوبة القاتل ولم يتركها للإنسان؛ لأن الإنسان قد يظلم المظلوم وينصر الظالم.

أما أثر القصاص في النفس الإنسانية: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩)، أن القصاص إنصاف والنفس البشرية تحب هذا الإنصاف وتبحث عنه وتعجب به، وفي الآية كذلك كلمة الحياة والحياة كلمة عميقة جذابة فمن ذا الذي لا يحب الحياة ومن ذا الذي لا يحرص على هذه الحياة؟ ومن ذا الذي لا يدافع عن هذه الحياة بكل ما استطاع؟ إن حب البقاء طبيعة عميقة في نفوس البشر، وإن الرغبة في الحياة هي أقوى رغائب الإنسان ولذلك كانت كلمة (الحياة) قوية مؤثرة تقبل على سمع الإنسان فتثير في نفسه الرجاء والرغبات، كما يقبل حكم العفو والبراءة على من كان قاب قوسين عن موبق العقاب.

ويضيف الأستاذ الشرباصي: "ومن هنا تأنس النفس البشرية السليمة بهذا الحديث الحلو الوجيز عن الإنصاف وعن الحياة وعن الإبقاء على هذه الحياة بتشريع ما يصونها في غير تعسف وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩) [٢].

فمن خلال ما تقدم فالحكمة من مشروعية القصاص تقتضي شرعيته فإن الطبائع البشرية والنفوس الشريرة تميل إلى الظلم وترغب في الاعتداء فمشروعيته تصون الدماء من الإهدار

---

(1) أبو زهرة، محمد، العقوبة، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص٢٨٢.

(2) انظر الشرباصي، أحمد، القصاص في الإسلام، دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م، ص١٩٠.

وتزجر الغير عن أن يسلك هذا السبيل ولاجاني إذا لم يؤخذ بجنايته فإنه يتمادى في إجرامه فلو أهمل الحكم بالقصاص لما ارتدع الناس لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفاً بالعقوبات، أما القصاص في الأعضاء ومنافعها فزاجر عن تفويت تلك المنافع التي خلفت من أجلها ديناً ودنيا، وزاجراً أيضاً عن الانحراف في الانتقام للجرم الواقع.

فالقصاص ضرورة من ضروريات الحياة لفظ كيان العالم بل لا تستقيم الحياة ولا يستقر الأمن إلا بالقصاص.

وفي الختام أود التنويه بأني لم أتطرق لأثر التعزير النفسي، علماً بأني جمعت شيئاً لا بأس به من مادته، لأن القرآن الكريم لم يبرز الحديث عنه في آياته، كما هو الحال في الحدود والقصاص، فاكتفيت بذكر ما ذكر القرآن الكريم، وذكر كلام المفسرين وأهل الاختصاص بما يخدم الموضوع.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

لقد جاءت هذه الدراسة مبينة وجهاً آخر من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز النفسي، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة:

١.الإعجاز النفسي في القرآن الكريم وجه مستقل من وجوه الإعجاز القرآني.

٢. معنى الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: هو عدم المقدرة على الإتيان بكلام مؤثر في النفس المشاعر مثل القرآن في محاكاته للنفس البشرية، وكشف خفاياها بأسلوب أخّاذ.

٣. أول من ذهب إلى القول بالإعجاز النفسي الإمام الخطابي.

٤. ينبني الإعجاز النفسي على أصول نظرية وأخرى تطبيقية، أما النظرية فتتمثل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدلة العقلية التي تدل على تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية، ويختص الجانب التطبيقي بتحليل الآيات والأحاديث تحليلاً لغوياً بلاغياً يبرز الأثر النفسي.

٥. من جوانب الإعجاز النفسي ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من أساليب في الإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة وغيرها.

٦. من جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ما يتعلق بخفايا النفس الإنسانية، وذلك من خلال:

ا. بيان صفات النفس الإنسانية مثل التكليف والعمل والكسب والهوى والتزيين والتسويل والوسوسة والحسد والظلم والتفريط واللوم والاطمئنان والرضى والأمر بالسوء والإلهام وغيرها.

ب. بيان مراتب النفس الإنسانية.

ج. كشف عيوب وأمراض النفس الإنسانية، وعلاجها، مثل الحقد والحسد والشح والبخل والطمع والحرص وحب الدنيا والعجب والكبر والرياء والغرور والغضب والغيظ واليأس والقنوط والغفلة والنسيان.

د. إرشادات القرآن للوقاية من الأمراض النفسية وذلك من خلال:

١. الإيمان بالله وأثره النفسي.

٢. الإيمان بالقدر وأثره النفسي.

٣. الإيمان بالأجل وأثره النفسي.

٤. إبراز ثمرات العبادات.

هـ. ما أبرز من خفايا نفسية في النفس الإنسانية، ومثال ذلك:

١. القرآن الكريم يبين أن الناس جميعاً ذكراً أو أنثى مخلوقون من نفس واحدة.

٢. القرآن الكريم يوضح فطرة النفس وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد.

٣. القرآن الكريم يبين أن الله مطلع على أسرار النفس الإنسانية.

٤. القرآن الكريم يدعو الإنسان للتأمل في النفس ومكنوناتها.

٥. القرآن الكريم يبين ازدواجية الاستعداد في النفس الإنسانية.

٦. القرآن الكريم يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول.

٧. القرآن الكريم يصحح المعتقدات.

٨. القرآن الكريم يكشف عن أحقاد المنافين وأهل الكتاب ضد الإسلام.

٧. من جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ما يتعلق بالعبادات كالصلاة والدعاء والصيام والزكاة والحج والصبر والذكر وغيرها.

٨. من جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ما يتعلق بالآداب عامة، وذلك من خلال:

أ. مراعاة نفسية الأخوة المسلمة.

ب. مراعاة نفسية الضيف والمضيف.

ج. مراعاة نفسية المدعو والمخطئ.

د. مراعاة نفسية المجاهد.

هـ. مراعاة نفسية الأب والابن.

و. مراعاة نفسية كل من الزوجين.

٩. من جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ما يتعلق بالعقوبات، وذلك من خلال:

أ. أثر الحدود في النفس الإنسانية.

ب. أثر القصاص في النفس الإنسانية.

المصادر والمراجع

- الآلوسي، محمود (ت١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد (ت٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أوب الكاتب والشاعر**،ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- أرسطو، طاليس، ١٩٨٠م، **الخطابة**، ط١، ترجمة: عبد الرحمن بدوي.
- إسماعيل، نبيه ابراهيم، ١٩٩٣م، **أسس الصحة النفسية**، بدون ناشر ولا دار نشر.
- إسماعيل، نبيه إبراهيم، ٢٠٠١م، **من الدراسات النفسية في التراث العربي الإسلامي**، ط١، دار ابتراك، مصر الجديدة.
- الأشقر، عمر سليمان،١٤٠٥هـ ١٩٨٥م،**الرسل والرسالات**، ط٣، الكويت، مكتبة الفلاح.
- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل، (ت١٤٠٩هـ)، **دلائل النبوة**، ط١، تحقيق: محمد محمد الحداد، الطبعة الأولى .
- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن يحيى (ت ٧٥٦ هـ)، **المواقف في علم الكلام**، شرح السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١هـ ١٩٩٧م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٣٧٢هـ)، **إعجاز القرآن**، ط١، عالم الكتب، بيروت١٩٨٣.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى البغا، ط١، دار إبن كثير، دمشق.
- البدر، عبدالرزاق بن المحسن،٢٠٠١م، **فقه الأدعية والأذكار**، ط١، دار ابن القيم.
- البدري، علي، ١٤٠٢هـ،١٩٨٢م، **حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن الكريم**، ط١، دار الكتاب الجامعي.
- براج، جمعة محمد محمد، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، **العقوبات في الإسلام**، ط١،

عمان، دار يافا العلمية.

- بركات، أحمد لطفي، ١٩٨١م، **الطبيعة البشرية في القرآن الكريم**، ط١، الرياض، دار المريخ.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٦هـ)، **معالم التنزيل**، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- البوطي، محمد سعيد، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، **تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل**، ط١، عمان، دار الرسالة.
- البيانوني، أحمد عز الدين، ١٩٧٣م، **القلب مكانته وأحواله ومرضه وشفاؤه**، ط١، حلب، مكتبة الهدى.
- البيجوري، ابرهيم بن محمد (ت١٢٧٧هـ)، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**، دار الجيل.
- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، **مشكاة المصابيح**، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى،(ت ٢٥٨هـ)، **الصحيح الجامع سنن الترمذي**، ط١، تحقيق: أحمد محمود شاكر، دار إحياء التراث، بيروت، مذيلاً بأحكام الألباني.
- ابن تيمية، أحمد بن تيمية (ت٧٢٠هـ)، **مجموع الفتاوى**، دار عالم الكتب ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ط١، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ودار الفكر، بيروت.
- الجارم، علي، وأمين، ١٩٨٦م، مصطفى، **البلاغة الواضحة**، ط١، لبنان، دار المعارف.
- الجندي، أنور، ١٩٧٧م، مفاهيم **العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**، ط١، القاهرة، دار الاعتصام.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، **زاد المسير**، ط٣،المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، ط١ ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
- جوهري، محمد،١٩٨٤م، **بحوث نفسية في ضوء العقيدة الإسلامية**، ط١، القاهرة دار الطباعة المحمدية.
- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،**العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط٥، دمشق، دار القلم.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **١٩٧٨م،الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، ط١، بيروت، لبنانا، دار الأخلاق الجديدة.
- ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، **المحلى**،ط١، تحقيق لجنة إحياء التراث، دار الجيل، بيروت.
- الحسيني، خلف محمد، ١٩٨٩م، **القرآن يقوم العقل والنفس واللسان، ط١، القاهر** ، نهضة مصر٠
- ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١ هـ)، **المسند**، ط١، العالمية للطباعة والنشر.
- حوى، سعيد، ١٩٩٧م،**الإسلام**، ط١،راجعه وهبي القاوجي، القاهرة، مكتبة وهبة .
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ٢٠٠٠م،**إعجاز القرآن البياني**، ط١، عمان، دار عمار.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٤٢٣هـ-١٩٩٢، **البيان في إعجاز القرآن**، ط٣، عمان، دار عمار.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٩٩٦، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب**، ط١، عمان، دار الفرقان.
- الخراشي، ناهد عبد العال، ١٩٩٩م، **أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي**، ط٣، دار الكتاب الحديث.
- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، **صحيح ابن خزيمة**، ط١، تحقيق:محمد مصطفى الأعظمي، وفي ذيله أحكام الألباني، بيروت، المكتب

الإسلامي.

- الخطابي، حمد بن محمد، (ت٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن**، ط٣، تحقيق: عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف بمصر.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، ١٤٠٣هـ، **الجامع لأخلاق الراوي**، ط١، تحقيق: محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف.
- الخطيب، عبد الكريم، ١٩٧٥م، **إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها**، ط٢، بيروت لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر.
- خليل، عماد الدين، ١٤١٤هـ١٩٩٤م، ، **قالوا عن القرآن**، ط١، مطبوع بذيل كتاب: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي،استنبول، دار سوزلر للنشر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت٣٠٣هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محي الدين، مذيلاً بأحكام الألباني، دار الفكر.
- دراز، محمد عبد الله، (ت١٩٥٨م)، **النبأ العظيم، نظرة جديدة في القرآن**، ط١، دار القلم، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- دوكروي، عثمان،١٤٢٠هـ١٩٩٩م، **التدابير الواقية من القتل في الإسلام**، ط١، دار الوطن.
- ديل كارينجي: **دع القلق وابدأ الحياة**، ط٥، ترجمة عبد المنعم الزيادي، القاهرة.
- الذهبي، محمد حسين، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، **أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع**، ط٢، القاهرة، مكتبة وهبة.
- الرازي محمد بن أبي برك بن عبد القادر، (ت٦٦٠هـ)، **مختار الصحاح**، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الرازي، فخر الدين (ت٦٠٦هـ)، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، ط١، تحقيق إبراهيم السامرائي و محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن أحمد، (ت٥٠٢هـ)، **المفردات**، ط١،المكتبة التوفيقية.
- الرافعي، مصطفى صادق،(ت١٩٣٧م)، **إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
- رضا، محمد رشيد، (ت١٩٣٥م)، **الوحي المحمدي**، ط٩، المكتب الإسلامي،

بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- رضا، محمد رشيد، (ت١٩٣٥)، **تفسير القرآن الحكيم (تالمنار)**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الرماني،علي بن عيسى،(ت٣٨٦هـ)، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ط٣، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م.
- رمضان، محيي الدين، ١٤٠٢هـ١٩٨٢م، **وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن**، ط١٩٨٢،١م، دار الفرقان.
- ريتشارد، م. شوين، ١٩٧٩م، **علم الأمراض النفسية والعقلية**، ط١، ترجمة محمد سلامة، القاهرة، دار النهضة العربية.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى، **تاج العروس**، ط١، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم،(ت١٩٤٨م)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، (ت٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط١، دار صادر ودار بيروت للنشر والطباعة، ١٩٦٥م.
- الزمخشري، محمود بن عمر،(ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- زهرة، محمد، ١٩٩٩م،**العقوبة**، دار الفكر، ط١، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- الزيات، أحمد، ١٩٤٥م، **دفاع عن البلاغة**، ط١، مطبعة الرسالة.
- زيدان، الدكتور محمد مصطفى، ١٣٩٣هـ١٩٧٣، **القرآن وعلم النفس**، ط١، ليبيا، دار مكتبة الأندلس.
- السائح، عبد الحميد،١٣٨٩هـ١٩٧٨م، **عقيدة المسلم**، ط١، عمان، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدّسات الإسلاميّة،

- السبت، خالد بن عثمان،١٩٩٧م، **كتاب مناهل العرفان (دراسة وتقويم)**،ط١، دار ابن عفان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت١٣٧٦هـ)، **تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان**،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت ٨٥١ هـ)، **الروض الآنف في تفسير السيرة لابن هشام**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- السويدي، د.مرسي شعبان١٤١٢هـ-١٩٩٢م، **غرائز النفس البشرية ومنهج الإسلام في معالجتها**، ط١، طنطا، دار الصحابة للتراث.
- السيد صالح، سعد الدين،١٩٩٣م، **المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم**،ط٢، دار المعارف.
- سيرل بيرت، **علم النفس الديني**، ط٢١، ترجمة: سمير عبده، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، (ت٩١١هـ)،**الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- السيوطي، عبدالرحمن بن كمال، (ت٩١١هـ)، **معترك الأقران**، ط١، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- بنت الشاطئ، عائشة، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف، ط٢.
- شديد، محمد، **منهج القرآن في التربية**، دار الأرقم، بيروت.
- الشرباصي، أحمد، ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م،**القصاص في الإسلام**، ط١، مصر، دار الكتاب العربي.
- الشرقاوي، حسن محمد، **نحو علم نفس إسلامي**، ط١، الإسكندرية،الهيئة المصرية العامة.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الدين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨٢٦ هـ)، **التعريفات**، ط١،دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- شريف، محمد بديع،١٩٧٧م، **المساواة في الإسلام**، ط١، سلسلة كتابك، العدد ١٧، القاهرة، دار المعارف.
- شكري، أحمد خالد، ٢٠٠٥م، **بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النورسي**، ط١، شركة سوزلر.
- الشنقيطي، محمد أمين، ١٣٩٣هـ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت،١٩٩٥م.
- الشوكاني، محمد بن علي، ١٢٥٠هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الخير، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الصابوني، محمد بن علي،١٤٠٢هـ-١٩٨١م، **مختصر ابن كثير**، ط٧، بيروت،دار القرآن الكريم.
- الصباغ، الدكتور محمد بن لطفي،١٤١٠هـ-١٩٩٠م، **لمحات في علوم القرآن**، ط٣، المكتب الإسلامي.
- الصدر باقر شريف،١٩٧٩م، **النظام التربوي في الإسلام**، ط١،بيروت لبنان، دار المعارف للمطبوعاتبيروت، لبنان.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام،١٤٠٣هـ، **مصنف عبد الرزاق**، ط٢، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي.
- ضياء الدين، حسن،١٩٨٩م، **المعجزة الخالدة**، ط٣ بدون دار نشر.
- طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة**، ط١، حيدر أباد، المعارف النظامية.
- طبارة، عفيف، ١٩٧٦م، **روح الدين الإسلامي**، ط١٣، بيروت، دار العلم للملايين.
- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الطويل، عزت، ١٩٨٢م،**النفس في القرآن الكريم**، ط١، المكتب الجامعي الحديث.

- ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ط١، تونس، الدار التونسية.
- عباس، فضل حسن، ٢٠٠٤م، **إعجاز القرآن**، ط٥، دار الفرقان.
- عباس، فضل حسن،١٩٨٥م، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)**، ط١، عمان، دار الفرقان.
- عبد العزيز،مفتاح،١٩٩٧م، **القرآن الكريم وعلم النفس**،ط١، بنغازي، منشورات جامعة قابوس.
- عبد الله سراج الدين، ١٤٠٢هـ، **تلاوة القرآن المجيد فضائلها آدابها خصائصها**، ط٣، جدة، مطبعة سحر.
- عبده،محمد، ١٣٦٣هـ، **رسالة التوحيد**، ط١٠، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- عثمان، أكرم مصباح، ٢٠٠٢م، **١٧ قاعدة نفسية في سورة يوسف**، ط١، دار ابن حزم.
- عثمان، أكرم مصباح،١٩٩٨م، **فن التعامل مع الطلاب**،ط١، الشارقة، جمعية المعلمين.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح، (ت١٩٩٩م)، **نور على الدرب**، ط١ جمعه أم عبد الرحمن، بدون ناشر ولا دار نشر،
- عدس، محمد عبد الرحيم، ١٩٨٥م، **من خصائص النفس البشرية**، ط١، الزرقاء، مكتبة المنار.
- ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين علي بن محمد،١٩٨٨م، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٩، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- العسال، خليفة حسين،١٩٩٤م، **وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، ط١، مطبعة الفجر الجديد.
- العقاد، عباس محمود، **الإنسان في القرآن**. مطبوعات المكتبة العصرية، بيروت-صيدا.
- العكازي، عبد الله، ١٩٧٦م، **الفقه الإسلامي في الحدود والقصاص**، ط١.
- علوان، عبد الله ناصح، **عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام**،ط١، القسم الأول.

- عمار، أحمد سيد محمد،١٩٩٨م، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي الحديث**، ط١، بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر.
- العمري، أحمد جمال، **مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس**، ط١، دار المعارف.
- عودة، عبد القادر،١٩٦٠م، **التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي**، ط١، القاهرة، مكتبة دار العروبة.
- العيسوي، عبد الرحمن، ١٩٨٦م، **الإسلام والعلاج النفسي**،ط١، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
- أبو العينين، عبد الفتاح محمد، **عقوبة السرقة في الفقه الإسلامي**، ط١، بدون ناشر ولا دار نشر.
- أبو العينين، علي خليل، ١٩٨٠م، **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، ط١، دار الفكر العربي.
- غزالة، محمد حلمي، ١٩٨٣م، **يسألونك عن الخمر**، ط٣، عمان الأردن، دار الأرقم.
- الغزالي، عيد، ١٩٨١م، **الحدود الشرعية**، ط١، مكتبة المعارف.
- الغزالي، محمد بن محمد ت٥٠٥هـ **إحياء علوم الدين**، ط١، دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم المقاييس في اللغة**، ط١، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر ١٩٩٤م.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، (ت٦٠٦هـ)، **التفسير الكبير أومفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الفقي، محمد، ١٩٧٠م، **النفس: أمراضها وعلاجها في الشريعة الإسلامية**، ط١، مكتبة صبيح.
- فهمي، مصطفى،١٩٧٦م، **الصحة النفسية**، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، ط٣،دار الرسالة، عمان،١٩٩٣م.
- قاروط، محمد محمد، ٢٠٠٢م، **الإنسان والنفس في ضوء الكتاب والحديث** ، ط١،

بيروت لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ)، **الشفا تعريف حقوق المصطفى**، ط١، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت-لبنان.
- القاضي، علي، ١٩٧٩م، **أضواء على التربية الإسلامية**، ط١، القاهرة، دار الأنصار.
- ابن قدامة المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن (ت ٦٨٩ هـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، ط١، تحقيق علي حسن علي عبد الحميد، دار الفيحاء، عمان، الأردن، دار عمار، عمان الأردن، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م٠
- القرضاوي، يوسف، ١٩٧٩م، **الإيمان والحياة**، ط٤، مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف، ١٩٧٨م، **الإيمان والحياة**، ط٦، مكتبة وهبة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن العمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط١، تحقيق سالم محمد البدري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
- القرطبي، محمد بن العمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، **التذكار في أفضل الأذكار**، ط١، تحقيق: ثروت محمد نافع، دار التوحيد، مصر.
- القزويني، السيد عبد الحسين، ١٩٩٦، **رحلة الى أعماق النفس**، ط١، بيروت، لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- قطب، سيد، (ت١٩٦٦م)، **التصوير الفني في القرآن الكريم**، ط١٥، دار المعرفة بمصر.
- قطب، سيد،(**ت**١٩٦٦م)، **في ظلال القرآن**، ط١٥، دار الشروق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، ط٢، بدون ناشر ودار نشر.
- قمحية، حسان العمد، ود.عمار سمير، ود.معتز قعصراني، **الطب النفسي**، ط١، دمشق، دار الألباب.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،(ت٧٥١هـ)، **أمراض القلوب وعلاجها**، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٣م.

- ابن قيم الجوزية،(ت٧٥١هـ)، **كتاب الروح**، ط١، تحقيق محمد قطب ووليد الذكري، المكتبة العصرية،٢٠٠٣م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الحنبلي (ت ٧٥١ هـ)، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، ط١، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ.
- ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، **مدارج السالكين**، ط١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- الكاشف، جمال،١٩٩٤م، **كيف تتعامل مع أبنائك**، ط١، القاهرة، دار الطلائع.
- ابن كثير، إسماعيل، (ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ط١، توثيق عبد الرحمن الدقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ١٤٨١/٣.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير،(ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الكسسيس كارل،١٩٨٠م، **الإنسان ذلك المجهول**، ط٣، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف.
- كيلاني، محمد أمين الصادق،٢٠٠٣م، **من الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم**، ط١، دار النشر للجامعات.
- لنك، هنري، **العودة إلى الإيمان**، ط١، دار المعارف.
- ماضي، جمال، ١٩٨٣م، **فقه النفوس في ضوء القرآن والسنة**، ط١، دار الدعوة.
- المباركفوري، صفي الرحمن،١٩٨٨م، **الرحيق المختوم**، ط١، دار المؤيد.
- مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩م، **المعجم الوسيط**، ط١، القاهرة، دار الدعوة.
- المحلي، محمد بن أحمد و السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت٩١١هـ)، **تفسير الجلالين**، ط١، دار الحديث، القاهرة، ط١.
- محمد، الصادق المنّا، **الفتوحات الربانية لتزكية النفس البشرية وتهذيب دوافعها الفطرية**، ط١ ، بدون ناشر ولا دار نشر.
- المراغي، أحمد مصطفى، ١٩٥٢م، **علوم البلاغة البيان والمعاني والبـديع**، ط١، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- مرسي، سعيد عبد المجيد،١٩٩٤م، **الإيمان والصحة النفسية**، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة.
- مرسي، سيد عبد الحميد، ١٩٨٧م، **الإرشاد النفسي والوجيه التربوي والمهني**، ط١، القاهرة، مكتبة وهبه.
- مرسي، سيد عبد الحميد،١٩٨٥م، **الشخصية السوية**، ط١، مكتبة وهبة.
- مسلم، مصطفى، ١٩٩٠م، **مباحث في إعجاز القرآن**، ط١، دمشق، دار القلم.
- مسلم، ابن الحجاج (ت٢٦١هـ)، **صحيح الإمام مسلم**، ط١، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحدث، القاهرة،١٤١٨هـ١٩٩٧م.
- المصري، أحمد بن محمد الهائم،١٩٩٢م، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، ط١، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، طنطا، القاهرة، دار الصحابة للتراث.
- مكية، محمد عبد الغني، **القرآن بين الحقيقة والمجاز والإعجاز**، ط١، مصر، المطبوعات الحديثة.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ١٩٥٦م، **لسان العرب**، ط١، بيروت، دار صادر.
- نجاتي، محمد عثمان، ١٩٨٥م، **القرآن وعلم النفس**، ط٢، دار الشروق.
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت٧١٠هـ)، **تفسير النسفي**، ط١، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ-١٩٩٢م.
- النورسي، بديع الزمان سيعد (ت١٣٧٩هـ)، **المكتوبات**، ط١، ترجمة محمد زاهد الملا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٦هـ١٩٨٦م.
- نوفل، أحمد، ١٩٨٧م، **الحرب النفسية من منظور إسلامي**، ط١، عمان، دار الفرقان.
- نوفل، عبد الرزاق،١٩٨٣، **الإسلام تربية بالأكمل ونحو سلوك أفضل**، ط١.
- النووي، يحيى بن شرف،(ت٧٦٧هـ)، **التبيان في آداب حملة القرآن**، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
- هبة، أحمد، ١٩٨٥م، **موجز أحكام الشريعة الإسلامية في التحريم والعقاب**، ط١، القاهرة، دار عالم الكتب.

- هندي، وائل، ٢٠٠٢، **نحو طب نفسي إسلامي**، ط١، نهضة مصر للطباعة والنشر.
- هيتو، محمد حسن، ١٩٨٩م، **المعجزة القرآنية**، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الهيثمي، الحافظ نور الدين، **كشف الأستار عن زوائد البزار**، ط١، تحقيق حبيب الله الأعظمي، مؤسسة الرسالة.
- وجدي، محمد فريد،١٩٥٤م، **دائرة معارف القرن العشرين**، ط١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.
- ياسين، محمد نعيم، **١٩٨٣م، الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي**، ط١، عمان، دار الفرقان.
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، ١٩٨٤م، **مسند أبو يعلى**، ط١، دمشق، تحقيق: حسين إسليم أسد، دار المأمون للتراث.

الأبحاث والرسائل الجامعية

- زهد، عصام العبد، ٢٠٠٣م الإعجاز التأثيري في القرآن الكريم، بحث ترقية، منشور في **مجلة الجامعة الإسلامية،** كلية أصول الدين، غزة-فلسطين المجلد (١١)، العدد (٢).
- سلمان، محمد يونس، ١٩٩٧م، **النفس الإنسانية في القرآن الكريم،** رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة آل البيت،المفرق، الأردن.
- العرابيد، عبد السميع خميس،٢٠٠٤م، مظاهر التأثير القرآني على المؤمنين، بحث ترقية منشور في **مجلة جامعة الأقصى،** غزة-فلسطين.
- فرعون، روضة عبد الكريم، ٢٠٠٠م، **إعجاز النظم القرآني في آيات التشريع،** رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- القريوتي، طارق، ٢٠٠٣م، **الأمن النفسي في القرآن الكريم،** رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

المجلات والدوريات

- بدوي، أ.د.أحمد أحمد، محرم ١٤٢٦هـ، شباط، ٢٠٠٥، المنهج الأدبي في القرآن، **مجلة الفرقان،** العدد (٣٧)، الصفحات(٣٨-٣٩).
- الرفاعي، نجيب عبد الله، ، ١٦/صفر/١٤١٧هـ، ١٩٩٦/٧/٢م مقالة: أثر القرآن على قلوب الأمريكان، في **مجلة المجتمع الكويتية،** (العدد ١٢٠٦)، الصفحات (٢٢-٢٣).
- الشعراوي، محمد متولي ، مقالة: من فيض الرحمن في تربية الإنسان، **إدارة شؤون المعنوية فرع الشؤون الدينية،** (العدد ٦١٧/٤٢م)، الصفحات (٥-٦).
- عكاشة، أحمد، مقالة، العدد ٥٠ لسنة ١٩٨٦م، تحت عنوان الصيام علاج لأمراض نفسية في **كتاب اليوم الطبي،** الصفحة(٧).
- أسرة التحرير، ، رجب ١٤٢٥هـ، آب ٢٠٠٤م، مقتطفات متنوعة، **مجلة آيات،** السنة الأولى، (العدد الثامن)، الصفحة (٢٦).

THE PSYCHOLOGICAL INIMTABILITY IN THE NOBLE QUR'AN
(A FUNDAMENTAL STUDY)

By

Abd Allah Ali Abd Al Rahman Abu Al So'ud

Supervisor

Dr. Mohammad Khazer Al Majali

Abstract

The Noble Quran is great Allah's speech, and his firm rope. The best effort made to serve it. The best science is the one which related to the Quran inimitability and the evidences of its resource.

This thesis came to prove another kind of the Quran inimitability aspects, that is the psychological inimitability in the nobel Quran.

The noble Quran. The noble Quran deepened the souls and revealed the secrets, beliefs and affected them putting in consideration all psychological aspects on all fields.

The study has found that the psychological inimitability is independent of the Quran inimitability aspects. This kind inimitability has various fields such as beliefs, sociality, morality and punishments.